جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشَّكْل نشأ به عدة قراءات

إعداد

د/ حامد مصطفي عثمان محمد المكاوي

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات
- جامعة الأزهر

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الرابع والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ-
يونيو ٢٠٢٥م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي
The Online ISSN 2974-4679 و I.S.S.N 2974-4660

الرَّدُّ عَلَى شُبْهَةِ نَشْأَةِ قسم كبير من القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ بِسَبَبِ خُلُوِّ المَصَاحِفِ العُثْمَانِيَّةِ مِنَ الإِعْجَامِ والشَّكْلِ لِجُولْدْ زِيْهَرْ وَآرْثَرْ جفْرِي وبِرْجِسْتِرَاسر ومن تبعهم من المستشرقين.

حامد مصطفي عثمان محمد المكاوي

قسم التفسير وعلوم القرآن- كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات-جامعة الأزهر-مصر.

الإيميل الجامعي: amedMostafa.2074@azhar.edu.eg

ملخص البحث

رد الباحث على زعم بعض المستشرقين دخول قراءات غير متواترة إلى النص العثماني معتمدين على الزعم بعدم إعجام وشكل المصحف العثماني عن زمن نسخه، ومن الحقائق التي بينها في إطار الرد على تلك الشبهة أولا: إثبات أن الإعجام سابق في الوجود على العهد النبوي بعدة قرون، بأدلة عقلية ونقلية وأثرية، وثانيا: إثبات تأخر نقط الإعراب الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي عن نسخ المصاحف العثمانية، وثالثا: بين أنه كان في إعجام بعض مصاحف العامة والكبار والصغار، وبعض كبار الصحابة، والأعاجم، والمبتدئين، غنية عن إعجام المصاحف الأمهات، وأن انتشار الإعجام بصفة رسمية، حصل ما بين أعوام ٧٥هـ إلى ٨٦هـ ثم وضع الحركات الخليل الفراهيدي ما بين أعوام ١٢٠-١٧٥هـ تقريبا، وأشار إلى أن النبي -ﷺ- قد بعث والخط العربي مكتمل الخصائص. ورابعا: بين أن خلو المصاحف الأمهات من النقط والشكل، ساهم في حفظ القراءات، ودل على حصر القراءات التي تعد قرآنا، وتواترها؛ وخامسا: وضح حرص الصحابة على المخالفة في رسم المصاحف العثمانية، لتحتمل القراءات المتواترة لفظا وتقديرا قدر الإمكان. وسادسا: بين أن قصد المستشرقين من قولهم بنشأة قسم كبير من القراءات، بسبب خلو المصاحف العثمانية من الإعجام والشكل، الطعن في كونها وحيا،

ومساواتها بالقراءات الشاذة بابتداع جملة "التراث الشفوي" وسابعا: بين البحث أن شبهة جولدتسيهر وآرثر جفري وبرجستراسر دخول قراءات غير متواترة إلى الرسم العثماني لخلوه من الإعجام والشكل، وما اتصل بها من فروع المفتريات، وشبهة آرثر جفري من أنه كان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص العثماني الخالي من النقط والشكل على مقتضى معاني الآيات، يبطلهما إجماع الأمة على تقييد قبول القراءات المعتد بها قرآنا مقدسا بالتلقي بطريق السماع والتلقي والمشافهة، بسند صحيح متواتر مرفوع إلى النبي -ﷺ- إلى يوم الناس هذا، وعدد مظاهر الحرص التي تعد أدلة على توفر الدواعي على نقل القرآن وقراءاته، مما يقطع بالاستحالة العادية لإمكانية دخول قراءة ما غير متواترة إلى النص العثماني ووجوه قراءاته، لأي سبب كان، وأن الأساس في حفظها هو روايتها تلقينا وسماعا ومشافهة، بطريق متواتر، لتوفر الدواعي على نقلها، وأن حرصهم على الرسم كان تزيدا في التوثيق، بدليل وجود كيفيات في نطق ألفاظ القرآن لا يمكن معرفتها دون تلقين، وأن الإعجام والتشكيل من تمام لفظ القرآن المجمع على نزوله بقراءاته من السماء وثامنا: بين الباحث من الأحكام استحباب أو إيجاب نقط المصاحف العثمانية وشكلها ونحو ذلك من الإفادات، وتحريم كتابة المصحف بغير الرسم العثماني، وإجماع الأمة على قبول القراءات الأئمة العشرة المتواترة. وتاسعا: ذكر أهم النتائج والتوصيات من وجوب تناول الشبه بطرق أكثر تخصصا وعمقا وفق أصول المناظرات والأساليب المنطقية والأصولية والسبر والتقسيم ومراجعة أهل التخصص في العلوم المختلفة باعتبار رد الشبه مسؤولية جماعية علمية وتشكيل لجان متابعة رسمية أو غير رسمية لمساعدة الباحثين في رد الشبه والعمل على استمرار الالتزم بالرسم العثماني.

الكلمات الافتتاحية :- الرد ، شبهة ، القِرَاءَاتَ القُرْآنِيَّةِ ، المَصَاحِفِ العُثْمَانِيَّةِ ، المستشرقين .

A response to the suspicion that a large portion of the Qur'anic readings arose due to the absence of vowel marks and diacritics in the Ottoman copies, by Goldziher, Arthur Jeffery, Bergstrasser, and the Orientalists who followed them .

Hamed Mustafa Othman Muhammad Al-Makkawi
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Sadat City, Al-Azhar University, Egypt.

Email:- amedMostafa.2074@azhar.edu.eg

Abstract :–

The researcher responded to the claim by some Orientalists that some non-mutawatir readings entered the Ottoman text, relying on the claim that the Ottoman Qur'an does not have a diction and the form of the Ottoman Qur'an; because diction did not exist originally, and the form of the Ottoman Qur'an was later than the time of its copying, and among the facts that he showed in response to this suspicion, first: proving that diction predates the prophetic era by several centuries, with rational, transmitted and archaeological evidence: Abu al-Aswad al-Duwali's Arabic dots were later than the copies of the Ottoman Qur'an. Thirdly, he showed that the Arabicization of some of the Qur'ans of the common people, adults and children, some of the senior companions, foreigners, and beginners was sufficient for the Arabicization of the original Qur'ans, and that the spread of official Arabicization occurred between the years 75 AH to 86 AH and then the movements of Khalil al-Farahidi between approximately 120-175 AH and pointed out that the Prophet -r- was sent with a fully characterized Arabic handwriting. Fourth: He showed that the absence of dots and shapes in the Qur'an contributed to the preservation of the readings, and indicated the limitation of the readings that are considered the Qur'an, and their frequency; fifth: He explained the keenness of the companions to violate the drawing of the Ottoman Qur'an, to tolerate the frequent readings, both verbally and quantitatively, as much as possible. Sixth: The Orientalists' intention in stating that a large number of readings originated because the Ottoman Qur'an was devoid of augmentation and form, was to challenge its revelation and equate it with anomalous readings by inventing the phrase "oral heritage". Seventh: The research showed that the claim of Goldziher and Arthur Jeffrey and Bergstrasser that non- mutawatir readings entered the Ottoman script because it was free of

dotting and shaping, and the related branches of fabrications, and Arthur Jeffrey's suspicion that the reader himself had to dot and shape this Ottoman text free of dotting and shaping according to the meaning of the verses, are invalidated by the unanimity of the ummah to restrict the acceptance of the readings recognized as the Holy Qur'an to receiving them by hearing, receiving, and oral tradition with a valid, mutawatir authority up to the Prophet -r- until this day of the people of God. He also listed the aspects of their keenness that are evidence of the availability of motives for the transmission of the Qur'an and its readings, which cuts off the normal impossibility of the possibility of a non-mutawatir reading entering the Ottoman text and the faces of its readings, for any reason whatsoever, and that the basis for preserving them is to narrate them by word of mouth, hearing, and oral tradition, in a mutawatir way, because of the availability of motives for their transmission, and their keenness on drawing was to increase authenticity, as evidence of the existence of qualities in the pronunciation of Qur'anic words that cannot be known without teaching, and that the spelling and formation are from the complete pronunciation of the Qur'an that was agreed upon in its revelations from heaven and eighth: From the rulings, the researcher showed the desirability or obligation of dotting the Ottoman Qur'an, its shape and other benefits, the prohibition of writing the Qur'an without the Ottoman drawing, and the consensus of the Ummah to accept the ten recitations of the ten Imams . Ninth: Mentioning the most important results and recommendations from the functions of the quasi-judicial in more specialized and in-depth ways, and allocating effective and fundamental principles and techniques, and probing, dividing, and reviewing specialists in the various sciences, while considering the quasi-judicial as responsible and a collective scientific responsibility, and forming community follow-up committees or non-assistant committees to work on responding to judicial quasi-judicial on the commitment to effective drawing .

Keywords: Response, Suspicion, Quranic readings, Ottoman copies of the Quran, Orientalists .

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام التامَّان، على من أنزل عليه القرآن، هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان، محمد وصحبه، وآله وحزبه.

وبعد،

فإن أشرف العلوم كتاب الله القائل: (لَقَدْ أَنزلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُم)[١] أي: شرفكم، وقال فيه الشاطبي : وإن كتاب الله أوثق شافع ... وأغنى غناء واهبا متفضلا، وقد كتبت هذا البحث[٢] للدفاع عن قراءات القرآن، ضد شبهات المستش رقين، وجعلت عنوانه: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ[٣] به عدة قراءات.

---

(١) سورة الأنبياء، من الآية (١٠).

(٢) في لسان العرب عن المصدر نشأة :" أَنْشَأَه الله خَلَقَه، ونَشَأَ يَنْشَأُ نَشْأً ونُشُوءاً ونَشَاءً ونَشْأَةً ونَشَاءة حَيي، وأَنْشَأَ اللهُ الخَلْقَ أَي ابْتَدَأَ خَلْقَهم... ونَشَأَ السحابُ نَشْأً ونُشُوءاً ارتفع وبَدَا، وذلك في أَوّل ما يَبْدأُ، ولهذا السحاب نَشْءٌ حَسَنٌ، يعني أَوَّل ظهوره، وفي التنزيل العزيز (ويُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ)–سورة الرعد من الآية (١٢)–... وأَنْشَأَ يَفْعَلُ كذا ويقول كذا ابتَدَأَ وأَقْبَلَ وفلان يُنْشِئُ الأَحاديث، أَي: يضعُها قال الليث: أَنْشَأَ فلان حديثاً، أَي ابْتَدأَ حديثاً ورَفَعَه... وقال الزجاج في قوله –تعالى–: (وهو الذي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وغيرَ مَعْرُوشاتٍ)–سورة الأنعام، من الآية (١٤١)– أَي ابْتَدَعَها وابْتَدَأَ خَلْقَها، وكلُّ مَنِ ابْتَدأَ شيئاً فهو أَنْشَأَه ... وقيل: ناشِئَةُ الليل أَوَّلُه .. لسان العرب (١٧٠/١) مادة نشأ.

محتويات البحث:

احتوى على مقدمة، واحتوت على بيان أهمية البحث، وهدفه، ومنهجه، وخطة البحث وقسمتها إلى ثلاثة فصول، وخاتمة، التي احتوت على أهم النتائج، وفهارس.

أهمية البحث:

غموض الموضوع، وانخداع بعض كتاب المسلمين بأقوال المستشرقين، التي تتعرض لسلامة القرآن من التحريف.

هدف الدراسة:

تدافع الدراسة عن سلامة النص القرآني، ورسمه العثماني، وقراءاته العشر المتواترة ، ضد كبار المستشرقين في القرن الماضي، مع تتبع مصادرهم، والرد على شبهة من أخطر شبهاتهم حول القرآن الكريم، الأمر الذي من شأنه أن يسهم في إثراء مادة درء الشبهات حول القرآن الكريم؛ إذ بها يتحقق الأمن الفردي والمجتمعي على رسوخ أصول العقيدة الإسلامية في نفوس المؤمنين بها، وهو من أهم أهداف واحتياجات المجتمع الساعي إلى الاستقرار، وبناء شخصيات وطنية، قوية الإيمان، عظيمة الأخلاق، بالإضافة إلى أن من شأنه أن يقرر وجوب استمرار العمل بالإجماع على التزام الرسم العثماني، وتحريم مخالفته.

تحديد مشكلات البحث:

يعالج البحث ثلاث شبه أساسية، وهي: ادعاء دخول قراءة غير متواترة إلى القراءة من المصحف العثماني بسبب خلوه من الإعجام والشكل، وشبهتان ثانويتان: الأولى: المساواة بين القراءة الشاذة والمتواترة، والثانية: استحلال القراءة بمطلق محتمل الرسم العثماني دون رواية.

منهج البحث:

استقرائي يبدأ من الجزئيات والدقائق، وينتهي بالكليات والحقائق، واستنباطي يستنبط المعاني، من لآليء المباني، ويقتطف من ثمرات الأدلة النقلية والعقلية، ما يؤيد صحة أو رجحان ما يقرره من آراء، ويدحض ما يدفعه من شبه وافتراء.

خطة البحث:

احتوت على ثلاثة فصول متصمنة للمباحث والمطالب. فهاك هي:

الفصل الأول : مفهوم الاستشراق، وتعريفه، والترجمة لجولد زيهر وآرثر جفري وبرجستراسر. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الاستشراق، لغة واصطلاحا:

المبحث الثاني: الترجمة لجولدزيهر وآرثر جفري، وبرجستراسر.

الفصل الثاني: التمهيد ببيان مبادي الإعجام والشكل. ويحتوي على عدة مباحث:

المبحث الأول: التمهيد ببيان مباديء الإعجام والشكل.

المبحث الثاني: بيان الحاجة إلى الإعجام، وبدايته.

المبحث الثالث: تأريخ الشكل، واهتمام الصحابة بالإعراب، وبيان أقوال العلماء في واضعه وسبب وضعه، وكيفيته، والفرق بينه وبين غيره. وبيان مصدره.

المبحث الرابع: حكم إعجام وشكل المصاحف العثمانية بنقط الإعراب أو بالحركات، بذكر من كرههما، وعللهم، وذكر من استحب إعجام المصاحف العثمانية ونقطها إعرابا، وذكر من قال بجواز نقط الإعراب، وذكر من قال بجواز الإعجام ونقط الإعراب، واختلافهم والراجح منها.

المبحث الخامس : الأدلة العقلية والتاريخية على وجود إعجام الخط العربي قبل العهد النبوي، وتقدمه على نسخ المصاحف العثمانية، ونقط الإعراب.

الفصل الثالث: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشَّكْل نشأ به عدة قراءات. ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول : عرض آراء أوتو بريتسل فيما يتصل بتاريخ النقط، وضبط كتابة المصاحف العثمانية والتعقيب عليها.

المبحث الثاني: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشَّكْل نشأ به عدة قراءات بنقض احتجاجات برجستراسر .

المبحث الثالث: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات ، بتصور شبهتهم قياسا ونقضه.

المبحث الرابع: بيان أغراض من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات مثل جولد زيهر، وآثر جفري، وبرجستراسر، ومن تبعهم من المستشرقين، والرد عليهم.

المبحث الخامس: معارضة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات مثل جولد زيهر، وآثر جفري، وبرجستراسر، ومن تبعهم من المستشرقين بالرد عليهم، وعلى أمثلتهم.

المبحث السادس: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشَّكْل ، بالمعارضة بإيراد أدلة تقرير سلامة النص القرآني.

وسأبذل قصارى جهدي في ذلك البحث البسيق؛ للرد على شبه جولدزيهر وآرثر جفري، وبرجستراسر ومن تبعهم، وما مهدوا لها به من التلفيق، مستعينا بمباحث تمهيدية ضرورية؛ ليفهم القارِئ كيف انبنى الرد العلمي والشرعي الرصين، على شبهتي النقط والشكل حول القراءات القرآنية، ويقتنع به، وقد ضمنتها نقولا من جوهر ثمين، لشروح واستدلالات العلماء القدامى والمعاصرين، التي تغرد كلماتها بأعذب ألحان البيان، وتشرق معانيها بأصفى أنوار الافتنان، وما أبرئ نفسى، ولا بحثي من العثرات، فكل يؤخذ منه ويرد عليه سوى صاحب وحي السماوات، وأسأل الله –تعالى– أن يجزي عني خيرا كل من أعانني ولو بشطر كلمة، على إعداد هذا البحث من أساتذة أجلاء، وزملاء فضلاء، وأسأله إجادة التحقيق، وقوة التدقيق، وحلو الترقيق، وروعة التنميق، وجمال التنسيق، ومزيد التوفيق .

الفصل الأول: مفهوم الاستشراق، وتعريفه، والترجمة لجولد زيهر وآرثر جفري وبرجستراسر

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: تعريف الاستشراق، لغة واصطلاحا:**

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف الاستشراق لغة.
- المطلب الثاني: تعريف الاستشراق اصطلاحا.
- المطلب الثالث : تعريف القراءة والرواية ، والقراءات، والقراءة المتواترة والشاذة لغة واصطلاحا:

- **المبحث الثاني: الترجمة لجولدزيهر وآرثر جفري، وبرجستراسر.**

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الترجمة لجولدزيهر.
- المطلب الثاني: الترجمة لآرثر جفري .
- المطلب الثالث: الترجمة لبرجستراسر.

المبحث الأول: تعريف الشبهة والاستشراق لغة واصطلاحا

المطلب الأول: تعريف الشبهة لغة واصطلاحا:

لغة: مفرد شُبَه، وشُبُهَات، واسم الفاعل مُشْتَبِهاتُ وهي المُشْكِلاتُ، والشُّبْهةُ الالتباسُ وأُمورٌ مُشْتَبِهةٌ ومُشَبِّهَةٌ وقيل في تفسير المتشابه بما يرادف معنى المجمل، وهو ما لم يُتَلَقَّ معناه من لفظه على أنه مرادف المحكم، وهو: المتضح المعنى، وشَبَّهَ عليه الأمر أي: خَلّطه عليه حتى التبس بغيره، واشْتَبَه عَلَيَّ، وتَشابَه الشيئانِ واشْتَبَها، أَشْبَهَ كلٌّ واحدٍ صاحِبَه، والمُتَشَابهات هي المتماثلات، فالشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ المِثْلُ، والجمع أَشْباهٌ"[1] والشبهة هي الإشكال والالتباس والاختلاط.

واصطلاحا: التباس الأمر بحيث لا يدرى فيه، ولا يتبين منه للبعض، وجه الحق من الباطل.

المطلب الثاني: تعريف الاستشراق لغة واصطلاحا:

الاستشراق لغة: الاستشراق لغة: مشتق من مادة شرق، يقال: شرقت الشمس شرْقا وشرُوقا، طلعت، ومعناها: طلب تعلم اللغة العربية؛ ليصبح من أهل الشرق[2] .والمستشرق من يطلب ذلك، وجمعه المستشرقون، واصطلاحا: علم يبحث فيه عن علوم الشرق الإسلامي، وحضارته، وأديانه، وآدابه، ولغاته، وثقافته، وغايته: السيطرة على العالم الشرقي[3]. ومن هنا يندرج بالأساس في "علم الاستشراق والتبشير" مادة "دفع الشبهات حول القرآن الكريم" والتي هي من علوم القرآن، لأنها ذات مباحث مشتركة بين علوم التفسير، والعقيدة، والحديث، والشريعة، واللغة.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٥٠٣/١٣) مادة شبه.

(٢) معجم أسماء المستشرقين، ليحي مراد، صفحة (٥) باختصار.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان، والمذاهب، والأحزاب المعاصرة، لمانع، بن حماد، الجهني (ط ٤ ، دار الندوة، سنة ١٤٢٠هـ) (٦٨٧/٢) بتصرف.

المطلب الثالث: تعريف القراءة والروايـة، والقراءات، والقراءة المتواترة والشاذة لغة واصطلاحا:

أولا: تعريف القراءة لغة واصطلاحا: القراءة لغة هي: مصدر الفعل قرأ يقرأ، ويقرُؤُ قراءة، وقرآنا فهو مَقْرُوءٌ، وأصل الكلمة يدور حول الضم والجمع"[١].

والقراءة اصطلاحا: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أم في نطق هيئاتها[٢].

وثانيا: تعريف الرواية اصطلاحا: هي ما ينسب للأخذ عن الإمام[٣] مثل روايتي شعبة وحفص عن عاصم. وثالثا: تعريف القراءات اصطلاحا: عرفها الزركشي في البرهان بأنها:"علم يبحث فيه عن اختلاف ألفاظ الوحى، في الحروف، أو كيفيتها، من تخفيف، وتشديد، وغيرهما"[٤] ورابعا: تعريف القراءة المتواترة: القراءة المتواترة، لغة: من (تواترت) الأشياء تتابعت[٥]. واصطلاحا هي: كل قراءة وافقت العربية مطلقا، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا، وتواتر نقلها"[٦]. وخامسا: تعريف القراءة الشاذة اصطلاحا: هي القراءة التي خالفت أحد شروط المتواترة، وقيل: هي القراءة التي نقلت بطريق الآحاد، وعرف بعضهم آحاد القراءات بأنها ما صح سنده، وخالف الرسم أو العربية، ولم يشتهر بين القراء[٧]وقيل: ما نقل قرآنا من غير تواتر واستفاضة متلقاة بالقبول من الأمة[٨].

---

(١) يتأمل لسان العرب، لأحمد بن منظور المصري (١١/٧٨-٧٩) مادة قرأ، بتصرف، واختصار.
(٢) مناهل العرفان، في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (١/٢٨٤) وينظر التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/٥١).
(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/٢٠١) بتصرف.
(٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/٣١٨) بتصرف يسير.
(٥) المعجم الوسيط (٢/٩٤٢) مادة (وتر) .
(٦) منجد المقرئين، ومرشد الطالبين، لابن الجزري، صفحة (١٨)
(٧) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١/ ٢٦٤).
(٨) البرهان في علوم القرآن (١/٣٣٢).

المبحث الثاني: الترجمة لجولد زيهر وآرثر جفري وبرجستراسر

المطلب الأول: الترجمة لجولد زيهر:

مَجَرِيٌّ عرف بعدائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، وَمِنْ مُحَرِّرِي "دائرة المعارف الإسلامية "كتب عن القرآن والحديث، ومن كتبه "مذاهب التفسير الإسلامي" المترجم للعربية بعنوان "المبشرون للبهي"[١] .

المطلب الثاني: الترجمة لآرثر جفري: ولد في ملبورن[٢] ١٨٩٢م وتخرج في جامعتها في ١٩١٨م وهو أسترالي الأصل، وحصل على الماجستير ١٩٢٠م وعمل أستاذا في مدرسة الدراسات الاستشراقية في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٢١م وحصل على درجة الدكتوراة ١٩٢٩م وتوفي بكندا ١٩٥٩م عن (٦٦) سنة، وكان موظفا بجامعة كولومبيا.

المطلب الثالث: التعريف ببرجستراسر:

جوتهلف برجشتريسر (بالألمانية) Gotthelf Bergsträßer (١٣٠٣ – ١٣٥٢ هـ/١٨٨٦ – ١٩٣٣م): مستشرق ألماني، مسيحي بروتستنتي لوثري؛ التحق بجامعة ليبزيج (١٩٠٤م) حيث تلتي الفلسفة، واللغات السامية، على أوجيست فيشر، ثم نال الدكتوراه من جامعة ليبزيج)١٩١١(وشهادة الأستاذية في اللغات السامية والعلوم الإسلامية)١٩١٢(ورحل إلى تركيا وفلسطين ودرس لهجاتها العامية، ومر بمصر في طريقه إلى ألمانيا برز في نحو العبرية، واللغات السامية بعامّة، وعني بدراسة اللهجات العربية، وبقراءات القرآن، وحاضر في جامعة القاهرة، وقد جمع الدكتور: محمد حمدي البكري محاضراته في كتاب أسماه: أصول نقد النصوص، ونشر الكتب، قصد الألب، وسقط عن أحد جباله سقطة أودت بحياته.[٣].

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير – الاستِشراق – الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، صفحة (٢).

(٢) توجد في أستراليا، وهي عاصمة ولاية فيكتوريا، وأكبر مدنها.

(٣) المستشرقون لنجيب العيفي (٧٤٧/٢) برجشتراسر، باختصار.

الفصل الثاني التمهيد ببيان مبادئ الإعجام والشكل، وبيان فضلهما، والحاجة للإعجام، وبدايته، وتأريخه، وسبب وضعه، وكيفيته، والفرق بينه وبين غيره، ومصدره، وحكم إعجام وشكل المصاحف العثمانية

ويحتوي على خمسة مباحث تمهيدية:

- المبحث الأول: التمهيد ببيان مباديء الإعجام والشكل. وفيه مطلبان:
  - **المطلب الأول: التعريف بالإعجام والنقط والشكل لغة واصطلاحا:**
  - **المطلب الثاني: نسبة الإعجام والتشكيل، وواضعهما واستمدادهما:**
  - **المبحث الثاني: بيان الحاجة إلى الإعجام، وبدايته. وفيه مطلبان:**
  - **المطلب الأول: تاريخ وبداية الإعجام.**
  - **المطلب الثاني: بيان أسماء المكلفين بإعجام المصحف العثماني.**
- المبحث الثالث: تأريخ الشكل، وبيان اهتمام الصحابة بالإعراب، وبيان أقوال العلماء في واضعه وسبب وضعه، وكيفيته، والفرق بينه وبين غيره، وبيان ومصدره. وفيه ثلاثة مطالب:
  - **المطلب الأول: تأريخ الشكل، بالنسبة للمصحف العثماني، واهتمام الصحابة به:**
  - **المطلب الثاني: بيان أقوال العلماء في واضع نقط الشكل، وبيان سبب وضع أبي الأسود الدؤلي للنقط، وكيفية وضعه، والفروق بين أنواع نقط:**
  - **المطلب الثالث: الفروق بين الإعجام، ونقط الإعراب لأبي الأسود الدؤلي، ونقط أهل المدينة، وبين نقط أبي الأسود والخليل، تأريخا وكيفية:**

- المبحث الرابع: حكم إعجام وشكل المصاحف العثمانية بنقط الإعراب أو بالحركات، بذكر من كرههما، وعللهم، وذكر من استحب إعجام المصاحف العثمانية ونقطها إعرابا، وذكر من قال بجواز نقط الإعراب، وذكر من قال بجواز الإعجام ونقط الإعراب، واختلافهم والراجح منها، وفيه ثلاثة مطالب:
  - **المطلب الأول: ذكر القائلين بكراهة إعجام وشكل المصاحف العثمانية بنقط الإعراب، وعللهم:**
  - **المطلب الثاني: ذكر قول من قال بجواز نقط الإعراب (الشكل) وذكر من قال بجواز الإعجام ونقط الإعراب، واختلافهم بين الإيجاب والاستحباب، ورأيي في الراجح منهما:**
  - **المطلب الثالث: رأي الباحث في القول الراجح.**
- المبحث الخامس: الأدلة العقلية والتاريخية على وجود إعجام الخط العربي قبل العهد النبوي، وتقدمه على نسخ المصاحف العثمانية، ونقط الإعراب. وفيه مطلبان:
  - **المطلب الأول: الأدلة العقلية على وجود إعجام الخط العربي، قبل العهد النبوي، وتقدمه على نسخ المصاحف العثمانية، ونقط الإعراب:**
  - **المطلب الثاني: الأدلة التاريخية على وجود إعجام الخط العربي قبل العهد النبوي، وتقدمه على نسخ المصاحف العثمانية، ونقط الإعراب.**

المبحث الأول: التمهيد ببيان مبادئ الإعجام والشكل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإعجام والنقط والشكل لغة واصطلاحا:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالإعجام لغة واصطلاحا:

الإعجام لغة: مصدر أَعْجَمْتُ الكتاب أُعْجِمهُ إعْجاماً ، إذا نقطته[١] وإعجامه إبهامه؛ لأن العجمي مبهم الكلام والحروف[٢] والمعجم معناه حروف الإعجام[٣] والإعجام إزالة العجمة، وذلك أن يَنْقُطَ أكثرها[٤] فهو من ألفاظ التضاد.

والإعجام اصطلاحا هو: علامة كتابية زائدة مستديرة، صغيرة جدا، تلحق الحروف العربية المتشابهة في سمتها، فرقا بينها وبين غيرها في صورة الخط[٥].

والمسألة الثانية: التعريف بالنقط لغة واصطلاحا:

النقط لغة هو: النُّقْطة اسم، وهي واحدة النُّقَط والمسائل، ونقَط الحرفَ نقطا أَعْجَمه، ونقَّط المصاحف تنْقِيطاً فهو مسائل"[٦] فهو متعدي، ومرادف للإعجام[٧]. والنقط اصطلاحا هو: علامة مستديرة صغيرة تجعل فوق، أو تحت؛ أو في جوف الحروف المعجمة لتميزها.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٣٨٥/١٢) مادة عجم.

(٢) تأمل المرجع السابق (٣٨٥/١٢) مادة عجم، باختصار.

(٣) النقط، لأبي عمرو الداني، صفحات (٣٥: ٣٧).

(٤) فيض القدير، لعبد الرؤوف المناوي، (١٧/١) ولسان العرب، لابن منظور (٣٨٥/١٢) مادة عجم.

(٥) وقيل: هو نقط الحروف. وعرفه الداني بإعجام الحروف في سمتها. وقال ابن درستويه:" زيادة تلحق الحرف فرقا بينه وبين غيره، كما يزاد الحرف على الكلمة فرقا بينها وبين غيرها رسم المصحف، للقدوري، صفحتا (٤٦٧، ٤٦٨) نقلا عن المحكم، في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني، صفحة (٣٦) والكتاب، لسيبويه، صفحة (٥١)

(٦) لسان العرب، لابن منظور (٤١٧/٧) مادة نقط، بتصرف يسر.

(٧) لسان العرب، لابن منظور (٣٥٩/٦) مادة نقط.

والمسألة الثالثة: التعريف بالشكل لغة واصطلاحا:

الشَّكْلُ لغة: من شَكَل الماضي بالفتح الشِّبْه، والمِثْل، وصورة الشيء المحسوسة والمُتَوَهَّمة، والجمع أَشكالٌ، وشُكُول... وشَكَل الكِتابَ شَكْلاً، وأَشْكَله أَعجمه ونقطه، أو قيده بالإعراب، أو أزال عنه الإشكال والالتباس .. وحَرْف مُشْكِلٌ مُشْتَبِهٌ ملتَبِس"(١). والتشكيل صح إطلاقه لغة على (الإعجام، ونقط الحركات) لأنه يزيل الإشكال والالتباس عن الحروف بتمييزها في الخط(٢) والنطق. والشكل اصطلاحا هو: رموز شديدة الصغر، تكتب على سطح مستو فوق الحروف أو تحتها؛ لضبطها(٣). وأرى أن حد الشكل المنسوب إلى الخليل بن أحمد بن عمرو، الأزدي الفراهيدي، هو: رموز حرفية صغيرة جدا، تكتب على سطح مستو فوق الحروف أو تحتها؛ لضبطها حركة وسكونا، وأن تعريف الشكل المنسوب إلى أبي الأسود –وهو نقط الإعراب– هو: علامة مستديرة، وصغيرة جدا، تضبط آخر حروف الكلمات، حسب العوامل.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٣٥٤/١) مادة شَكَلَ، ومختار الصحاح، للرازي، صفحة (١٦٥) مادة شكل.

(٢) الخط لغة: الطريقة المستطيلة في الشيء، والطريق الخفيف في السهل، وجمعه خطوط، واصطلاحا: عرفه صاحب الشافية بأنه: تصوير اللفظ، بحروف هجائية، وعرفه السيوطي في النقاية، وشرحا إتمام الدراية، بأنه: علم يبحث فيه عن كيفية كتابة الألفاظ، من مراعاة حروفها لفظا، أو أصلا، والزيادة، والنقص، والوصل، والفصل، والبدل. ا هـ ... وأما نسبته إلى غيره : فهو أنه من العلوم الأدبية، ونسبته إلى البنان، كنسبة النحو للسان، والمنطق للجنان –بفتح الجيم أي العقل–. إيقاظ الأعلام، لمحمد، حبيب الله الجكني، صفحات (٥–١١) باختصار يسير .

(٣) وقيل : ضبط الحروف حركة وسكونا. وقيل: إعلام الحرف بالحركة ". توجيه النظر إلى أصول الأثر، لطاهر الجزائري (٧٧٨/٢) . تطور المعنى اللغوي، في الإطلاق من مجرد نقط الحروف المتشابهة؛ لإزالة اللبس عنها، إلى إزالة ما يعرض للحرف من إشكال، بسبب خلوه من علامات الحركة والسكون أو الإعراب، ثم خصص المعنى الاصطلاحي لكل من المعنيين بمفهوم جديد.

المطلب الثاني: نسبة الإعجام والتشكيل، وواضعهما واستمدادهما:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: بيان نسبة الإعجام والتشكيل: ينسب الإعجام والتشكيل بإطلاق إلى علم الخط العربي، وبقيد المصحف إلى علم الرسم العثماني.

والمسألة الثانية: بيان واضع الإعجام بإطلاق ومقيدا، وواضع التشكيل: في واضعه بإطلاق عدة أقوال: أولها: يحتمل أن وضعه حصل في السماء، بقدرة الله –تعالى– وثانيها: قيل وجد مع وضع الحروف، وفيه قولان: أولهما: أن واضع اللغة هو الله، بتعليمه لآدم–عليه السلام– الأسماء كلها عندما جعله خليفة في الأرض، قال–تعالى–:(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ)[1] أي ذواتا وأفعالا وقيل: علمه أسماء كل شيء، بما فيها الخط العربي الرامز لنطقها"[2]وثانيهما: الواضع آدم –عليه السلام– بما علمه الله إياه، قال –تعالى–:(خَلَقَ الإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)[3] والخط نوع من أنواع البيان، وقد قيل: ﴿آدم هو أول من وضع الخطوط من العربي والسرياني والكتب كلها، بأن كتبها في طين وطبخه، وذلك قبل موته بثلاثمائة سنة، فلما أظل الأرضَ الغرق، أصاب كلُّ قوم كتابَهم، وثالثها: قيل وجد قبل

---

(١) سورة البقرة، من الآية (٣١).

(٢) قال الدكتور جواد علي: "" أقلام العربية القديمة، هي مثل الأقلام السامية الأخرى، مؤلفة من حروف صامتة فقط، ولا توجد فيها حروف تمثل الحركات، وتكتب في الكلمة، كما هو الحال في (اليونانية، وفي اللاتينية، وفي الأبجديات الغربية الأخرى، المشتقة منهما) فيقرأ (الإنسان) الكلمة قراءة صحيحة، بغير خطأ؛ لوجود حروف الحركات، مع الحروف الصامتة، ويكتب كتابة صحيحة؛ لأنه حين يكتب الكلمة ويلفظها، يكتبها بحروف صامتة، وبحروف الحركات، فمثلا كلة (محمد) تكتب بالصامت والمتحرك هكذا م (و) ح (ا) م (ا) د وكلمة (حماد) تكتب هكذا (حمماد) وفي القرآن(والسماء) تكتب هكذا (وسسمااء) فهنا تلاحظ وجود حروف، تكتب ولا تنطق، وهي الألف واللام الشمسية (٢). المفصل في تاريخ العرب (٢١٧/١٥) باختصار يسير.

(٣) سورة الرحمن الآيتان (٣، ٤) .

العهد النبوي بعدة قرون، وفقا لاستقراء النقوش المنحوتة على الصخور. وقيل: أقرب من ذلك، فروى عن هشام الكلبي، أنه قال: "أسلم[١] – بن خدرة، أول من وضع الإعجام والنقط" قلت: لعله أول من أكثر من استعماله، ثم انتشر في أواخر عهد الصحابة[٢] والراجح الأول والثاني، وأنه توقيفي وجد مع وجود الحروف، وواضع الإعجام بتقييد الإضافة إلى المصحف كاملا، لأهل المغرب هو نصر بن عاصم الليثي، ت ٩٠هـ[٣]

---

(١) وفي رواية أخرى عامر.

(٢) أو أوائل عصر التابعين. تأمل المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني، صفحة (١٩) والنقط، له أيضا، صفحة (١) .

(٣) قال أبو عمرو الداني : "قال غير الخليل:" وأهل المغرب ينقطون (الفاء) بواحدة من تحتها، و(القاف) بواحدة من فوقها، وكلهم أراد الفرق بينهما بذلك، ورأيت بعض العلماء علل النقط، فقال: " ... فنقطوا الفاء واحدة من فوق، ونقطوا القاف اثنين من فوق، وجعلوا نقط الجميع من فوق؛ لأن مخرج لفظهما مفتوح" النقط، صفحات (٣٥: ٣٧). قال الزرقاني :"إعجام المصاحف، لم يحدث على المشهور، إلا في عهد عبد الملك، بن مروان، إذ رأى أن رقعة الإسلام، قد اتسعت، واختلط العرب بالعجم، وكادت أن تغير في لغتها، فأمر الحجاج، أن يعنى بهذا الأمر الجلل، وندب الحجاج، طاعة لأمير المؤمنين، رجلين يعالجان هذا المشكل، هما : نصر، بن عاصم، الليثي، ويحيى، بن يعمر، العدواني ... وقد اشتركا أيضا في التلمذة، والأخذ عن أبي الأسود الدؤلي، ويرحم الله هذين الشيخين، فقد نجحا في هذه المحاولة، وأعجما المصحف الشريف، لأول مرة، ونقطا جميع حروفه المتشابهة، والتزما ألا تزيد النقط في أي حرف، على ثلاث . وقيل : إن أول من نقط المصحف، أبو الأسود الدؤلي، وإن ابن سيرين، كان له مصحف منقوط، نقطه يحيى، بن يعمر. ويمكن التوفيق بين هذه الأقوال، بأن أبا الأسود، أول من نقط المصحف، ولكن بصفة فردية، ثم تبعه ابن سيرين، وأن عبد الملك، أول من نقط المصحف، ولكن بصفة رسمية عامة، ذاعت وشاعت بين الناس، دفعا للبس والإشكال عنهم، في قراءة القرآن" مناهل العرفان، للزرقاني (٢٨١/١) . قال أبو عمرو : يحتمل أن يكون يحيى ونصر، أول من نقطاها للناس بالبصرة، وأخذا ذلك عن أبي الأسود، إذ كان السابق إلى ذلك، والمبتدئ به، وهو الذي جعل =

(الحركات والتنوين لا غير) على ما تقدم في الخبر عنه، ثم جعل الخليل، بن احمد، الهمز، والتشديد، والروم، والإشمام، وقفا الناس في ذلك أثرهما، واتبعوا فيه سنتهما، وانتشر ذلك في سائر البلدان، وظهر العمل به في كل عصر وأوان، والحمد لله على كل حال . المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو، الداني، صفحة (٦) قلت: قول أبي عمرو الداني، عن أبي الأسود الدؤلي: "وهو الذي جعل الحركات والتنوين" يعني : الحركات من فتح، وضم، وكسر، فيه نظر؛ لأن أبا عمرو، يرى أن أبا الأسود الدؤلي، علم يحي، ونصرا، مبادئ كيفية النقط، الذي هو الإعجام، ولكن تعبيره بالحركات غير صحيح؛ لأنه واضع الحركات هو الخليل بن أحمد، وَفق ما أوضح هو نفسه في المحكم في نقط المصاحف. تأمل، صفحة (٧). ولي ملحوظات على مقولة الشيخ عبد العظيم الزرقاني، أولها: أن القول بأن ابن سيرين كان له مصحف منقوط، قول مرسل، ليس فيه نسبة نقط الإعراب إلى ابن سيرين، حتى يتوهم أنه واضعه، ويتكلف الجمع بينه وبين قول من قال: إن أول من وضع الإعراب أبو الأسود الدؤلي، إذ لم يرد اختلاف في هذا، وأما يحي بن يعمر، الذي ورد أنه كتب المصحف لابن سيرين، فهو الذي طلب علم الخط من أبي الأسود الدؤلي، وأول من نقط المصحف العثماني كاملا بشكل رسمي، بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان له مصحف خاص منقوط، فيترجح أنه نقطه له دون أمر من ابن سيرين، وإنما لسبب آخر، وقد نقطه نقط إعراب لفرد، فيكون عملا فرديا غير رسمي وثانيها: أنه نسب النقط إلى عبد الملك بن مروان، ولم يقيده، وهو نقط إعجام، وقيده بقوله : "بصفة رسمية عامة ذاعت وشاعت بين الناس" وقسم الفريقين على أنهما من طريق واحد، وينقسمان إلى ما كان بصفة فردية، وما كان بصفة رسمية، ولا يسلم له، لما أخرجه أبو عمرو الداني بسنده، عن العتبي، من رواية، تفيد أن نقط الإعراب لأبي الأسود الدؤلي، كان بصفة رسمية عامة ذاعت وشاعت بين الناس؛ لأنه كان بأمر من معاوية –رضي الله عنه– لزياد بن أبي سفيان، ومن زياد، لأبي الأسود الدؤلي، غاية ما هنالك، أن عبد الملك بن مروان، توسع بإدخال الإعجام في المكتوبات الرسمية للدولة الأموية بخط السلطنة، وهو ما لا صلة بينه وبين الحديث عن أول من أعجم المصحف كاملا بصفة رسمية عامة، وثالثها: قال بأن أبا الأسود الدؤلي، هو أول من نقط المصحف ولكن بصفة فردية، ثم تبعه ابن سيرين، وهذا ترتيب صحيح؛ لأن يحي، بن يعمر، العدواني كتب مصحفا، لمحمد، بن سيرين، بطريقة أبي الأسود الدؤلي– البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢٥٠/١).–
=

ولأهل المشرق يحي بن يَعْمُر العدواني[١] توفي قبل سنة تسعين هجريا[٢]. وأول من وضع نقط الإعراب أبو الأسود الدؤلي، وأول من وضع حركات التشكيل بدلا من نقط الإعراب، الخليلُ الفراهيدي[٣].

والمسألة الثالثة: بيان استمداد الإعجام والشكل وحركاته: وجد الإعجام مع وجود الخط العربي للحروف والكلمات، على الراجح من الأقوال، فاستمداده من علم الله – تعالى– الذي علمه لآدم– عليه السلام– واستمد "نقط الإعراب" من علم الخطوط، فقيل إن أبا الأسود الدؤلي ت ٦٩هـ اقتبسه واستمده من النقط في الخط (النسطوري السرياني) أو النبطي المتأخر[٤] لأنه تعلم قاعدة التنقيط منهم، حيث وضع يعقوب الرُّهَاويّ قبل زمن طويل النقط في حشو الحروف، ثم تطور إلى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث،

وحيث يمكن الجمع والترجيح، فالجمع أولى منه في الصحيح، ولكن الذي يؤخذ عليه هو عدم تقييده للنقط، هل هو نقط إعجام أو نقط إعراب، وعدم تفريقه بين نقط أبي الأسود الذي كان نقط إعراب، ونقط نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر العدواني، الذي كان نقط إعجام للحروف المتشابهة، تمييزا بينها، فهذا التقييد هو الذي يجمع بين تلك الأقوال، وما ذكره يصلح فحسب للجمع بين قول من قال: إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي، وقول من قال : إن ابن سيرين كان له مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر، فالظاهر أنه ظن أن النقط نقط واحد، هو الإعجام أو الحروف المتشابهة تمييزا بينها، فجمع بينها بهذا الجمع الذي يؤخذ عليه.

(١) يحي بن يعمر الوشقي القاضي، حدث عن عن عائشة، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر، ركان من علماء التابعين، عارفا بالحديث والفقه ولغات العرب، ولد بالأهواز وسكن البصرة، وأخذ النحو عن أبي الاسود الدؤلي وقرأ عليه القرآن، وروى القراءة عرضا على أبي عمرو ابن العلاء. وقيل: إنه كان أول من نقط المصاحف، وذلك قبل أن يوجد تشكيل الكتابة بمدة طويلة، توفي قبل التسعين. ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٤٤١– ٤٤٣) برقم: ١٧٠ . الأعلام، لخير الدين الزركلي(١٧٧/٨) باختصار.

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٤٣/٤) برقم: ١٧٠.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور: جواد علي (٤٤/١٧) بتصرف.

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور: جواد علي (٢٩/٢) .

ولا تزال عندهم إلى اليوم[١][٢].وهو أول من طبق ذلك على المصحف العثماني، وتبعه طلاب علمه، ومنهم يحي، بن يعمر، الذي كتب مصحفا كاملا، لمحمد، بن سيرين، بطريقة أبي الأسود الدؤلي[٣] وبعدها انتشر التشكيل، وجدده الخليل بحركاته ما بين أعوام-١٢٠-١٧٥هـ تقريبا. وقد استمد "حركات التشكيل" من اليونانيين؛ لأنهم وضعوا الحروف الصامتة التي على هيئة الحركات؛ لتمييز كيفية نطق حروف الكلمات من مخارجها (فتحا وضما وكسرا وسكونا) جنبا إلى جنب مع الحروف المتحركة، وأما هو فوضعها فوق الحرف أو تحته، وقد لونها، وحدد عددها، وجعل كتابتها مناسبة للأوراق، بمختلف أحجامها[٤].

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (٢٩/١٢) باختصار يسير جدا.

(٢) يوجد في دار الكتب المصرية، مصحف كوفي، وفي جامع عمرو بن العاص، بالقاهرة، ويعود إلى العصر العباسي-١٣٢هـ إلى ٦٥٦هـ- وهو مكتوب على رقوق كبيرة، بمداد أسود، وفيه نقط حمراء اللون، كما وصفها أبو الأسود . المفصل، للدكتور: جواد علي (٣٠٨/١٣) باختصار يسير جدا.

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢٥٠/١).

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (٢٨/١٢) .

المبحث الثاني: بيان الحاجة إلى الإعجام، وبدايته

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تاريخ وبداية الإعجام:

قيل: بدأت الحاجة إلى الإعجام مع وجود الحروف، إذ يبعد كل البعد، أن تكون الحروف موضوعة هكذا، في أول أمرها، وإلا لزم لبسٌ مناف لحكمة الواضعين[١] ولم يكن الكتاب في العهد النبوي في حاجة كبيرة إلى الإعجام[٢] لسلامة فطرهم، وتمكنهم من اللغة، وإذا افترضناه، فقد كان بإمكانهم استخدام الوصف اللفظي مع السماع والمشافهة، والحق أن الحاجة اشتدت إلى الإعجام وظهرت في عصر عبد الملك، بن مروان[٣] والحجاج، بن يوسف، الثقفي، وقد تولى الحجاز سنتين والعراق عشرين سنة، من ٧٥هـ إلى ٩٥هـ .

المطلب الثاني: بيان أسماء المكلفين بإعجام المصحف العثماني:

كلف الحجاج بن يوسف الثقفي[٤]يحي، بن يعمر، العدواني، القاضي ت قبل التسعين هجريا، والحسن البصري[٥] بنقط المصاحف العثمانية نقط إعجام.

---

(١) تاريخ الأدب، لحفني ناصف صفحتا (٨٨- ٨٩) بنصرف وقصة الكتابة العربية (٤٣).

(٢) قصة الكتابة العربية، لإبراهيم جمعة، صفحة (٤٢).س

(٣) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي (٢٦ – ٨٦ هـ) المدني ثم الدمشقي من الرابعة، كان طالب علم قبل الخلافة ثم انتقلت إليه الخلافة (سنة ٦٥ هـ) ملك ثلاث عشرة سنة استقلالا، وقبلها منازعا لابن الزبير تسع سنين، في أيامه ضبطت الحروف بالنقط والحركات. ينظر تقريبت التهذيب لابن حجر(٦٢٠/١) والأعلام، للزركلي (١٦٥/٤) باختصار.

(٤) من تولي الحجاج الثقفي، حكم العراق سنة ٧٥ هـ إلى وفاة عبد الملك بن مروان سنة ٨٦ هـ.

(٥) فضائل القرآن، لابن كثير (١٤٩/١) كتاب المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني (٦).

المبحث الثالث: تأريخ الشكل، وبيان اهتمام الصحابة بالإعراب، وبيان أقوال العلماء في واضعه وسبب وضعه، وكيفيته، والفرق بينه وبين غيره، وبيان مصدره.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تأريخ الشكل، بالنسبة للمصحف العثماني، واهتمام الصحابة به:

وفيه مسألتان: المسألة الأولى: بيان وجود الإعراب، والحركات في هيئة الوصف اللفظي: في البدء كانت كيفية النطق بالحركات موجودة لفظا، ولم يكن لها ما يمثلها في الرسم، بمعنى ما ينوب عنها رسما فوق الحروف أو تحتها، كأن يقولوا:"بضم الشفتين، وفتح الشفتين، وزمِّ الشفتين –للكسر والسكون–" وقالوا: الإشمام ضم الشفتين من غير صوت مع فرجة بينهما، ويؤكد ذلك أن أبا الدرداء طلب رجلا "لقنا"(١) عارفا بصفات الحروف، وما يعبر عنها بالوصف الكتابي. المسألة الثانية: بيان اهتمام الصحابة بالإعراب والإعجام: اهتم الصحابة بالإعراب، فروي عن أبي بكر وعمر أنهما قالا:"إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه"(٢) وقال ابن مسعود:"وأعربوه فإنه عربي، والله يحب أن يعرب به(٣).قال السمين الحلبي:«وقرأ يحيى بن يعمر:"وَخَلْقهم"(٤) بسكون اللام. قال الشيخ–يعني أبا حيان صاحب البحر المحيط–:"وكذا في مصحف عبد الله". قلت: قوله"وكذا في مصحف عبد الله" فيه نظر من حيث إن الشكل الاصطلاحي– أعني ما يدل على الحركات الثلاث، وما يدل على السكون كالجزء منه– كانت مصاحفُ السَّلفِ

(١) المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني، صفحات (٦: ٩).
(٢) كنز العمال، للبرهان فوري (٣٣٦/٢) برقم:" ٤١٧٦ عن محمد بن عبد الرحمن، النخعي، الكوفي ثقة من السادسة. يروي عن أبيه عن عبد الله بن مسعود، ففي هذا الرواية تدليس لا يضر حيث علمت الدلسة، وصاحبها ثقة، وأبو بكر عبد الرحمن بن يزيد بن قيس، النخعي، الكوفي، ثقة، مات سنة ثلاث وثمانين. ينظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٥٩٦/١) (١٠٦/٢) والحديث ضعيف، ولكنه في مناقب اللغة العربية، فيحتج به عند طائفة من العلماء.
(٣) الجامع، للقرطبي (٢٣/١) رواية منقطعة، رواها الضحاك عنه.
(٤) قراءة لقوله تعالى (وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) جزء آية من سورة الأنعام برقم (١٠٠).

منها مجردة، والضبط الموجود بين أيدينا اليوم أمرٌ حادث، يقال: إن أول مَنْ أحدثه يحيى بن يعمر، فكيف يُنسب ذلك لمصحف عبد الله بن مسعود؟[١] قلت: لعله ضبط الكلمة بالوصف اللفظي أي كتب جملة:"بسكون اللام".

المطلب الثاني: بيان أقوال العلماء في واضع نقط الشكل، وبيان سبب وضع أبي الأسود الدؤلي للنقط، وكيفية وضعه، والفروق بين أنواع النقط:

ورد ثلاثة أقوال في أوائل واضعي النقط، فالقول الأول: أبو الأسود الدؤلي النحوي؛ ما بين ٤٤هـ-٤٧هـ وورد في سبب وضع أبي الأسود الدؤلي لنقط الإعراب روايتان:

الرواية الأولى تجعل وضع نقط الإعراب خاصا غير رسمي[٢] والثانية تجعله عاما رسميا بتكليف من ولي الأمر[٣]

---

(١) الدر المصون، للسمين الحلبي (٨٦/٥) وما بين الشرطتين زيادة من عندي للإيضاح.

(٢) كان أبو الأسود، قد أراد أن يعمل كتابا في العربية، يقّوم الناس به ما فسد من كلامهم، إذ كان ذلك قد فشا في خواصّ الناس وعوامهّم...صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي، (١٥٥/٣).

(٣) أخرج أبو عمرو الداني في نقط المصاحف بسنده إلى العتبي قال: كتب معاوية -ﷺ- إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه، فلما قدم عليه كلمه، فوجده يلحن، فرده إلى زياد، وكتب إليه كتابا يلومه فيه، ويقول: أمثل عبيد الله يضيع، فبعث زياد إلى أبي الأسود، فقال: يا أبا الأسود، إن هذه الحمراء قد كثرت، وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم، ويعربون به كتاب الله -تعالى- فأبى ذلك أبو الأسود، وكره إجابة زياد إلى ما سأل، فوجه زياد رجلا، فقال له: اقعد في طريق أبي الأسود، فإذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن، وتعمد اللحن فيه ففعل ذلك، فلما مر به أبو الاسود، رفع الرجل صوته، فقال: (إن الله بريء من المشركين ورسولِهِ) -سورة التوبة، من الآية (٢)- فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم رجع من فوره إلى زياد، فقال: يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن إلي ثلاثين رجلا، فأحضرهم زياد، فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل يختار منهم، حتى اختار رجلا من عبد القيس، فقال: خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف...إلى آخره" المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني، صفحتا (٣، ٤).

والقول الثاني: يحي بن يعمر العدواني، والقول الثالث: نصر بن عاصم الليثي البصري، وعنه أخذ أهل المدينة النقط[١].

المطلب الثالث: الفروق بين الإعجام، ونقط الإعراب لأبي الأسود الدؤلي، ونقط أهل المدينة، وبين نقط أبي الأسود والخليل، تأريخا وكيفية: وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان الفرق بين نقط الإعراب، لأبي الأسود الدؤلي، ونقط أهل المدينة، والفرق تأريخا بين الإعجام، ونقط الإعراب، لأبي الأسود الدؤلي، وتجديد الخليل لنقط أبي الأسود:

وفيها محوران: **المحور الأول:** بيان الفرق بين نقط الإعراب، لأبي الأسود الدؤلي، ونقط أهل المدينة: تشبيه نقط أهل المدينة بنقط أبي الأسود؛ لاشتراكهما في الشبه من حيث الوسيلة في أنهما يكتبان على هيئة نقط؛ لمقصد واحد هو التمييز، إلا أن نقط أبي الأسود، كان نقط إعراب يبين موقع الكلمة من الإعراب، وأما نقط أهل المدنية فكان نقط لهجات؛ لأنه للهمزتين إذا اجتمعا للدلالة على مقصد تسهيلها لا تحقيقها؛ ولأن أغلب الحجازيين كانوا لا يهمزون ، وغيرهم من العرب يهمز.

المحور الثاني: بيان الفرق تأريخا بين الإعجام، ونقط الإعراب لأبي الأسود الدؤلي، وتجديد الخليل لنقط أبي الأسود:

يتبين الفرق تأريخا في أن النقط لتمييز الحروف (الإعجام) بدأ قبل العهد النبوي بقرون، ثم انتشر في أواخر عهد الصحابة[٢] وقيل: وجد مع وضع الحروف، وأما نقط الإعراب لتمييز بعض حركات الكلمة عن طريق الكتابة أو الشكل، فبدأ مع أبي الأسود

(١) تأمل المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني، صفحة (٧) وكان لتمييز الهمزة المحققة.

(٢) قيل: لم يكن الإعجام شائعا، حتى كتب عثمان إلى أهل مصر، عن عامله:" إذا جاءكم فاقبلوه فصحفوها: "فاقتلوه" فجرى ما جرى، وكانت الفتنة، ومقتل عثمان –ﷺ–" –تدريب الراوي، في شرح تقريب النواوي، للسيوطي (٦٨/٢)– فزاد بعدها الإعجام في المكتوبات.

الدؤلي، فيما بين ٤٤- ٤٧هـ[١] وقد ورد أنه كان لأبي الأسود الدؤلي، مصحف منقوط، كتبه بنفسه[٢] أي نقط إعراب، وكان لمحمد بن سيرين[٣] آخر، كتبه له يحي، بن يعمر[٤] وهو نقط إعراب، وكان ليحي بن يعمر مصحف منقوط، أي نقط إعراب، فهؤلاء أربعة من جلة التابعين البصريين استعلموا النقط في تشكيل المصحف العثماني الشريف كاملا، والنقط عموما علامة صغيرة جدا على سطح مستوٍ، وقد استعمل كوسيلة واحدة لمقصدين من الإعجام، ونقط الإعراب، ويتضح الفرق بين الإعجام، ونقط الإعراب في أن تنقيط أبي الأسود للحروف كان شكلاً، وضبطا لحركة آخر حرف في الكلمة، من حيث الضم أو الفتح أو الكسر أو السكون، حسب العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرًا، ولم يكن إعجاماً، أي نقطا للحروف المتشابهة في الصورة؛ لإزالة اللبس بينها، ولكن لما كان كل منهما تنقيطا، وقع البعض في لبس منهما، وظل نقط الإعراب متبعا إلى أن اخترع الخليل بن أحمد الفراهيدي "الحركات" فقامت، مقام "نقط الإعراب" لأبي الأسود الدؤلي على مدى طويل؛ (لأنه قد ظل النقط الدال على الشَّكْلَ أو "نقط الإعراب" بلون واحد هو

(١) بدليل أنه عثر على مصحف؛ لعقبة، بن نافع الفهري سنة ٤٧ كتبه له خديج، بن معاوية، بن مسلمة، الأنصاري سنة ٤٧هـ أو ٤٩هـ بمدينة القيروان برسم الأمير عقبة بن نافع الفهري القرشي، وكان منقوطا بدوائر؛ لضبط الشكل وهو موجود بمكتبة طوب قبو سراي باستامبول (أمانة رقم ٤٤) وانظر صورة ورقة منه، بكتاب رسم المصحف، للقدوري وقال: إنها رقم (1 b) وهذا بعد كتابة المصحف العثماني بـ ١٩ عاما رسم المصحف، للدكتور: غانم الحمد القدُورِي، صفحة (٦٦٠) وقيل: كتبه عقبة بن عامر-عقبة بن نافع وعامر من أجداده- بخط يده. الأنساب، لعبد الكريم السمعاني (١٣٤/٢) وجعل كاتبه المدار في نقطه على ما قد يلتبس على القارِئ.

(٢) قصة الكتابة العربية، لإبراهيم جمعة، صفحة (٤٤).

(٣) ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ومات في شوال سنة عشر ومئة (١١٠هـ) تهذيب الكمال، للمزي (٣٥٤/٢٥). وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٦٠٦/٤) برقم: ٢٤٦.

(٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢٥٠/١).

اللون الأحمر، مخالفا للون الخط الأسود، إلى زمان الغاز بن قيس صاحب نافع بن أبي نعيم –رحمه الله–)"[١].

المسألة الثانية: الفرق بين نقط أبي الأسود، والخليل تأريخا وكيفية:

سبق نقط أبي الأسود ت ٦٩هـ (نقط الإعراب) حركات الخليل الفراهيدي، صاحب العروض، لأنه كان تقريبا بين١٢٠–١٧٠هـ–[٢] وهم أعم من نقط أبي الأسود؛ لأن الأخير خاص بأواخر حروف الكلمات، فهو نقط إعراب، وقد جعل نقط الإعراب والتنوين لا غير، وكانت علاماته نقطا بالحُمْرة غير لون المداد، وكانت رموزه للفتحة نقطةً فوق الحرف، وللكسرة نقطة تحت الحرف، وللضمة نقطة في جوف الحرف، وهي علامات الإعراب الخطية، إذ الشكل الخطي الصحيح، مقيد بالإعراب نطقا صحيحا، وفي تكملة وصف كيفية نقط أبي الأسود وتجديده يقول الكردي: "وترك أبو الأسود الدؤلي السكون بلا علامة، فأخذ الناس هذه الطريقة عنه، وكانوا يسمون هذه النقط (شكلا) ثم تفننوا في هيئة النقط، فمنهم من جعلها مربعة، ومنهم من جعلها مدورة[٣].

(١) النقط، لأبي عمرو، الداني، صفحة (١) ، وصفحة (٢٠).

(٢) ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣٠/٧) والأعلام، للزركلي (٣١٤/٢) ووفيات الأعيان، لابن خلكان (٢٤٤/٢).

(٣) تاريخ القرآن الكريم، للكردي، صفحة (١٨٠) وقيل: نصر بن عاصم الليثي، وقيل: يحي بن يعمر، وإنما هما أول من نقط المصحف نقط تمييز الحروف المتشابهة؛ لتمييز بعضها من بعضها، وإن ثبت عن يحي بن يعمر نقطه مصحفا نقط إعراب، لأن نصر بن عاصم الليثي نقط المصحف كله، ولكن بخطوط مائلة صغيرة، حتى لا تختلط مع نقط التشكيل أو الإعراب، ونقطه على طريقة أهل المغرب، وتبعه يحي بن يعمر المتوفى قبل التسعين هجريا، فوضع الإعجام بمداد الكتابة نفسه، لأن نقط الحرف جزء منه، قصة الكتابة العربية، لإبراهيم جمعة، صفحة (٤٥) وتهذيب الكمال للمزي (٥٤/٣٢) بتصرف وزيادة يسيرين.

وأما حركات الخليل فتتميز من جهتين:

أولاهما: أنه يعم حروف الكلمة كلها. **وثانيهما:** أنه جعله على هيئة حروف مصغرة، لا تلتبس بالإعجام الذي يميز الحروف المتشابهة في الرسم، بخلاف أبي الأسود الذي كان إعرابه نقطا أيضا، مثل الإعجام، فوجد الناس في حركات الخليل للشكل سهولة، مكنتهم من التفريق بين إعجام الحروف وتشكيلها، فخصصوا النقط بالإعجام، والحركات بالشكل، وبذلك زال اللبس، ثم أحدث الخليل، الفراهيدى، ما بينه قول أبي عمرو الداني، في كتاب نقط المصاحف: "الخليل، بن أحمد هو الذي جعل الهمز... "[(١)].وفي بيان اختلاف حركات الخليل عن غيرها في الكيفية قال أبو الحسن، بن كيسان، قال محمد، بن يزيد: الشكل الذي في الكتب، من عمل الخليل، وهو مأخوذ من صور الحروف، (فالضمة) واو صغيرة الصورة، في أعلى الحرف، لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، (والكسرة) ياء تحت الحرف، (والفتحة) ألف مبطوحة فوق الحرف"[(٢)]. وقال الباحث إبراهيم جمعة:"فإذا كان الحرف المحرك منونا كررت العلامة، فتكتب مرتين فوق الحرف أو تحته أو أمامه، وللهمزة رأس عين (ع) لقرب ما بين الهمزة والعين من المخرج، ولألف الوصل رأس صاد (صـ) وللمد الواجب (ميما صغيرة مع جزء من الدال) فغدا ممكنا بعد هذا الإصلاح أن يجمع الكاتب بين شكل الكتاب، ونقطه بلون واحد دون لبس بينهما"[(٣)].

---

(١) والتشديد، والرُّوم، والإشمام. النقط، لأبي عمرو الداني، صفحة (١) ووضع الخليل دوائر سوداء لتدل على الروم والإشمام.

(٢)"وهو من أحدث (الشدة، والمدة، والهمزة وعلامة السكون وعلامة الوصل) كما جعل على الحرف المشدد، ثلاث سنات، وأخذه من أول شديد، فإذا كان خفيفا، جعل عليه خاء، وأخذه من أول خفيف "النقط، لأبي عمرو، الداني، صفحة (٧) بتصرف يسير، وروى عن قالون قوله بأن في مصاحف أهل المدينة ما كان من حرف مشدد، فعليه دال، وفتحه الدال فوق، قال: وإن كان يرجع إلى الكسر، فمن تحت الحرف، قال أبو عمرو: ولم يذكر قالون الضم" المحكم، لأبي عمرو الداني، صفحة (٥٠).

(٣) قصة الكتابة العربية، لإبراهيم جمعة، صفحة (٤٦).

المبحث الرابع:

حكم إعجام وشكل المصاحف العثمانية بنقط الإعراب أو بالحركات، بذكر من كرههما، وعللهم، وذكر من استحب إعجام المصاحف العثمانية ونقطها إعرابا وذكر من قال بجواز نقط الإعراب، وذكر من قال بجواز الإعجام ونقط الإعراب، واختلافهم، والراجح منها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ذكر القائلين بكراهة إعجام و شكل المصاحف العثمانية بنقط الإعراب، وعللهم:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ذكر القائلين بكراهية إعجام وشكل المصاحف العثمانية بنقط الإعراب من الصحابة، وعللهم، وكراهية أبي عمرو الداني لحركات الخليل:

وفيها محوران : المحور الأول: ذكر القائلين بكراهية إعجام المصاحف العثمانية من الصحابة:

بالنسبة إلى كراهة إعجام المصاحف الأمهات، فإنه يفهم من أمر ابن مسعود –رضي الله عنه– بتجريد المصاحف من النقط، كراهية ذلك، وكره السواد عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– وقال بذلك جماعة من التابعين[1]. وأما كراهة الإعجام ونقط الإعراب معا، فكرهه في أمهات المصاحف مالك بن أنس –رضي الله عنه– صاحب المذهب (م ٧٣هـ – ت ١٧٩هـ)[2] وكره محمد بن سيرين ت ١١٠هـ الإعجام، ونقط الإعراب، في إحدى الروايتين عنه،

(١) النقط، لأبي عمرو الداني، صفحة (١).

(٢) تقريب التهذيب، لابن حجر، العسقلاني (٥١٦/١).

وهو لم يدرك حركات الخليل، وأما كراهة الشعبي ت ١٠٩هـ[١] والنخعي ٩٦هـ[٢] للنقط، فإنما كرهاه في ذلك الزمان، خوفا من التغيير فيه، ومرادهما من النقط، كمراد ابن سيرين، وكرهه الإمام أحمد بن حنبل في رواية عنه. وأما كراهة حركات الخليل، فرأى أبو عمرو الداني ترك نقط الحركات للخليل، لأن نقط أبي الأسود أولى منه بالاتباع، ولأنه متضمن للحركات، فيمكن أن يتوسع في النقط، فلا يقتصر على آخر الكلمة، بل يعم جميع حروف الكلمة، فيستغنى به عن حركات الخليل.

والمحور الثاني: بيان علل كراهة بعض الصحابة إعجام وشكل المصاحف العثمانية بنقط الإعراب:

في عصر الصحابة، ووقت كتابة ونسخ المصاحف العثمانية، كره بعض الصحابة كعبد الله بن عمر، وجماعة من التابعين الإعجام لأمور خمسة: أولها: من باب سد الذرائع المعتد بها، وهو خشية سيلان المداد الأسود، من مواضع النقط على بعض الحروف، فتتغير ويقع التحريف، بسبب أن الحرف الذي كان يكتب بالمداد الأسود أيضا– وليس لإظلام الحرف؛ لأن نقط الإعراب، لم يكن قد انتشر بعد، حتى يقال ذلك– قال أبو عمرو الداني:"ألا ترى أنه ربما زيد في النقطة فتوهمت لأجل السواد الذي به ترسم الحروف أنها حرف من الكلمة، فزيد في تلاوتها لذلك، ولأجل هذا وردت الكراهة عمن تقدم من الصحابة وغيرهم في نقط المصاحف"[٣] ولطول مدة السفر بالمصاحف إلى البلاد التي أرسل إليها. وثانيها: لتحتمل المصاحف العثمانية الأمهات المرسلة إلى

(١) تاريخ خليفة، بن خياط، الليثي، صفحة (٢٦). وهو عامر، بن شراحيل، الهمداني المولود سنة ١٧هـ.

(٢) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، الكوفي الفقيه، ثقة، ت ٩٦هـ . تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (٦٩/١) برقم: ٢٧٠.

(٣) المحكم فينقط المصاحف لأبي عمرو الداني صفحة (١٩).

الأمصار قراءاتها بالقراءات المتواترة[١] بقدر الإمكان فيما ترجع أوجه الاختلاف فيه إلى الإعجام مثل (فَتَبَيَّنُوا) و(فَتَثَبَّتُوا)[٢] وثالثها: أنهم أرادوا الاختصار قدر الإمكان؛ لتقليل عدد المصاحف المنسوخة، حتى لا يشق عليهم استنساخ مصاحف كثيرة جدا، والمشقة تجلب التيسير، لا سيما وأن الأساس هو ضبط الصدور لا خط السطور، وقد نهجوا ذلك التخفيف عند الاقتصار على روايات القراء العشرة. ورابعها: كرهوا فتح هذا الباب بالإعجام؛ خوفا من أن يؤدي إلى إحداث زيادات من أسماء السور، وعدد الآي، ونحو ذلك؛ لترجيح جمهورهم تجريد القرآن في المصاحف الأمهات من كل ما ليس بقرآن، وأيده القلقشندي"[٣]. وبنحوه قال الغزالي[٤] وأبو رزين فيما روى عن أبو بكر بن السراج[٥]. وخامسها: في عصر القلقشندي، كرهوا الإعجام ونقط الإعراب، والحركات خشية إظلام الحروف بكثرة النقط[٦] وهذه العلل الخمس غير منضبطة لاختلافها باختلاف الأحوال والأزمان.

المسألة الثانية: ذكر حكم بعض التابعين، وعملهم، باستحباب إعجام المصاحف العثمانية، ونقطها إعرابا:

أجازه على سبيل الاستحباب مالك بن أنس، وثابت بن معبد، والأوزاعي، وابن أبي ليلى، كان من أنقط الناس لمصحف، وقد نسب للحسن البصري إعجام المصاحف كاملة، مع نصر بن عاصم الليثي، ويحي بن يعمر العدواني، وعبد الله بن أبي إسحاق

(١) صبح الأعشى، للقلقشندي (١٥٧/٣).
(٢) جامع البيان لابن جرير الطبري (٢٨٦/٢٢) والجملة تكررت في الآية (٩٤) من سورة النساء، ووردت في الآية (٦) من سورة الحجرات.
(٣) ينظر صبح الأعشى، للقلقشندي (١٥٧/٣).
(٤) تأمل إحياء علوم الدين، للغزالي (٢٧٧/١).
(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦٣/١).
(٦) صبح الأعشى، للقلقشندي (١٥٧/٣).

الحضرمي، وأنهم أول من نقطوا المصحف نقط إعجام بنقط بعض الحروف، مثل الباء، والياء، والتاء، والثاء، ورجع ابن سيرين، عن كراهيته لنقط الإعراب بعد علمه باختلاف لون المداد.

المطلب الثاني: ذكر قول من قال بجواز نقط الإعراب (الشكل) وذكر من قال بجواز الإعجام ونقط الإعراب، واختلافهم بين الإيجاب والاستحباب، ورأيي في الراجح منهما:

اختلف العلماء في حكم الشكل، فمنهم من ورد عنه بيان حكم الشكل فحسب، ومنهم من ورد عنه بيان حكم الشكل والإعجام، ومن ثم يدور الحديث حول ثلاثة محاور:

المحور الأول: ذكر قول من قال بجواز نقط الإعراب (الشكل): قال بجواز نقط الإعراب جمهور العلماء من التابعين وغيرهم، فلم يروا بأسا بنقط المصاحف شكلا ١- فنقط أبو الأسود الدؤلي مصحفا خاصا به نقط إعراب (الشكل) ٢-وربيعة بن عبد الرحمن ت ١٣٦هـ ٣- ومالك بن أنس صاحب المذهب ٤-والليث[١] ٥-وخديج بن معاوية. ٦- وعن الحسن البصري قال: "لا بأس بنقطها بالأحمر" وهو نقط الإعراب (الشكل) لأبي الأسود.٧-وقال خلف بن هشام البزار: " كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس، وينقطون مصاحفهم بقراءاته عليهم[٢]. وحكى أبو عمرو الداني الإجماع على الترخص في النقط، وفي رسم فواتح السور، وعدد آيها، ورسم الخموس، والعشور في

(١) النقط، لأبي عمرو الداني، صفحة (١٩ ،٥٠).

(٢) نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني، صفحتا (١٢، ١٣). قال الذهبي "قلت: لم يكن ظهر للناس الشكل بعد، إنما كانوا يعربون بالنقط" معرفة القراء الكبار (١٢٢/١) يعني بالشكل حركات الخليل.

مواضعها، دون مخالف من عصر التابعين إلى عصره[١][٢]. المحور الثاني: ذكر من قال بجواز الإعجام، ونقط الإعراب: قال بجواز إعجام المصاحف العثمانية، ونقطها نقط إعراب، من كبار العلماء الحافظ الأوزاعي[٣] والليث بن سعد[٤] وأبو عمرو الداني[٥] والغزالي[٦] والنووي الشافعي[٧] واللغوي أحمد بن علي القلقشندي الشافعي[٨] ٧-والشيخ عبد العظيم الزرقاني، وغيرهم من الأعلام المبرزين، والنجوم المتصدرين[٩].

المحور الثالث: ذكر اختلاف القائلين بجواز الإعجام، ونقط الإعراب، بين الإيجاب والاستحباب، والراجح منها: للقائلين بجواز الإعجام إيجابا أن يستدلوا بانعقاد الإجماع على الترخص في الإعجام[١٠] ونقط الإعراب، لكونهما وسيلة إلى تحقيق مصلحة معتد بها بالإجماع، وهي صيانة المصحف عن اللحن والتحريف والتصحيف، الذي حكمه

---

(١) النقط، لأبي عمرو الداني، صفحتا (١٩ ،٥٠).

(٢) وجه دلالته أن الإجماع ثابت بالكتاب والسنة، وإذا صحت حكايته، أو روايته، وثبت بشروطه فهو حجة على كل أهل عصره، فمن بعدهم، والإجماع يرفع القياس، لأنه لا يعتد بقياس مع وجود الإجماع؛ لفساد الاستدلال به، وسقوط اعتباره وبطلانه مع وجود الإجماع، وبناء عليه فإنه إذا تحقق للقراءة الإجماع، لم يردها قلة استعمال، ولا فشو لغة، ولا قياس عربية.

(٣) التاريخ الكبير، للبخاري (٣٢٦/٥).

(٤) نقط المصاحف، للداني، صفحة (١٣) وتقريب التهذيب ، لابن حجر (٤٨/٢).

(٥) انظر لترجمته: معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (٢٥٤/٦).

(٦) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار، البغدادي(٢٧/١).

(٧) انظر لترجمته معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (٢٠٢/١٣).

(٨) انظر لترجمته معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (٣١٧/١).

(٩) المجموع شرح المهذب، للنووي (٧١/٢) وبنحوه قال القلقشندي: راجع صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي (١٥٧/٣). وقال الشيخ ابن تيمية: "والصحيح أنه لا يكره؛ لأن الحاجة داعية إلى ذلك، ولا نزاع بين العلماء أن حكم (الشكل والنقط) حكم الحروف المكتوبة". مجموع الفتاوى (٤٨٤/١).

(١٠) النقط، لأبي عمرو الداني، صفحتا (١٩ ،٥٠).

الوجوب[1] والعلة المستنبطة المجمع عليها لا يشترط فيهما المناسبة، فما بالك والمناسبة متحققة، يقول الشيخ عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان:"الزمان تغير كما علمت، فاضطر المسلمون إلى إعجام المصحف، وشكله؛ لذلك السبب نفسه، أي للمحافظة على أداء القرآن، كما رسمه في المصحف، وخوفا من أن يؤدي تجرده من النقط والشكل، إلى التغيير فيه، فمعقول حينئذ، أن يزول القول بكراهة ذينك الإعجام والشكل، ويحل محله القول بوجوب، أو باستحباب الإعجام، والشكل؛ لما هو مقرر من أن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما"[2]. فالمناسبة هنا ضرورية؛ لحفظ الدين، بحفظ نصوصه، والضروري حكمه الإيجاب، وإذا كان النقط والشكل وسيلتاه اللتان لا يتأتى حفظ نصوص الدين دونهما، فإن ما لا يتأتى الواجب إلا به فهو واجب، وإذا كانت الحاجة ترفع الكراهة، فإن الضرورة ترفعها من باب أولى، لأنها تبيح المحظورات فالمكروهات من باب أولى؛ لضعف الكراهية عن التحريم، ولقاعدة الحاجة ترفع الكراهة إلى حكم آخر من (الإيجاب أو الإباحة أو الندب) وللقائلين باستحباب نقط المصاحف العثمانية وشكلها، أن يستدلوا بأن الأساس في نقل القرآن، حفظ الصدور، فلا تشتد الحاجة إلى نقطه أو شكله، ناهيك باستدعاء الضرورة له، فالمناسبة تحسينية، لأنه لا ضرر مترتب عليها لو قدرنا خلو المصحف منها، بدليل الواقع من أنه كان كذلك بعد نسخه في عهد عثمان –ﷺ– ولم يترتب عليه ضرر، وبناء على هذا الاختلاف، فإن حكم الإعجام، ونقط الإعراب للمصاحف العثمانية بعد تجديدهما، صار عند الفقهاء واجبا أو مستحبا .

---

(١) الإتقان، للسيوطي (٢٢٢/١) قال الله –تعالى– متوعدا على أي تبديل للقرآن:(ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمن ثم لقطعنا منه الوتين) –الحاقة من الآية (٤٤–٤٧) والنهي المقترن بالوعيد يفيد التحريم، فيكون تجنب أسبابه واجبا، ولأن الكذب مستحيل على الأنبياء بأدلة كثيرة من القرآن والسنة والإجماع والعقل دالة على عصمتهم منه، والدليل العقلي هو أن النبي يشهد الله بصدقه بتأييده بالمعجزات، وتصديق الكاذب محال عليه.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (٢٨٢/١) .

المطلب الثالث: رأي الباحث في القول الراجح:

أرى أن الاستحباب أرجح لقوة أدلته، التي بين الغزالي ثلاثة منها بقوله عن الإعجام:" يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه، ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها، فإنها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه ... وإذا لم يؤد إلى محظور، واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة، فلا بأس به"[(١)] ورابعها: من حيث اعتبار التناسب نجد أنه من المصالح المرسلة التي تتفق مع مقاصد الشريعة، ولم يرد دليل شرعي باعتبارها أو إلغائها[(٢)] وأنه يجوز فعل المكروه لمصلحة راجحة. أو أن الحكم فيه استحسان بالمصلحة الحاجية وخامسها: لأنه نقل أو اقتباس نص من القرآن كآية أو جزئها للاستشهاد بها مستحب، ولو أوجبناه لكان فيه مشقة، والمشقة تجلب اليتسير، وما خير رسول الله –ﷺ– بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، وفيه قلب حكم من كره النقط، وهو رد أقوى على من قال بالكراهة من العكس بإثبات حكم آخر مثل الإيجاب، وسادسها: أن بعض القائلين بالكراهة يحتمل رجوعه، إلى القول بالاستحباب، وسابعها: ﴿الحاجة[(٣)] ترفع الكراهة في باب التعارض، وترجيح الحكم الشرعي إذا عارض التطبيق حاجة معتد بها شرعا إلى (الإيجاب أو الإباحة أو الندب) سواء كان مكروه فعله إذا احتيج إلى فعله زالت الكراهة، أو مكروه تركه إذا احتيج إلى تركه زالت الكراهة﴾ والاحتياج إلى الإعجام في المطلق مباح تركه أو إثباته، وبتقييد كونه نقطا للمصاحف القرآنية وقراءاتها على نسبتين: الأولى: نسبة إعجام مصاحف الصغار والأعاجم والكبار الخاصة،

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي (٢٧٦/١).

(٢) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام للباحث: علي بن نايف الشحود (الموسوعة الذهبية، والمكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت) (٥١/٥).

(٣) الحاجة وسط بين الضرورة والتحسيني وقال الشاطبي عن الحاجة اصطلاحا : "ما يفتقر إليه من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوات المطلوب فإذا لم تُرَاعَ دخل على المكلفين –على الجملة– الحرج والمشقة " الموافقات للشاطبي (٢١/٢).

وحكمها الإيجاب؛ لضرورة التعلم أو إزالة الالتباس، والثانية: بالنسبة إلى فعل إعجام المصاحف العثمانية الأمهات، فمع طروء الحاجة لدى لجنة نسخ لجنة المصاحف عند نسخها، إلى ترك الإعجام في أمهات المصاحف التي نسخوها؛ كرهوا إثباته فيها لعلل تقدم ذكرها ﴿فيتعين على أقل ما يمكن وأقربه﴾ ولذلك سمحوا بالإعجام في غير المصاحف الأمات، وبقى على أصله من الإيجاب؛ لضرورة التعلم أو الالتباس، ولما ظهر اللحن في عهد التابعين، احتاجوا إلى فعل الإعجام للمصاحف الأمهات الذي حكم الصحابة بكراهية إثباته فيها، لأمرين أولهما: اختلاف الأحوال باختلاف الزمان، ومع تحقيق المناط تبين عدم وجود تلك العلل وزوالها، وثانيها: تجدد وطروء علل حاجية رجحت حكم الإيجاب أو ضده من الاستحباب على الكراهية، والحكم يدور مع العلة وجودا وعدما. أو قل ﴿الأمر في الحاجة التي ترفع حكم الكراهة؛ لأن اطراد حكم الكراهة مع ما يعتري المكلف أو المكلف به من حاجة متعذر، إذ يستوجب حكما آخر في الواقعة تحقيقا للمناط، فيسوغ له رفع حكمها بالأحوال الاعتيادية، وأما طروء الحاجة، فإنها تقتضي ترجيحا للجواز على الكراهية، مراعاة لأدلة رفع الحرج والتيسير ورفع المشقة، وإذا ضاق الأمر اتسع، لا سيما مع ضعف نهي الكراهة عن التحريم، فيندفع بالحاجة، والمصلحة الجزئية هي رفع الحرج في مقابل دليل الكراهة تحقيقا للمصلحة، ومعنى ذلك أنه متى تحققت مشقة في عبادة أو عادة للمسلمين، ونتج حرج، فهنا يتسع الأمر، فإذا زالت عاد الأمر إلى ما كان عليه من أصل التكليف، وقد صارت المشقة معتادة، لأن ما نتج من حرج أو ضيق، إنما لعارض روعي فيه حال المكلف في تلك الحالة، ومن ضوابط الحاجة المعتد بها أن يكون السبب واقعا موجودا فعلا، وأن لا يعود اعتبارها على الأصل بالإبطال، وأن يكون النهي نهي وسائل لا مقاصد﴾[1] والنهي عن الإعجام نهي كراهة تنزيه، كوسيلة في المصاحف الأمهات، مآلها صونها عن التحريف، وليس النهي

(١) راجع لما بين المعكوفين مبحث قاعدة "الحاجة ترفع الكراهة"تطبيقاتها وصورها المعاصرة دراسة تطبيقية لعبير جاسم محمد الشهاب (١-١٢) باختصار وزيادة.

عن الإعجام، للمقصد والمآل نفسه، وهو صونها، والذي مستنده الأصلي الترغيب في قراءة القرآن وحفظه بالوعد بعظيم الأجر والثواب، والترهيب من هجره أو نسيانه، فالأخذ بمقتضى الحاجة، واستحباب الإعجام، لا يخالف مقصد الشارع من صون المصاحف عن التحريف والتصحيف، واللحن عند القراءة منها، والحاجة إلى عينها، وثامنها: الإجماع من الصحابة على إخلاء المصاحف العثمانية من الإعجام ونحوه صريح، بدليل قول بعض الصحابة كعبد الله بن مسعود، وعمل الباقين، ولم ينكر أحد منهم عملهم، ومستنده المصلحة المعتد بها في إخلائها، ومنع نقطها؛ صونا لها عن التحريف والتصحيف، وهي علة معتد بها حَسَبَ الأحوال والآراء والأزمان، فتتغير بتغيرهم، فيجوز أن يحصل انعقاد إجماع بعد ذلك يخالفه؛ لتبدل تلك المصلحة الظنية، وزوال شرط العمل به، وهو رجحانه على معارضه الذي هو سند الإجماع[1] وفي مسألتنا هذه قد انعقد من بعد إجماع المتقدمين من الصحابة على كراهية إعجام المصاحف العثمانية والأمهات، إجماع المتأخرين بدءًا من التابعين على جواز إدخال بعض وجوه التحسينات استحبابا أو إيجابا من نقط المصاحف، ورموز عد آياتها، والمكي والمدني من الآيات والسور، ونحو ذلك[2] ومستندهم هو المصلحة المعتدة في إثباتها، وبذلك يجمع بين الإجماعين، ويرفع ما ظاهره التعارض بينهما؛ لأنهما قطعيان لا يتعارضان، وأيا ما كان الحكم الراجح، فإن كلا من الحكمين دال على حرض المسلمين على سلامة النص القرآني من اللحن أو التحريف أو التصحيف .

(١) أصول الفقه، لمحمد بن مفلح المقدسي، الحنبلي ت (٧٦٣هـ) (٦٨/٢) بتصرف شديد.قلت : الإجماع يرفع الظني إلى مرتبة اليقين.

(٢) تأمل النقط، لأبي عمرو الداني، صفحتا (١٩ ،٥٠).

المبحث الخامس: الأدلة العقلية والتاريخية على وجود إعجام الخط العربي قبل العهد النبوي، وتقدمه على نسخ المصاحف العثمانية، ونقط الإعراب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأدلة العقلية على وجود إعجام الخط العربي، قبل العهد النبوي، وتقدمه على نسخ المصاحف العثمانية، ونقط الإعراب:

سبق الإعجام نقط الإعراب لأبي الأسود، وحركات الخليل؛ لثبوت وجوده قبل العهد النبوي، وتتضح الأدلة العقلية على وجود الإعجام، قبل العهد النبوي في الآتي: أولا: طرق النقط لتمييز الحروف التي ليس فيها التباس. وثانيا: استبعد بعض العلماء ظهور تلك الحروف، في الزمان الأول لظهورها، دون وجود ما يميز بعضها عن بعض، إذ يلزم منه حمق الواضع، وهو أسبق في الاحتياج إليه من الشكل، وقال ابن خلكان: "حكى أبو أحمد، العسكري، في كتاب التصحيف، أن الناس غبروا، يقرؤون القرآن، في مصحف عثمان، بن عفان –ﷺ– نيفاً وأربعين سنة، إلى أيام عبد الملك، بن مروان –يعني تقريبا سنة ٧٥ هـ وهي سنة تولي الحجاج الثقفي حكم العراق–ثم كثر التصحيف، وانتشر بالعراق، ففزع الحجاج، إلى كتَّابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهات، علامات، فيقال: إن نصر، بن عاصمٍ، فعل ذلك، فوضع النُّقط أفراداً، وأزواجاً، وخالف بين أماكنها، فغبر الناس بذلك زماناً، لا يكتبون إلاّ منقوطاً، وكان – قبل وضع نصر، بن عاصم، للنقط أفرادا، وأزواجا[1] يقع التصحيف، فأحدثوا الإعجام–أي النقط– فكانوا يتَّبعون النقط– أي نقط الإعراب–والإعجام، فإذا أغفل الاستقصاء، عن الكلمة–أي كتبت الكلمة، دون نقط مميز للحروف– لم توفّ حقوقها، اعترى التصحيف، فالتمسوا حيلةً، فلم يقدروا فيها،

(١) مع استعمال النقط الدال على الشكل.

إلاّ على الأخذ من أفواه الرجال، بالتلقين[1]. وقد عرفت السريانية، مشكلة الشكل، وعالجتها، فلا بد وأن يكون العرب، الذين أخذوا قلمهم من السريانية، أو النبطية المتأخرة، قد وقفوا على المشكلتين، فعالجوهما على نحو ما][2] بمعنى أن العرب، في عصر النبي -ﷺ- والصحابة، كانوا يكتفون في الإعجام والإعراب والحركات برواية الكلمات الواصفة لفظا، للإعجام والإعراب والحركات أو كتابتها-التلقين- وكان تذوقهم للغة وما يسطرون لا يحوجهم إلى ذلك، إذ لم يكونوا يلحنون ولا يدرون ما اللحن، حتى ظهر على مرحلتين: عالج الأولى أبو الأسود بنقط الإعراب، وجدده الخليل بالحركات، وعالج الثانية ناشروا نقط المصاحف في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان..

□

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣٢/٢) وهو يعني أن بعض النساخ كان ينقط المصحف، ولكنه يدع بعض الكلمات التي يظن أن لا لبس فيها دون نقط.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور: جواد علي (٢٩/١٢، ٤٧٧٨). ورد بإنجيل متى عند البشارة بالنبي محمد -ﷺ- إشارة الى التنقيط في الحروف، حيث جاء:"الحق أقول لكم: إنه إلى أن تزول السماء والأرض، لا تزول ياء أو نقطة واحدة من الناموس، حتى يتم الكل" وفي هذه الآية إشارة إلى تدقيقاتهم في الكتابة، وتمييزهم بين حرف وآخر بالنقط، وقياسا على وجوده في تمييز الحروف السريانية، يحتمل وجوده في تمييز حروف أختها اللغة العربية السامية؛ لأن الخط العربي الشمالي، سار على نسق أغلبية الخطوط السامية، مثل الخط النبطي، والإرمي، والعبراني" المفصل للدكتور: جواد علي (٣١/١٢، ٣٢) بتصرف شديد

المطلب الثاني: الأدلة التاريخية على وجود إعجام الخط العربي قبل العهد النبوي، وتقدمه على نسخ المصاحف العثمانية، ونقط الإعراب: وفيه ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: وثائق البرديات والنحوت، ودلالتها على وجود إعجام الخط العربي، قبل العهد النبوي، وتقدمه على نسخ المصاحف العثمانية، ونقط الإعراب وإلماع عن تطوره، وهي كالآتي:

أ- نماذج من نقوش منحوته وبرديات بخط عربي منقوط:

١- نقش رقوش بمدائن صالح عام ٢٦٧م[١] قبل العهد النبوي بعدة قرون.

٢- نقش كنيسة البتراء بالأردن (سيلع) أوساط ق٦م إلى ما بعد عام ٦٠٠م على قطعة متفحمة من الخشب وهو كلمة (نايف) أو (نايق) منقوطة بخط نبطي أو عربي، وهو أقدم خط عربي يشبه النبطي.

٣- بردية أهناسية اكتشفت في مصر سنة ١٨٧٧م ويرجع تاريخها، إلى جمادى الأولى من سنة ٢٢ للهجرة، مايو (٦٤٢) للميلاد، وهي وصل حرره قائد فرقة المسلمين لأهل أهنس بمصر، منقوط منه حروف (النون والذال والزاي والجيم والخاء والشين)[٢] وهذا يدل على أن التنقيط بمعنى إعجام الحروف، والتفريق بين متشابهها في الخط، كان موجودا منذ عهد مبكر قبل إنشاء الكوفة، واستقرار العرب في العراق، أي قبل زياد بن عبيد الله، عامل الحجاج، وأبي الأسود،

---

(١) أغلب الكلمات فيها مقطعة الحروف فيها شيء من التنقيط، والأنباط أنفسهم كانوا عربا من اليمن، سكنوا جنوب الشام-.

(٢) محاضرات في أوراق البردي العربية، لتوفيق إسكاروس، صفحة (٤٥) هذه البردية النادرة هي محفوظة في المكتبة الوطنية، في فيينا، مجموعة الأرشيدوق راينر، رقم: (٥٥٨) وهي ثنائية اللغة، مكتوبة باليونانية والعربية.

بزمن[١] يثبت منه خلاف المشهور في كتابات كثير من الكتاب حول النقط، من اختراع يحي بن يعمر للإعجام.

٤- نقش زهير سنة (٢٤هـ) منقوط فيه حروف (النون والزاي والفاء)[٢] وهو نقش بالحز السطحي، بالخط الحجازي، الذي كان مستخدما في مكة والمدينة آنذاك، ثم بطل تداوله خارج الحجاز، بعد شيوع الخط الكوفي.

٥- نقش الطائف لمعاوية، بن أبي سفيان، سنة (٥٨هـ) منقوطا منه ١٧ عشر حرفا[٣].

(١) قصة الكتابة العربية، لإبراهيم جمعة، سلسلة اقرأ، صفحة (٤٣) .

(٢) نقش نفيس عثر عليه في المنطقة الواقعة، بين العلا ومدائن صالح، اكتشفه الباحث السعودي الدكتور: على الغبان، في عام ١٩٩٩م واعتمدته منظمة إليونسكو، باعتباره أقدم نقش إسلامي مؤرخ، منحوت على واجهة صخرة رملية، مكتوب بالخط الكوفي، ويعود تاريخه إلى العام ٢٤هـ، وذلك يوم استشهاد عمر -ﷺ- وهذا نصه:"بسم الله أنا زهير كتبت زمن توفي عمر سنة أربع وعشرين ".

(٣) النقش هو كتابة، على حجر، لسد، وكان نصه: "هذا السد، لعبد الله، معاوية، أمير المؤمنين، بانيه عبد الله بن صفر، باذن الله، سنة ثمان وخمسين هجريا، اللهم اغفر لعبد الله معاوية، أمير المؤمنين، وثبته، وانصره، ومتع المؤمنين به، كَتْبُ عمرو، بن خباب". لقد كانت العرب تكتب بعدة خطوط، ومنها الخط النبطي - والذي يختلف عن الخط العربي قليلا، كما أن كثيرا من حروفه مقطعة، وأما نقط الحروف عموما، فهو موجود في بعض النقوش القبطية القديمة - و(الأنباط) شعب سامي كانت له دولة في شمالي شبه الجزيرة العربية، وعاصمتهم سلع (أي الصخرة) وتعرف اليوم بـ (البتراء) ﴿أي الصخرة﴾ وبلاد الأنباط، ضمت فلسطين، وشرق الأردن، ودمشق، والبلاد الأرمية.

٦- نقش حقنة الأبيض، عام (٦٤هـ) الموافق ٦٨٣م منقوط منه حروف (الباء، والثاء، والياء)[١].

٧- نقش بلدة سُكَاكَةُ بالجوف، منقوط منه حروف (النون، والباء، والتاء)[٢].

ب-التعقيب العام على تلك النقوش والبرديات المخطوطة له وجهان:

الوجه الأول: تعقيبات عامة تثبت قدم النقط، وعودته إلى ما قبل العهد النبوي: اعلم أن أقدم نقش صخري منقوط مؤرخ بالعربية (لكنها كانت تشبه النبطية) يرجع إلى عام ٢٦٧م وهو نقش رقوش بمدائن صالح عاصمة النبط[٣]. وفي نقش كنيسة البتراء، والذي يعود إلى الربع الأخير من القرن السادس، وأوائل القرن السابع الميلادي، والذي تظهر فيه كلمة (نايف) منقوطة، ويكفينا في رد الشبهة إثبات وجود النقط قبل نسخ المصاحف العثمانية، بالعثور على نقش صخري لزهير سنة ٢٤ هـ تأريخا لوفاة عمر بن الخطاب- ﷺ- منقوطا فيه بعض الحروف، وقبله نقش بردية أهناسية سنة ٢٢هـ وهي مكتوبة باللغتين العربية، واليونانية وبعض حروفها منقوط، وهما بهذا سابقان على تاريخ نسخ

(١) نقش على قبر بخط كوفي في حفنة بيضاء بكربلاء، بالعراق، وموضوعة طلب الدعاء لكاتب النقش، ثابت بن يزيد الأشعري، أن يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفيه نقط (الباء) من (وكبر) وترك (كبيرا) ونقط (الثاء والياء) من (كثيرا) تمييزا لها في الخط عن (كبيرا) والباء من (بكرة) حتى لا تقرأ (يكره) أو (تكره) ومنه يتضح أن بعضهم كانوا ينقطون من الحروف ما يزيل اللبس عما يظنون حصوله من جهته، ويتركون ما لا يظنون فيه ذلك.

(٢) السَّكَكُ: الصَّمَمُ، والسَّكَّاك والسَّكَّاكة الهواءُ بين السماء والأرض، والسُّكَاكَة: مؤنث السُّكَاك وهم أبناء السبيل". لسان العرب (٤٣٩/١٠) مادة : سكك، ومعجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي (٢٢٩/٣) .

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور: جواد علي (١٣/١٢).

المصاحف العثمانية، والذي يقدر من عام (٣٠ إلى ٣٥ هـ الموافق ٦٥٤م)[١][٢]. وترجع ندرة العثور على آثار الكتابة العربية المنقوطة الحروف إلى عدم انتشار النقط؛ لأسباب كثيرة، منها قلة أدوات الكتابة، وضعف جودتها، وظروف التنقل[٣] وقد ظلت بعض الكتابات، خالية من الإعجام، حتى في العصر الأموي نفسه مع أن قواعد النقط كانت موجودة؛ لأنه لم يتوافر الاهتمام الرسمي أو الشعبي بها كثيرا.

الوجه الثاني: الفرق بين سبب نقط أبي الأسود الدؤلي للمصحف، وسبب انتشار النقط، وطرف من تعقيبات العلماء على النقوش والبرديات: سبب نقط أبي الأسود الدؤلي للمصحف، هو ظهور اللحن بسبب عدم الشكل، فرأى صون القرآن عن اللحن، وسبب انتشار النقط الدال على الكتابة في المكتوبات عموما، انتشار التعليم، واحتياج بعض المتعلمين إلى التمييز بين الحروف المتشابهة في السمت، ومن أسباب ظهور كليهما من إعجام ونقط إعراب ضعف السليقة بسبب اختلاط العرب بالعجم، من كثرة الفتوحات، فاحتاجوا إلى كتابة أوضح للخط العربي، والذي هو في رأي بعض العلماء (مشتق –فيما قيل– من المسند، غير المنقوط) وخالٍ من المدود والحركات، والمشهور هو أن أول من

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، لناصر الدين الأسد، صفحة (٤٠).

(٢) تاريخ القرآن، لعبد الصبور شاهين، صفحة (١١٤) وقصة الكتابة العربية، لإبراهيم جمعة، صفحة (٤٣) يقول الأستاذ حفني ناصف ت ١٩١٩م: " والمشهور أن اختراع الإعجام، كان في زمن عبد الملك، بن مروان، والتحقيق أنه كان قبل العهد النبوي، ولنا على ذلك ثلاثة أدلة ... وثانيها: أنا نجد للباء والتاء والثاء مع اختلافها في النطق، صورة واحدة، وكذلك للجيم والحاء والخاء وللدال والذال، وهلم جرا. وقيل: يبعد كل البعد، أن تكون الحروف موضوعة، في أول أمرها، على هذا اللبس المنافي لحكمة الواضعين، الذاهب بحسن الاختراع " تاريخ الأدب، لحفني ناصف، صفحتا (٨٨– ٨٩). وأرجع إهمال النقط لبعض الحروف إلى صعوبة فنية، ومشقة عملية النقش، بدليل الوثائق السابقة، ونقش معاوية –رضي الله عنه– تاريخ الأدب، لحفني ناصف، صفحتا (٨٨– ٨٩).

(٣) مما أدى لانتشار الأمية، واعتمادهم على ذاكرتهم، فلم يكن يوجد نظام معياري، يشترط وجوده في الكتابة، مثل لزوم نقط بعض الحروف، بل نحن أمام نظام ثانوي، يؤخذ به أو لا يؤخذ.

نقط المصاحف، يحي، بن يعمر، وكثير من يؤولون رواية ابن مسعود: "جردوا القرآن"[١] بالتجريد من النقط والعشور ونحوها، فخلطوا بالنقط غيره، وبعضهم أولها بالتجريد في التلاوة، وبعضهم قال: غيره من كتب اليهود والنصارى أي الإسرائيليات"[٢] وأرى دلالة مفهومه عامة شاملة لتجريد المصاحف الأمهات من النقط.

العنصر الثاني: الروايات والسير، ودلالتها على وجود إعجام الخط العربي قبل العهد النبوي، وتقدمه على نسخ المصاحف العثمانية، ونقط الإعراب: وفيه يدور الحديث حول أربعة أدلة: الدليل الأول: إثبات بعض الروايات لإعجام بعض الصحابة لبعض حروف من كلمات القرآن الكريم بمصاحفهم الخاصة، يعد دليلا نقليا وعقليا ثابتا عن طريق الحس على أن الإعجام كان موجودا ومستعملا في زمنهم، وآية ذلك أن عبد الله، بن مسعود-ﷺ-[٣]كان ينقط بعض الكلمات في مصحفه الخاص به؛ لأن السمين الحلبي قال: "وقرأ الأعمش بخلافٍ عنه بالذال المعجمة[٤]-يعني (فَشَرِّذْ)- قال الشيخ-يعني أبا حيان صاحب البحر المحيط-: "وكذا هي في مصحف عبد الله". ... قيل: وهذه المادة أعني الشين والراء والذال المعجمة مهملةٌ في لغة العرب"[٥][٦]. ويؤكده قول ابن مسعود المتوفي عام ٣٢هـ :"جردوا المصاحف " وهو عام يشمل فيما يشمل النقط، وإبراهيم، بن

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي (٧٠/٧) برقم ١١٦٢٤ وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير أبي الزعراء، وقد وثقه ابن حبان، وقال البخاري وغيره: لا يتابع في حديثه.

(٢) تأمل الإتقان، للسيوطي (٤٥٦/٢، ٤٥٧) بتصرف واختصار. قال أوتو بريتسل: ويروى عن ابن مسعود قوله: "جردوا المصاحف، ولا تخلطوها بشيء" وهذا ما ينقل أيضا عن الحسن البصري، وإبراهيم، ويقصد به كذلك رفض نظام التعشير، والتخميس، وأسماء السور" . تاريخ القرآن، لنولدكه ورفاقه، الفصل الثالث، صفحة (٦٨٥).

(٣) تقريب التهذيب، لابن حجر، العسقلاني (٥٣٣/١).

(٤) قراءة شاذة، للآية رقم (٥٧) من سورة الأنفال انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٦٢١/٥)،

(٥) الدر المصون للسمين الحلبي (٦٢١/٥) وما بين الشرطتين زيادتي للإيضاح.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦٠/٣).

يزيد، النخعي – طالب علم عبد الله بن مسعود– خصصه بالنقط، ونقط ابن مسعود لمصحفه الخاص به، وكلامه السابق، يدل بدلالة المفهوم على أمرين: أولهما: وجود النقط؛ لأن الإثبات أصل، والنفي فرع، ولا يمكن نفي ما ليس ثابتا، وقالوا بأن الإثبات والنفي إذا تعارضا، فإنه يرجح الإثبات، ويطرح النفي، إذ يصير مرجوحا، وهو مطرح عند وجود الراجح، ﴿ووجهه أن الإثبات اشتمل على زيادة علم لم تكن في النفي، إذ غاية ما يفيد النفي أنه لم يعلم الراوي مدلوله، ولأنه يفيد التأسيس، والنفي يفيد التأكيد بالنظر إلى الأصل، والتأسيس خير من التأكيد﴾[1]. أو قل يلزم بدلالة اللزوم من ثبوت نقط ابن مسعود لمصحفه الخاص وجود النقط، وثانيهما: كان الإعجام مستعملا في بعض الكلمات بمصاحف الكبار الخاصة، والصغار من باب أولى، ولأنه لا يمكن لهم ولا للأعاجم تعلمهم للقرآن دونه، وبناء عليه تبطل شبهة نشاءة القراءات، لجولد زيهر وآرثر جفري، ويتفق أوتو بريتسل معنا فيما توصلنا إليه من نتائج وغيرها فيقول:"ويبدو أن استعمال النقط لم يلق أي معارضة، وكانت النُّقَطُ لا تستعمل إلا نادرا في المخطوطات القديمة، لكنها كانت معروفة قبل العصر الإسلامي، كما نستدل من قطع النقد القديمة، وفي طريقة الكتابة المقتضبة، كانت النُّقَطُ تكتب دائما على شكل شرطة تقريبا، وقد حدث تمييز الحروف بالنُّقَطُ ، أو الشُّرَط بالطريقة نفسها المتبعة حاليا ... ويبدو أن نقط (التاء المربوطة) حدث في وقت متأخر جدا (كما في مخطوطات النسخي) وتكتب النُّقَطُ في معظم المخطوطات القديمة بنفس الحبر الذي تكتب به الحروف السواكن[2]–يعني الحبر الأسود– وفي وقت متأخر بدأت كتابة السواكن، وحروف المد بألوان حبر مختلفة" انظر

(١) أصول الفقه، اواسمه إجابة السائل، شرح بغية الآمل، للأمير الصنعاني، صفحة (٢٨٤).

(٢) يعني من ظن القارِئ تحريكها، لأن السواكن كل حرف لا يعرب بالحركات من فتح وكسر وضم، قال أبو عمرو: "لم يكونوا ينقطون شيئا من السواكن، سوى الهمزة المحققة تمييزا لها من المخففة" فلذلك حدث في وقت متأخر كتابة الحروف السواكن، أو الساكنة، وحروف المد بألوان حبر مختلفة.

أدناه ص ٦٨٨ر) يبدو أن تقسيم الأجزاء لم يجد معارضة أيضا، وكانت الأجزاء في الأصل مفصولة عن بعضها بشرط مختلفة، "[١][٢]. والدليل الثاني: مصاحف أنس بن مالك، وزيد بن ثابت، وغيرهم-ﷺ- الخاصة بهم؛ لوجود الإعجام في بضعة مواضع من مصاحفهم، بقدر ما احتاجوا إلى رقشه. والدليل الثالث: مصحف معاوية، بن أبي سفيان -ﷺ- إذ يحتمل نقطه لمصحفه الخاص به، على حسب رواية ضعيفة إلا أنها خير من أقوال الرجال؛ لأن لها شاهدا أثريا، وهو نقش لمعاوية بن أبي سفيان -ﷺ- منحوت فوق صخرة، بسد سيسد بمنطقة قرب الطائف، على يد عبد الله، بن باذان سنة ٥٨هـ[٣] وفيها (١٧) عشر حرفا منقوطا، وهذا يعني اعتناء معاوية -ﷺ- بالإعجام، تأثرا بإقرار رسول الله -ﷺ- له، إقرارا سكوتيا، حين كتب بين يديه كتابا رقشه، ووجدت شواهد أخرى من النقوش والمخطوطات، أوردتها قبل ذلك، والرواية وردت في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، بسند معظم رجاله ثقات، عن محمد، بن عبيد، بن أوس الغساني كاتب معاوية، قال: حدثني أبي، قال: كتبت بين يدي معاوية، كتابا، فقال لي : يا عبيد ارقش كتابك، فإني كتبت بين يدي رسول الله -ﷺ- كتابا رقشته، قال: قلت: وما رقشه يا أمير المؤمنين

(١) تاريخ القرآن، لنولدكه، صفحتا (٦٨٤، ٦٨٥) .

(٢) لم يتعرض لتفسير إبراهيم النخعي، لمراد عبد الله بن مسعود من "جردوا المصاحف" بالنقط، ولا لقول مالك:" ولا بأس به للصبيان" ولا للعلل الواردة في تجريد المصاحف العثمانية بالذات من النقط، ولا لِوجود النقط في بعض مصاحف الصحابة، ولا أن الأساس في حفظ القرآن هو حفظ الصدور.

(٣) رسم المصحف للقدوري، صفحة (٦٤٤) بتصرف.

؟ قال: "اعط كل حرف ما ينوبه من النقط"(١) قال البُلْقِيْنِي:"فهذا عام في كل حرف"(٢). والحديث وإن كان بهذا السند ضعيفا(٣). إلا أنه حجة من وجوه: أولها: هو أن الرواية الضعيفة خير من أقوال الرجال، خاصة في المناقب والسير وثانيها: جمهور الأصوليين على أن ما أيده دليل ولو كان ضعيفا، يرجح على ما لم يؤيده دليل، وثالثها: أن روايتي معاوية عن نفسه تفيد الإثبات، فترجح على ما يفيد نفيه؛ لأن النفي فرع الإثبات، فلا بد من ثبوت النقط؛ ليصح نفيه. والمهم الأعظم هو أنه يلزم من وجود الأخص وجود الأعم، في الأعيان، فوجود نقش لمعاوية –رضي الله عنه– يدل على عموم وجود النقط في زمنه، أي: أنه لم يكن هو فقط من نقط في كتابته، وبصرف النظر عما إذا كان مشهورا أو لا، إذ يوجد فرق بين كونه موجودا، وكونه معروفا، ثم بين كونه معروفا، غير كثير الاستعمال، وعكسه.

(١) الجامع، لأخلاق الراوي، وآداب السامع، للخطيب البغدادي (١٣٦/٢) برقم: ٥٦٠ وتاريخ دمشق، لابن عساكر (١٦٩/٣٨) .وأدب الإملاء والاستملاء، للسمعاني، صفحة (١٩٠) وتدريب الراوي، للسيوطي (٧١/٢) وميزان الاعتدال للذهبي (١٧١/٢) ولسانه لابن حجر (١١٨/٤).

(٢) هذا الحديث على اتصاله ضعيف؛ لأن في سنده قيس، بن عَبَّاد بشديد الباء، مجهول الحال، وأما بتخفيف الباء فثقة، وسعيد بن عبد العزيز التوخي المختلط في آخر عمره، إن لم يعرف، هل روايته قبل الاختلاط، أو بعده، ولم تشهد له رواية، فهي رواية ضعيفة بسببه، ورجاء بن سهل مختلف فيه، وقيس بن عباد ضعيف. ينظر تقريب التهذيب، لابن حجر (٣٥٩/١) وتاريخ دمشق، لابن عساكر (١٦٩/٣٨) والجرح والتعديل، للرازي (٩/٨) والمحبر لابن حبيب، البغدادي (٣٧٧/١). وميزان الاعتدال، للذهبي (٨٢٨/٣) ولسان الميزان، لابن حجر (٣٧٤/٥) برقم: ١٢١٨.

(٣) تدريب الراوي، للسيوطي (٧١/٢).

والدليل الرابع: عامل قبيلة بولان: يذكر ابن النديم ت ٣٨٥هـ في الفهرست عن ابن عباس عزوه التنقيط، إلى عامر بن جذره عامل من قبيلة بولان، بالأنبار(١).

العنصر الثالث : الشعر ودلالته على وجود إعجام الخط العربي قبل العهد النبوي، وتقدمه على نسخ المصاحف العثمانية، ونقط الإعراب:

ورد في كتاب الأمالي لأبي علي القالي ت ٣٥٦هـ مستشهدا ببيت لطرفة بن العبد(٢) و–ت– ٥٣٨ م: ٥٦٤ م –أي قبل الهجرة بنحو ٦٠ – ٨٦ سنة –:"كسطور الرق رقشه .. بالضحى مُرَقِّشٌ يَشِمُهُ " شارحا رقش بمعنى: نقط(٣) ومنه أستبط، أن من العرب، من كان ينقط، ما يكتب، ومنهم من كان يهمله، ورآه بعضهم إذا نقط الكلام له، استقلالا من شأنه وفطنته"(٤).

ومن الجدير بالذكر، أن أكثر النقوش القديمة، لا يوجد فيها نقط، فكيف حصل التمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم مثل (ت، ب، ن، ي)؟ وإذا كان وجود الحروف دون نقط يذهب بحكمة الواضعين، فأين حكمة الكتاب لتلك النصوص؟ وجوابه فيما قيل وجود تمييز بينها في طريقة الرسم لكثير من الحروف المتشابهة، فقد لاحظ الباحث: حسن عبد الجليل العبادله، أن في نقش أم الجمال الأول أو النبطي –العربي القديم–

---

(١) الفهرست، لابن النديم، صفحتا (٦، ٧) وفي المحكم، في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني: " روى عن هشام الكلبي، أنه قال: "أسلم –وليس عامر– بن خدرة–وليس جذرة– أول من وضع الإعجام والنقط" (١٤٩/٣).

(٢) (طرفة بن العبد) * (نحو ٨٦ – ٦٠ ق هـ – نحو ٥٣٨ – ٥٦٤ م) شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. قتل في الجاهلية؛ لأنه هجا عمرو بن هند، فكتب إلى المكعبر بقتله، فقتله وهو ابن ٢٦ سنة. ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري (١٦٢/١–١٨٦) برقم: ٧ والأعلام، للزركلي (٢٢٥/٣) ومعجم المؤلفين، لكحالة (٤٠/٥) باختصار.

(٣) النقط، لأبي عمرو الداني (٢٤٦/٢).

(٤) تأمل صبح الأعشى، للقلقشندي (١٤٩/٣).

المكتوب بين العامين ٢٥٠ و٢٧٠ م تمييز بين معظم الحروف في الرسم يغني عن النقط، ونصه: "دنه نفسو فهرو بن سلي ربو جذيمة ملك تنوخ" وترجمه بالعربية الحديثة دنه (أدناه أو هنا) نفسو قبر

(ربما روح وقبر أو هذا نفسه قبر) فهرو بنسلي رب (قائد عسكري أو مربي أو سيد) جذيمة ملك (مؤسس) تنوخ" فقال: "ليس فيه إعجام، ولكن يوجد اختلاف في رسم الحروف المتشابهة في الرسم، بحيث يميزها الرسم، ومن ذلك الفرق بين حروف (الفاء والواو والميم) فالفاء تصل بخط من وسطها، وترسم بشكل كروي مستدير، أما الواو فمن طرفها الأيمن، ولا نشهد فيها استدارة كما نشهد الفرق بين الراء والذال والياء"[١][٢] . وفي نقش

---

(١) سورة التكوير، من الآية (٢٤) .

(٢) قلت: قد لاحظت على النقش تمييز (التاء عن النون والياء) في الرسم تمييزا دقيقا، والحروف في آخر الكلمة عن وسطها، فأحيانا يميز (الياء) برسم يشبه الهمزة، لكنه مائل وكبير عنها في الحجم، وأحيانا يشبه النبرة مثل (النون) وسط الكلمة، فـ(جذيمة) (الياء) فيه تشبه الهمزة و(التاء) ميزت عن (الياء) التي تشبه الهمزة في رسمها بالإملاء الحديث، و(التاء) ميزت عن (الياء)، التي تشبه الهمزة برسم مقارب (للدال)، لكنه يزيد بزاوية حادة في أسفله، و(النون) ميزت في الرسم عن =

النمارة أو حجر نمارة، أو كما يعرف بنقش امرؤ القيس بن عمرو ملك الحيرة، هو ما يُعتقد أنه مرحلة سابقة للعربية الفصحى، ويرجع تأريخه إلى عام ٣٢٨م أو القرن الرابع الميلادي، وكان قد كتب بالخط النَّبطي المتأخر، وترجمته هكذا : "تي (هذه) نَفسُ (شاهدة قبر) امرؤ القيس بن عَمرو مَلِكُ العرب كله، ولقبهُ ذو أسد، ومذحج، وملَكَ الأسدين (بنو أسد ، نجد) ونزار (بنو نزارة بالحجاز) وملوكهم وهرَّب (هزم) مِذْحَج (قبيلة يمنية) عَكدي (كلمة عامة تمجد الكلمتين عن قضية بمعنى بعد ذلك) وجاء (أي امرؤ القيس) يزجها (يقاتلها بضراوة) في رُتجِ (شعاب وطرق) نجران مدينة شمْر (الملك شِمْر يَرْعَش) ومّلّكّ معد (بنو مَعَد في اليمن) وبَيّنَ (مَيّزَ بَيْنَ، اي لم يكن عشوائيا بتعامله) بنيها (أي أبناء مذحج) الشعوب)أفخاذ قبيلة مِذْحج)وَضَعَهُنَّ تحت حماية) فُرْسانُ الروم، فَلمْ يبلغْ مَلِكٌ (لم يبلغ حتى مَلِكٌ) مَبلَغَه (ما بَلَغَهُ عكدي). عكْدي هَلَكَ (مات؛ قُتِلَ) سَنَة ٢٢٣ (من تقويم بصرى، الموافق ٣٢٨م)، يَومْ ٧ بكسلولْ (كانون الأول)، يا لِسَعْدِ (يا لسعادةِ) ذو (الذي) وَلَدَه (أَنْجَبَهْ)[1] نجد نقشا خاليا من النقط، ولكن تتمايز الحروف في الرسم، فحرف النون في كلمة (نفس).

.

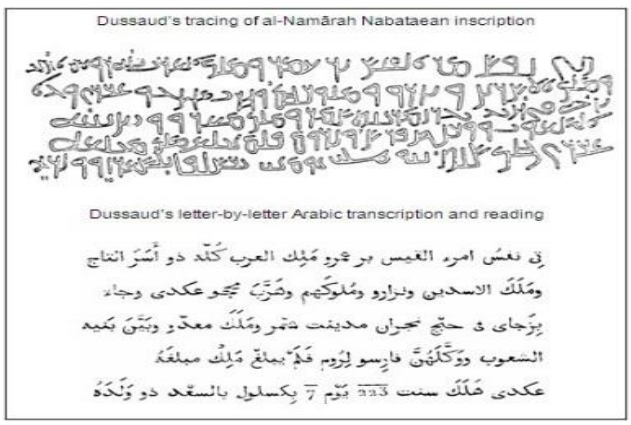

(الباء) بأن حد النبرة أطول بحيث يشبه اللام إلى حد ما ،كما تميز عنها رسم (التاء والياء) فإذن لدينا تمييز قديم للحروف من خلال الرسم .

(١) http://ar.wikipedia.org/wiki.

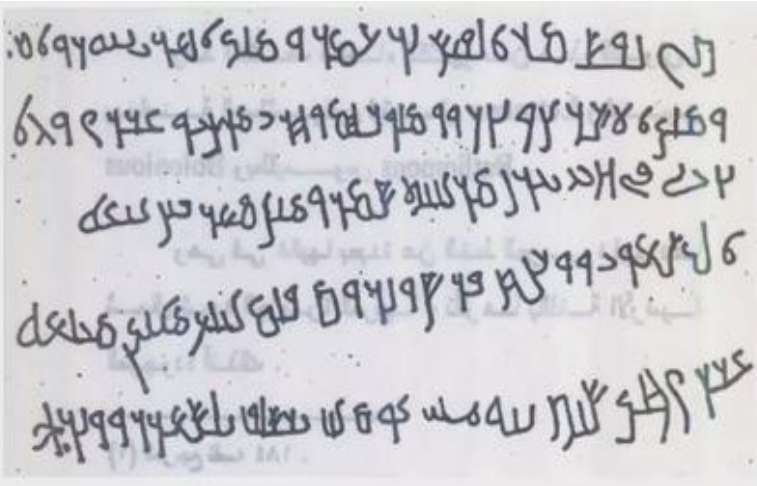

2- نقش نمارة

أقصر من حرف اللام في كلمة (القيس) وحرف (الفاء) مغاير في طريقة رسمه لحرف (القاف)[1]

(١) قلت: ترى دائرة مستديرة فوق حرف (القاف) وحرف (الراء) يتميز عن (الواو) بأن الدائرة فوقه غير مغلقه، والخط النازل للأسفل باستقامة قصير عن الذي في حرف (الواو) وحرف (الكاف) يشبه اللام في الرسم الحديث، لكنه يزيد مد الخط بعد الكاف عما بعد اللام؛ تمييزا بينهما، كما تختلف الكاف في رسمها آخر الكلمة عن رسمها فيما بين الكلمات، فتشبه العين في الرسم الحديث، ويتصل بها نزولا ما يشبه حرف الألف، ويزيد في نهايتها بزاوية حادة تجاه اليسار، وليس اليمين، كما تختلف السين عن الشين، وتشبه (الباء) حرف الدال في الرسم الحديث، وتشبه (الألف) حرف 6 بالإنجليزية، وتشبه (الراء) حرف الكاف أحيانا، فهما يشبهان حرف الألف، وفي نهايته فرعا غصن من الجانبين مائلين ،كل في جهة غير الآخر، أما (الكاف) فالألف مستقيم، وفي رأسه شرطة مائلة متجهة للأعلى من جهة اليسار فحسب، وحرفا (الجيم والحاء) متشابهان دون تمييز، و(النون) في (نجران) تشبه كتابتها حاليا، وتخالف التي على نبرة في (نفس) وحرف (الشين) في (شمر) يشبه السين في آخر كلمة (القيس).

وحرف (الميم) في كلمة (عمرو) مغاير (للفاء والقاف) في الرسم وحرف (الياء) في كلمة (القيس) مغاير لرسم حرف النون في كلمة (نفس) وفي نقش حران أن شرحيل بن ظلموا ...خال من النقط ولكن يوجد الفرق في الرسم بين حرف (الميم والفاء والدال والراء والنون والتاء ...) من آخر الكلمة، وبه استدل على أن المصاحف لم تكن منقوطة، فابن البناء: "يقول النقط والشكل أمر حادث، أحدثه يحي بن يعمر" ويؤيد ذلك قول بعض العلماء مثل ابن البناء :"النقط والشكل أمر حادث، أحدثه يحي بين يعمر"[(١)(٢)] قلت: يمكن الجمع بين القولين، بأن تمييز الحروف بعضها من بعض قديما قبل الجاهلية ،كان من خلال ثلاثة طرق: أولها ظهور دلالات مثل السياق وغيره، على الحروف المتشابهة في بعض الكلمات، وثانيها: طريقة رسم الحروف، وثالثها: نقط بعض الحروف، وبناء عليه فإن إعمال الأقوال أرجح في العقل من الأخذ بأحدها، وإهمال الأقوال الأخرى، ولأن من أثبت حجة على من لم يثبت؛ إذ في الإثبات زيادة معنى ليست في النفي، ولذلك وجدنا تمييزا بين الظاء والضاد بزيادة في رأس أحدهما، ففي مثال القراءة المتواترة بالظاء من ﴿بِضَنِينٍ﴾[(٣)] نجد قراءةً يحتمل أنها نشأت؛ لخلوها من النقط على حد زعم برجسترسر، وهي في جميع خطوط المصاحف العثمانية المعتمدة بالضاد، فلا تقرأ إلا (بضنين)[(٤)] فكتبت في المصاحف جميعها رسما واحدا؛ ولم يعلم برجشتراسر أن أبا عبيدة

---

(١) اتحاف فضلاء البشر لابن البناء الدمياطي (٢٩٨/١).

(٢) ملخص بحث منشور على شبكة الإنترنت العنكبوتية بموقع :
https://journals.asianindexing.com/article.php?id بعنوان التوضيح المفيد لما وصف به الرسم القرآني من التجريد ، المبحث الأول: تاريخ النقط (الإعجام). الفصل الثالث: تاريخ النقط والتشكيل، المطلب الثاني: أن النقط لم يكن معروفا قبل الإسلام: للباحث حسن عبد الجليل العبادله. باختصار.

(٣) سورة التكوير، من الآية (٢٤) .

(٤) سورة التكوير، من الآية (٢٤) .

قال بأن الظاء والضاد في الخط القديم، لا يختلفان إلا بزيادة رأس إحداهما على الأخرى زيادة يسيرة قد تشتبه كما لا يخفي[1] فلذلك السبب أو حتى لا تشتبه الحروف، استغنوا بالنقط عن الزيادات والتغييرات اليسيرة في رسم الحروف المتشابهة، واعلم أن نقش أم الجمال الثاني، في أواخر القرن السادس الميلادي بالعربية، يعد عربيا، وإن كان فيه بعض الحروف السريانية، وهو خال من النقط، والحروف متشابهة إلى حد كبير، وأما تلك الحروف التي في نقش الجمال الأول، والنمارة ، فخطان نبطيان، والثاني منهما متأخر، والأنباط عرب، وكتاب العرب كتبوا العربية، بأنواع خطوط كثيرة، وإذ أثبت وجود نقط الحروف تمييزا لها قبل الإسلام، فلا أنكر وجود تمييز للحروف المتشابهة في كيفية رسمها، أو بوصفها، ولكن بعض الباحثين عندما يثبت طرحا، ينفي ما عداه بأدلة من أقوال مرسلة، لا تثبت عند التحقيق، ولا تبطل أدلة أو علل من أثبت النقط بأدلة موثقة. والله –تعالى– أعلم .

(١) روح المعاني، للألوسي (٦١/٣٠) .

الفصل الثالث: الرد من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشَّكْل نشأ به عدة قراءات

ويشتمل على أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: عرض آراء أوتو بريتسل فيما يتصل بتاريخ النقط، وضبط كتابة المصاحف العثمانية. والتعقيب عليها. وفيه ثلاثة مطالب :**
  - **المطلب الأول: عرض آراء أوتو بريتسل فيما يتصل بتاريخ النقط، وضبط كتابة المصاحف العثمانية الأمهات.**
  - **المطلب الثاني : التعقيب على آراء أوتو بريتسل فيما يتصل بتاريخ النقط.**
  - **المطلب الثالث: التعقيب بالإيضاح على أسلوب أوتو بريتسل الغامض حول ضبط نص القرآن كتابة، بحيث يتبادر إلى ظن القارِئ توافقه مع شبهات المستشرق وبرجستراسر.**
- **المبحث الثاني: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من الشَّكْل نشأت به عدة قراءات، بنقض احتجاجات برجستراسر. وفيه ثلاثة مطالب:**
  - **المطلب الأول: احتجاج برجستراسر لتقرير زعم نشأة عدة قراءات بسبب خلو المصاحف العثمانية من الشكل بقراءات شاذة، ونقضه.**
  - **المطلب الثاني: رد ونقض احتجاج برجستراسر لتقرير زعم نشأة عدة قراءات بسبب خلو المصاحف العثمانية من الشكل، بأن ابن مقسم العطار سمح بكل قراءة مطابقة للمعنى، وصحيحة لغويا، تتفق مع النص غير المشكل، وإن لم يقرأْها أحد من القدامى.**

- **المبحث الثالث: الرد على زعم نشأة عدة قراءات بسبب خلو المصاحف العثمانية من النقط والشكل لبرجستراسر وجولد زيهر وآرثر جفري ومن تبعهم، بتصور شبهتهم قياسا ونقضه. وفيه مطلبان:**
  - **المطلب الأول: الرد على زعم نشأة عدة قراءات قرآنية، بسبب خلو المصاحف العثمانية من الإعجام، ببيان صورة قياس المستشرقين ونقضها.**
  - **المطلب الثاني: الرد على زعم نشأة عدة قراءات قرآنية، بسبب خلو المصاحف العثمانية من الشكل، ببيان صورة قياس المستشرقين بالنسبة ونقضها.**
- **المبحث الرابع: بيان أغراض من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات مثل جولد زيهر، وآثر جفري، وبرجستراسر، ومن تبعهم من المستشرقين، والرد عليهم. وفيه ثلاثة مطالب:**
  - **المطلب الأول: بيان أغراض من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات مثل جولد زيهر، وآثر جفري، وبرجستراسر، ومن تبعهم من المستشرقين.**
  - **المطلب الثاني: الرد من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات مثل جولد زيهر، وآثر جفري، وبرجستراسر، ومن تبعهم من المستشرقين، ببيان الموقف الأدبي للعلماء من النقط، وذكر العلل المشهورة؛ لتجريد المصاحف من الإعجام.**
  - **المطلب الثالث: الرد على استدلال جولد زيهر بقراءات شاذة؛ لتقرير زعمه أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات.**

- **المبحث الخامس: معارضة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات مثل جولد زيهر، وآثر جفري، وبرجستراسر، ومن تبعهم من المستشرقين بالرد عليهم، وعلى أمثلتهم.**

وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول: معارضة أمثلة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات، بقلب الدليل، وتبيين مقصد الصحاة من التجريد، وأن موافقة القراءة المتواترة للرسم العثماني شرط قياسي.**
- **المطلب الثاني: معارضة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات، ببيان عمومية العلة عن معلولها، وترتب محاذير على إطلاق القراءة، وفساد الاعتبار، وثبوت تقييد محتملات مواضع الإعجام والشكل قطعا.**
- **المطلب الثالث: الرد من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأت به عدة قراءات، بمنع استدلال المشبه على شبهته بعدم وجود الإعجام في المكتوبات عموما بالعهد النبوي؛ ومعارضته.**
- **المطلب الرابع: المعارضة بفساد الاعتبار، لمخالفة الإجماع على ترك الاعتداد بتصحيفات البسطاء، الواردة على بعض الكلمات الخالية من النقط؛ لعدم تواترها، ونفي كونها قراءة ولو على سبيل الشذوذ.**
- **المطلب الخامس: الرد على الشبهة بتبيين أن في قراءات القرآن كيفيات أصولا وفروعا لا تعود إلى الإعجام أو الشكل، وأخرى لا بد فيها من التلقين، وبثبوت امتزاج الأحرف السبعة في بعض الحالات بظواهر الرسم العثماني، مما يبطل شبهات جولد زيهر، وآرثر جفري، ومن تبعهما حول الإعجام والشكل.**

- **المبحث السادس: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات ، بالمعارضة بإيراد أدلة تقرير سلامة النص القرآني. وفيه ثمانية مطالب:**
  - **المطلب الأول: معارضة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات، بذكر بعض الأدلة الأخرى التي تقرر سلامة النص القرآني من التصحيف والتحريف واللحن.**
  - **المطلب الثاني: معارضة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات، بتبيين أن الاعتماد الأساسي في نقل القرآن، هو حفظ الصدور؛ لتوفر الدواعي على نقله بسند صحيح متواتر، وتبيين تلك الدواعي، وتبيين بلوغ توثيق القرآن أقصى درجات التوثيق.**
  - **المطلب الثالث: معارضة شبهة من زعم أن خلو المصحف العثماني من نقط الإعراب (الشكل) نشأت به عدة قراءات، بالاستدلال بقياس الأولى، على نفي معاناة العصر النبوي من مشكلات في كتابة نصوصه، بسبب الخلو من الإعجام والشكل.**
  - **المطلب الرابع: معارضة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات ، بإثبات سلامة النص القرآني، بقياس العلة الأولى.**
  - **المطلب الخامس: معارضة زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات، بتبيين فوائد القراءات وإعجازها، ورد استدلال برجستراسر بقراءة متواترة.**
  - **المطلب السادس: معارضة زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأت به عدة قراءات، بفساد الاعتبار من جهة تقرير اشتراط التواتر لصحة القراءة القرآنية، ضابطا مجمعا عليه.**
  - **المطلب السابع: معارضة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات، بفساد الاعتبار، من جهة تبيين الحكم بالإجماع على تحريم كتابة المصحف بغير الرسم العثماني.**

الفصل الثالث

المبحث الأول: عرض آراء أوتو بريتسل[1] فيما يتصل بتاريخ النقط، وضبط كتابة المصاحف العثمانية والتعقيب عليها

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: عرض آراء أوتو بريتسل فيما يتصل بتاريخ النقط، وضبط كتابة المصاحف العثمانية الأمهات: قال أوتو بريتسل:"لا يوجد اتفاق على المسائل المتعلقة بإدخال حروف المد.

١- ويروى أن الذي أدخل هذا التجديد هو أبو الأسود الدؤلي ت ٦٩هـ لكنه اقتصر على (المد والتنوين). أما وضع علامات (الهمزة، والتشديد، والروم، والإشمام) (فينسب إلى الخليل بن أحمد ت ١٧٠ أو١٧٧هـ).٢-ويقال: أيضا بأن واضعها هو (نصر بن عاصم) ت (٨٩ أو٩٠هـ). ٣-أو تنسب إلى أحد تلاميذ أبي الأسود، وهو (يحي بن يعمر) توفي قبل عام ٩٠هـ الذي كلفه الحجاج بن يوسف بذلك، في عهد عبد الملك بن مروان ت ٨٦هـ وقد عارض هذا التجديد (قتادة، وعبد الله بن عمر، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين). ويروى أن الحسن البصري قال بجواز التشكيل، وأن ابن سيرين كان بحوزته مخطوط منقط ليحي بن يعمر. أما مالك ت ١٧٩هـ فمنع

(١) أوتو بريتسل و-ت ١٨٩٣م -١٩٤١م مستشرق ومستعرب ألماني، طوف بكثير من بلاد العرب حيث تعلم لهجاتها ودرس طباع أهلها، وعثر على مخطوطات نادرة فيها. وقد عين أستاذاً للغات السامية في جامعة ميونيخ، وعضواً في المجمع العلمي البافاري، وفي جمعية المستشرقين الألمان. نشر: كتاب التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني. وكتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار من كتاب النقط للداني. وكتاب مختصر الشواذ لابن خالويه (المكتبة الإسلامية، مجلد ٧، ١٩٣٤).وغيرها من الكتب. تأمل المستشرقون لنجيب العقيقي (٧٥٩/٢) باختصار.

وضع الإشارات على المصاحف الأمهات كافة والتي تستعمل استعمالا رسميا، وسمح بها في المصاحف الصغار التي تخدم التدريس، والواقع أننا نجد نسخ القرآن الضخمة القديمة المخطوط السمرقندي، ومخطوط الأوقاف والمخطوط القاهري الكبير، خالية من التشكيل، وفي النسخ الأخرى أضيف التشكيل في وقت لاحق(١) وبقصد المحافظة على الحروف السواكن(٢) دون تغيير، اعتاد الكتاب على التشكيل بألوان أخرى، تختلف عن لون الحرف المكتوب" في الحاشية، الداني كتاب النقط، تحقيق بريتسيل الببلوجرافيا الإسلامية ٣) ص ١٢٤ س ١: " ولا أستجيز النقط بسواد؛ لما فيه من التغيير لصورة الرسم"(٣) .

المطلب الثاني: التعقيب على آراء أوتو بريتسل فيما يتصل بتاريخ النقط: قلت: من الصواب القول بأن أبا الأسود الدؤلي قد وضع التنقيط (للتنوين) لكن نقط تمييز الحروف المتشابهة في صورة الخط في المصحف العثماني، فعله (نصر بن عاصم الليثي، ويحي بن يعمر العدواني، والحسن البصري) تكليفا من (الحجاج بن يوسف الثقفي) بذلك، في عهد (عبد الملك بن مروان) ت ٨٦هـ فأما (المد) فواضعه (الخليل بن أحمد) وليس نصر بن عاصم، ولا يحي بن يعمر"(٤).

---

(١) قلت: مثل مصحف عقبة الذي كتبه له معاوية بن خديج، نقطه على طريقة أبي الأسود الدؤلي في الإعراب.

(٢) يعني من ظن القارِئ تحريكها، لأن السواكن كل حرف لا يعرب بالحركات من فتح وكسر وضم، فكانوا يخالفون لون نقط الإعراب حتى لا يسيل النقط باتجاه الحرف الساكن السابق أو اللاحق، فيظن القارِئ أنه متحرك، وتحقيقه أن نقط الإعراب لم يقتصر على آخر حرف في الكلمة، بل كانوا ينقطون بعض الحروف في أوائل الكلمة أو وسطها، ولعله فهمه من قول أبي عمرو: "لم يكونوا ينقطون شيئا من السواكن، سوى الهمزة المحققة تمييزا لها من المخففة".

(٣) تاريخ القرآن، لنولدكه، صفحتا (٦٨٨، ٦٨٩).

(٤) النقط، لأبي عمرو، الداني، صفحة (٧) بتصرف يسير. انتشر النقط بين أعوام ٧٥- ٨٦هـ.

المطلب الثالث: التعقيب بالإيضاح على أسلوب أوتو بريتسل الغامض حول ضبط نص القرآن كتابة، بحيث يتبادر إلى ظن القارِئ توافقه مع شبهات المستشرق برجستراسر: قال أوتو بريتسل بأن الإمام (مالك بن أنس) منع وضع الإشارات، وجوابه هو أنه كلام غامض يحتاج إلى تفصيل، وذلك أن الوارد في الرواية أنه سئل عن النقط –وقد أدرك النقط بمعنى الإعجام والإعراب– فاستدل بحال مصحف جده، وخلوه من (الإعجام) وخواتيم السور، على كراهيته للثلاثة في أمات المصاحف دون مصاحف الصبيان، وجمهور الفقهاء على أن (تعشير المصحف[1] ونقطه نقط إعجام أو إعراب) حسن؛ لأدلة: أولها: أن القراءة والآي وإن كانتا توقيفيتين، لا مدخل للرأي فيها، إلا أن بالتعشير حفظ الآي، وبالنقط حفظ الإعراب، وأما ما روي عن ابن مسعود–ﷺ– من أنه قال: "جردوا القرآن" –وقد ورد أن إبراهيم، بن يزيد، النخعي خصصه بالنقط– فمناسب لأحوال زمانهم؛ لأنهم كانوا ينقلونه عن النبي –ﷺ– كما أنزل، وكانت القراءة سهلا عليهم، ويرون النقط مخلا لحفظ الإعراب، والتعشير مخلا لحفظ الآي، ولا كذلك العجمي في زماننا، فيستحسن، وعلى هذا لا بأس بكتابة أسامي السور، وعدد الآي، فهو وإن كان محدثا فمستحسن، وكم من شيء يختلف باختلاف الزمان والمكان، كذا قال الإمام التُّمُرْتَاشِيُّ[2] وثانيها: أن العجمي الذي لا يحفظ القرآن، لا يقدر على ضبط القراءة إلا بالنقط، فكان حسنا، وثالثها: كان المصحف مجردا أيضا من العد، وأسماء السور، ونحو ذلك، وهو المقيس عليه، فربما قاسوا الإعجام عليه في كونه يترتب عليه محذور ما، والحق أنه

---

(١) التعشير هو أن يجعل على كل عشر آيات من القرآن العظيم علامة. أي أن جد الإمام مالك – وهو مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي –سير أعلام النبلاء (٤٨/٨) برقم: ١٠– كتب مصحفا منقوطا بالحبر بعد كل عشر آيات، حين كتب عثمان –ﷺ– المصاحف من عام ٢٤ – ٣٠هـ.

(٢) درر الحكام شرح غرر الأحكام، لملا خسرو الحنفي (٣١٩/١). والتمرتاشي هو: محمد بن عبد الله بن أحمد الخطيب، التمرتاشي، الحنفي، ت ١٤٠٠هـ.

قياس مع الفارق بين المقيس والمقيس عليه؛ بدليل قول الحليمي:" النقط ليس له صورة الحروف، فيتوهم لأجلها ما ليس بقرآن قرآنا، وإنما هي دلالات على هيئة المقروء منها، فلا يظهر إثباتها لمن يحتاج إليها"(١). وقول غيره النقط والشكل جزء من الكلمة، ومن تمام لفظ القرآن ﴿ومن طعن في شيء من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته﴾(٢) وهذه معارضة تبطل القياس لإثبات عدم تحقق علة الحكم في الأصل المقيس عليه في الفرع المقيس. ورابعها: أن الحاجة قد تدعو إلى إعجام المصاحف، لمعالجة ظهور اللحن، فحين اختلط العرب بالعجم، واعوج لسان بعض المختلطين بهم، وكثر التصحيف في عهد عبد الملك بن مروان، وعامله على العراق الحجاج الثقفي(٣) نقطوا مصاحف العامة

(١) مجلة البحوث العلمية (٢٩٥/٧) بزيادة يسيرة.

(٢) جامع الكلام في رسم مصحف الإمام، لأبي عبد الله الجُرَيْنِيّ ت ٧٨٣هـ مخطوط بالمكتبة الأزهرية برقم: ٢٢٣٠٧.

(٣) يشرح ذلك قول يحي حقي في تفسيره: " وأما النُّقَط، فأول من وضعها بالمصحف، نصر، بن عاصم الليثى، بأمر الحجاج، بن يوسف ... وكان يقال له: نصر الحروف، وأول ما أحدثوا النقط، على (الباء والتاء) وقالوا: لا بأس به، هو نور له– قلت: نصر بن عاصم هو أول من نشر فكرة تنقيط مصاحف الكبار، وعدم الاقتصار على مصاحف التعليم للصبيان، والأعاجم، والمبتدئين، ولكن بخطوط مائلة صغيرة، حتى لا تختلط مع نقط التشكيل – ثم أحدثوا نقطا، عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح، والخواتم، فأبو الأسود–نقطه للإعراب بنقطة من فوقه، وأخرى تحته، وثالثة في جوفه والإدغام مسألتان –هو السابق إلى إعرابه، والمبتدئ به، ثم نصر، بن عاصم، وضع النقط بعده . ثم الخليل بن أحمد –١٢٠–١٧٥هـ– نقل الإعراب، إلى هذه الصورة ". روح البيان، لإسماعيل حقي (٩٩/٩) وتأمل المحكم في نقط المصاحف، للداني، صفحة (١٧) وما بين الشرطتين زيادة للإيضاح. قلت: أوافق العلامة يحي حقي إذا قصد أن إحداث النقط على (الباء والتاء) ونحوهما كان إحداثا بالنسبة إلى المصحف، وإن قصد غير ذلك فلا؛ لأن الإعجام عموما موجود قبل العهد الإسلامي بقرون عديدة، بل قال بعض أهل التحقيق: وجد مع وضع الحروف لأول الأمر.

نقط الحروف أفرادا وأزواجا؛ لتمييز الحروف المتشابهة في الصورة[١] ولم يظلوا مقتصرين في ذلك على مصاحف الصبيان والأعاجم؛ لضرروة التعلم والحاجة تدفع الكراهة. وخامسها: قال أوتو بريتسل: "وتتحدث المصادر عن ثلاث نقط تفصل بين الآيات، أحد هذه المصادر هو يحي بن أبي كثير، الذي يروى أنه قال: ما كانوا يعرفون شيئا مما (أحدث) في هذه المصاحف إلا هذه النقط الثلاث، عند رؤوس الآي"[٢][٣]. قلت في كلامه إيجاز مخل يحتاج إلى مزيد بيان من جهتين: أولاهما: أن كلام يحي بن أبي كثير عن المصاحف الأمهات، وأما مصاحف الصبيان والأعاجم وبعض المصاحف الخاصة فكان بها نقط بعض ما اختلفت فيه القراءات، وقد أقر أوتو بريتسل بوجود النقط قبل العهد الإسلامي[٤] وثانيهما: أن عدد الآيات القرآنية منها متفق عليه، وهو ستة آلاف ومائتا آية، ومختلف فيه، وهو ما فوق ذلك، وهو مع المدني الأول والثاني، والمكي عند الكوفيين، والشامي (حمصي ودمشقي) والعراقي (كوفي وبصري) توفيقي، وسببه أن النبي -ﷺ-كان يقف على رؤس الآيات؛ ليعلم أصحابه أنها رأس آية، فلما علموا محلها أصبح يصل الآية بما بعدها؛ ليتم المعنى، فظن من لم يسمعه في المرة الأولى أنها فاصلة، فأصبح يعد الآيتين آية واحدة، ولذلك اختلف العدد[٥] وهو مما يتسامح فيه؛ لأنه اختلف فيها الصحابة في زمن النبي -ﷺ- فأمروا أن يقرؤوا كما علموا، ولكنه لا يترتب عليه

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣٢/٢)..

(٢) تاريخ القرآن، لنولدكه، صفحتا (٦٨٤، ٦٨٥) .

(٣) لم يتعرض لتفسير إبراهيم النخعي، لمراد عبد الله بن مسعود من "جردوا المصاحف" بالنقط، ولا لقول مالك:" ولا بأس به للصبيان" ولا للعلل الواردة في تجريد المصاحف العثمانية بالذات من النقط، ولا لِوجود النقط في بعض مصاحف الصحابة، ولا لأن الأساس في حفظ القرآن هو حفظ الصدور.

(٤) تاريخ القرآن، لنولدكه، صفحتا (٦٨٤، ٦٨٥).

(٥) البرهان، للزركشي (٢٥٢/١) بتصرف.

زيادة أو نقصان أو تضاد في نص القرآن ومعانيه، ثم إنهم أحدثوا أول ما أحدثوا النقط عند منتهى الآي[١] لتيسير معرفة فواصل الآيات التي هي من أنواع الوقف، وهكذا كلما احتاجوا إلى أمر أو التبس عليهم بحيث يصبح ظاهرة، أحدثوا له ما يعالجه ويزيل التباسه، وجودوا في ذلك، فكانوا يتبعون ما هو أكثر سهولة، ويتركون ما سبقه، والمغزى مما تقدم هو بيان وشرح معنى جملة "أحدث" من أن عد الآيات القرآنية لم يكن محدثا بمعنى مبتدعا؛ لتواتره مسندا، وإنما وجود ثلاث مسائل في المصاحف للدلالة عليه هو المحدث فحسب، وقد استعمل أوتو بريتسل وصفا عاما هو كلمة (الإشارات) أي الرموز وهي تعني (النقط) أو (الإعجام) أو (نقط الإعراب) ونحن نرد على من زعم نشوء بعض القراءات بسبب الخلو من النقط، وافترض اعتماد المسلمين على المكتوب، وانتقالهم بالقرآن من مركز الثقل الشفوي إلى الكتابة، عند نسخ المصاحف العثمانية، وأنه بنسخ تلك المصاحف العثمانية صار الأساس هو الكتابة، بأن ذلك باطل قطعا؛ لعدة أدلة: أولها: ما تواتر من أداء لبعض القراءات القرآنية، التي لا يمكن معرفتها من رسم المصحف وحده، دل على أن الأساس في حفظ القرآن الكريم هو الرواية له تلقينا وسماعا ومشافهة[٢] قال ابن العربي:"وكان نقل المصحف، من غير نقط، ولا شكل، غير مؤثر في سلامة النص؛ لأنهم اعتمدوا في النقل؛ على أن القراءة على ما في المصحف، نوع من الرفق في القراءة، باختلاف الضبط"[٣] وثانيها: لا تترتب مشكلة على خلو المصاحف الأمات من الإعجام فيما نقط من كلمات القرآن؛ لأدلة كثيرة، منها المذكور آنفا من جانب الرواية، ومنها من جانب الكتابة، وهو وجود الإعجام في مصاحف الصبيان، وغيرهم من أصحاب المصاحف الخاصة، فمصاحفهم بمجموعها كافية، لرفع الالتباس عند افتراض وقوع التباس على شخص ما فيما نقط من كلمات القرآن وقراءاته. وثالثها:

(١) الإتقان، للسيوطي (٢/٤٥٥).

(٢) تأمل النشر، لابن الجزري (١/٤٦).

(٣) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم ، للقاضي ابن العربي المالكي (١٥٨) بتصرف يسير.

أيا ما كان الأمر، فقد أورد أوتو بريتسل بعد ما ذكر رواية كراهية مالك للنقط والتشكيل في مصاحف الكبار، علة حكم الكراهية، من عدم توفر الألوان كثيرا، وأن النقط إن كان بالسواد فهو مكروه تنزيها؛ بمعنى أنه بلون خط كتابة حروف الكلمات نفسها، فلا يجوز إلا لضرورة التدريس للصبيان والأعاجم، قلت: لكنه لم يعلل بها كراهية الإمام (مالك) لنقط وشكل المصاحف الأمهات، وقال بريتسل بأن (مالك) سمح بالنقط والتشكيل في المصاحف الصغار التي تخدم التدريس، ثم عقب بأن الواقع يثبت أننا نجد نسخ القرآن الضخمة القديمة المخطوط السمرقندي. ومخطوط الأوقاف. والمخطوط القاهري الكبير خالية من التشكيل، قلت: انتقال أوتو بريتسل، من الحديث عن كراهية مالك لنقط تشكيل مصاحف الصغار، إلى الحديث عن الواقع من نسخ المصاحف القرآنية الأمهات الخالية من نقط الإعراب، يستنتج منه أن واقع المخطوطات يتفق مع الأثر عن مالك وغيره من كراهية إعجام أو نقط المصاحف العامة أو الأمهات نقط إعراب، أو إدخال أي شيء مما استحدثوا فيها، وإن لم يصرح بذلك، لأن عصر الإمام مالك حصل فيه ابتكار نقط الإعراب، ولكن بعد كتابة المصاحف الأمهات بـ ١٩ عاما، والمصاحف المذكورة إن لم تكن هي نفسها من نسخ المصاحف العثمانية، فقد نسخت منها؛ لتكون نسخة مطابقة لها دون تغيير، فمن الطَبَعي أن تكون خالية من نقط الإعراب، ولأن جمهور الصحابة رأوا تجريد المصاحف الأمهات، وكذلك وجدت، وأما التابعون فيمكن حمل قول بعض من كره إعجام المصاحف أو نقطها نقط إعراب، أو إدخال شيء فيها، على مصاحف العامة والأمهات، وكذلك وجدت، وقد اتفقوا على جواز إعجام مصاحف الصغار، والأعاجم، والمصاحف الخاصة، وتخميسها، وتعشيرها؛ لضرورة التعليم، وتيسير حفظ القرآن الكريم عليهم، ولم يتطرق أوتو بريتسل إلى أمرين مهمين: أولهما: خلو نسخ القرآن الضخمة القديمة المخطوط السمرقندي، ومخطوط الأوقاف والمخطوط القاهري الكبير من الإعجام، كغيرها من المصاحف الأمهات التي كانت خالية من الإعجام وإعراب

الحركات قطعا؛ لأن العهد النبوي لم يكن بحاجة إليه، ومن ثم كان وضعه متأخرا عن جمع القرآن في عهد عثمان -رضي الله عنه-

وثانيهما: أنه لما كان الرسم العثماني بتلك المصاحف الأمهات، هو الأصل المتواتر، كانت كراهية الإضافة إليه متناسبة مع تواتره، ولكن أوتو بريتسل تحدث عن استعمال النقط في المخطوطات القديمة خصوصا وعموما فأصاب في قوله:"ويبدو أن استعمال النُّقَط لم يلق أي معارضة، وكانت النُّقَط لا تستعمل إلا نادرا في المخطوطات القديمة، لكنها كانت معروفة قبل العصر الإسلامي، كما نستدل من قطع النقد القديمة، وفي طريقة الكتابة المقتضبة، كانت النُّقَط تكتب دائما على شكل شرطة تقريبا، وقد حدث تمييز الحروف بالنقط، أو الشُّرط، بالطريقة نفسها المتبعة حاليا، ... ويبدو أن نقط (التاء المربوطة) حدث في وقت متأخر جدا (كما في مخطوطات النسخي) وتكتب النقط في معظم المخطوطات القديمة بنفس الحبر الذي تكتب به الحروف السواكن(١)... "(٢) قلت: تعبيره بأي التي تفيد العموم بعد التعبير بالنُّقَط- وهي اسم جمع لجنس النَّقْط، يعم استعمال النقط في أي مكتوب من المكتوبات- يوهم أن عموم نفي المعارضة لم يدخله تخصيص، والصواب أنه دخله تخصيص بمخصصين: أولهما: أن استعمال النُّقط بمعنى الإعجام أو نقط الإعراب واجه معارضة في إلحاقها بالمصاحف الأمهات؛ لعلل وحكم تقدم ذكرها، وإن لم يلق أي معارضة في مصاحف الصغار والأعاجم والمصاحف الخاصة بأصحابها، وثانيا: واجه النقط معارضة في إلحاقة بالرسائل والكتب عموما، من طبقة الكتاب العارفين بالكتابة، فكانوا يعدون النقط من سوء الظن بفطنة المكتوب له، وهو من أسباب ندرة استعماله في المخطوطات القديمة.

---

(١) يعني من ظن القارِئ تحريكها، لأن السواكن كل حرف لا يعرب بالحركات من فتح وكسر وضم، فكانوا يخالفون لون نقط الإعراب؛ حتى لا يسيل النقط باتجاه الحرف الساكن السابق أو اللاحق، فيظن القارِئ أنه متحرك، وتحقيقه أن نقط الإعراب لم يقتصر على آخر حرف في الكلمة، بل كانوا ينقطون بعض الحروف في أوائل الكلمة أو وسطها، ولعله فهمه من قول أبي عمرو: لم يكونوا ينقطون شيئا من السواكن، سوى الهمزة المحققة تمييزا لها من المخففة.

(٢) تاريخ القرآن، لنولدكه، صفحتا (٦٨٤، ٦٨٥) .

المبحث الثاني: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من (الشكل) نشأت به عدة قراءات بنقض احتجاجات برجستراسر

المطلب الأول: احتجاج برجستراسر بقراءات شاذة؛ لتقرير زعمه نشأة عدة قراءات أو قسم كبير من القراءات بسبب خلو المصاحف العثمانية من الشكل، ونقضه:

قال برجستراسر: "برزت في تلك الفترة قراءات كثيرة، تفهم معالم الرسم نفسها على أوجه مختلفة، من الممكن بالطبع أن تنشأ في المأثور الشفوي أشكال مزدوجة –مختلفة– للنص، لا تظهر اختلافاتها بوضوح في الكلمات غير المشكلة، فيقرأ أحدهم مثلا الآية ٤٨/٤٦ في سورة هود ١١ (إنه عمل غير صالح) على أنها (إنه عمَلٌ غير صالح) أو العكس، وتوجد احتمالات لا حصر لها لقراءة الكلمات غير المشكلة نفسها: (إنه عمِل غير صالح)[١] أو نشوء ازدواجات في الاختلافات الشفوية تظهر في الكتابة، كما هو الحال في تبديل المترادفات، وفي مجموعة كاملة من القراءات يمكن الترجيح بأن مصدرها هو النص غير المشكل، خاصة عند الذين يطمحون إلى الاقتصاد بضع صفحات، ويسرون بذلك، ونجد هذه القراءة بوضوح لدى الحسن البصري ت ١١٠هـ وفي فترة بلغت نصف قرن، فصلت بين تاريخ كتابة نسخة عثمان نحو عام ٣٢هـ وفترة الازدهار العلمي عند الحسن، تكونت كمية أساسية كبيرة للقراءات التي خرجت من رحم النص المكتوب"[٢] وبنحوه قال جولد زيهر فيما سيأتي بيانه، وتتضح لنا خطورة الشبهة إذا علمنا أن الطعن في المرسوم كالطعن في التلاوة، وقد احتج برجستراسر بقراءات شاذة راجعة إلى خلو المصحف من الشكل، على أن القراءات كانت محل اجتهاد، ومطلقة غير مقيدة بالسماع، وإنما الشاذ طريقه الرواية مثل المتواتر، ولا شيء طريقه الاجتهاد، فما وافق المعنى

---

(١) قال ابن الجزري : "(واختلفوا) في (إنه عمل غير) فقرأ يعقوب والكسائي (عمل) بكسر الميم وفتح اللام (غير) بنصب الراء وقرأ الباقون بفتح الميم ورفع اللام منونة ورفع الراء" النشر (٣٢٦/٢) وبناء عليه فإن القراءتين متواترتان.

(٢) تاريخ القرآن، لنولدكه، صفحة (٥٥٩).

والرسم أو أحدهما من غير نقل، فلا تسمى شاذة بل مكذوبة يكفر متعمدها[١] قال ابن حجر: "وتتمة ذلك أن يقال: إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي، أي إن كل أحد منهم يغير الكلمة بمرادفها في لغته؛ بل المراعى في ذلك السماع من النبي -ﷺ- ويشير إلى ذلك قول كلٍ من: عمر وهشام في حديث الباب "أقرأني النبي -ﷺ- فيؤخذ التلقي والمشافهة والسماع من قول عمر لما سمع هشامًا يقرأ "فَإِذَا هُوَ يَقْرَؤُها عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ الله -ﷺ-" ومن قول هشام لعمر :"أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ الله -ﷺ-"[٢] وقال السيوطي:"قال مكي: مما روى في القرآن على ثلاثة أقسام: قسم يقرأ به ويكفر جاحده، وهو ما نقله الثقات، ووافق العربية، وخط المصحف، وقسم صح نقله عن الآحاد، وصح في العربية، وخالف لفظه الخط، فيقبل، ولا يقرأ به لأمرين: مخالفته لما أجمع عليه، وأنه لم يؤخذ بإجماع، بل بخبر الآحاد، ولا يثبت به قرآن، ولا يكفر جاحده، ولبئس ما صنع إذا جحده. وقسم نقله ثقة، ولا حجة له في العربية، أو نقله غير ثقة، فلا يقبل، وإن وافق الخط"[٣]. ومثل ابن الجزري للقسم الثالث فقال:" مما نقله غير ثقة كثير مما في كتب الشواذ، مما غالب إسناده ضعيف قراءة ابن السميفع، وأبي السمال وغيرهما في (ننجيك

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري، صفحة (١٩).

(٢) أخرجه البخاري، في الجامع المسند الصحيح (٨٥١/٢) ٤٩ – كتاب الخصومات ٣ – باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ٢٢٨٧ عن عبد الرحمن بن القاري و(١٩٢٣/٤) ٦٩ – كتاب فضائل القرآن ٢٧ – باب من لم ير بأسا أن يقول سورة البقرة، وسورة كذا وكذا. برقم: ٤٧٥٤ عن عمر، بن الخطاب –رضي الله عنه– ومسلم في صحيحه (٥٦٠/١) ٦ – كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٤٨ – باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، وبيان معناه، برقم: برقم: ٢٧٢ عن عبد الرحمن، بن القاري.

(٣) الإتقان، للسيوطي (٢٠٦/١) والنشر، لابن الجزري (٢٤/١) المراد جحد ثبوت أنه كان قرآنا ونسخ التكليف به قرآنا.

ببدنك)[١] (ننحيك): بالحاء المهملة ..."[٢] فالمهم الأعظم أنه لم يذكرْ قسما للقراءات له حظ من النظر وطريقه الاجتهاد؛ لأنه لا شيء من القراءات وإلا وطريقه النقل، وإن كان قراءة شاذة.

وزعم المستشرق برجستراسر نشأة كمية أساسية كبيرة للقراءات التي خرجت من رحم النص المكتوب في ٧٨ سنة بعد تاريخ كتابة المصحف العثمانية عام ٣٢ هـ بسبب النص غير المشكل، وأضاف بأن الخط العربى، من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبْعًا للنقط فوق الحروف أو تحتها[٣] وضرب جولدتسيهر مثلا لاختلاف الحركات مع المسائل بقوله –تعالى–:(نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةُ) و(تُنَزَلُ الْمَلَائِكَةُ) و(تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ)[٤] هل الله هو الذي ينزلها(تُنَزَّلُ) أو (تُنْزَلُ) أو تنزل بنفسها (تَنْزِل)[٥] وقال آثر جفري:" وكانت هذه المصاحف كلها خالية من النقط والشكل فكان على القارِئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات ... فكان حينئذ لكل قارِئ اختيار في الحروف، وكذلك اختيار في الشكل أيضا"[٦] وكلاهما زعم باطل من جهتين: أولاهما: أن القراءات متواترة، وطريق نقلها السماع والمشافهة المتواترة بالسند إلى من أنزلت عليه القراءات القرآنية –ﷺ– وهو يتلقى الوحي من السماء، وبناء عليه فإن القول الحق في نشأة القراءات من حيث المصدر يعود بنا في بدايته الأولى إلى مصدر سماوي، لا شأن للأرض به، وأسانيد القراء العشرة، وطرق قراءاتهم التى بلغت زهاء ألف طريق مفصلة متصلة مرفوعة إلى رسول الله –ﷺ– بتلاوة كل واحد على الآخر، وكلهم ثقات، متقنون،

(١) سورة يونس، من الآية (٩٢).
(٢) النشر، لابن الجزري (٢٧/١).
(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، لاجنتس جولدتسيهر، صفحة (٨) والحاشية رقم (١).
(٤) النشر لابن الجزري (٣٣٨/٢) وكلها متواترة.
(٥) مذاهب التفسير الإسلامي ، لجولد تسيهر، صفحة (١٤) .
(٦) مقدمة كتاب المصاحف، لابن أبي داود، صفحة (٧).

آخذون بالتوقيف البالغ الغاية في الدقة، الواصل إليهم من رسول الله -ﷺ- عن جبريل- عليه السلام- عن اللوح المحفوظ، عن رب العالمين- جل جلاله-(١).

وثانيتهما: أن طريق ورود القراءة الشاذة، والموضوعة، وغيرها هو الرواية بالسند أيضا، فلا يوجد شيء من القراءات مصدره الاجتهاد، خصوصا في هذه الفترة التي أوردها، وما بعدها كذلك إلا ما شذ وندر إلى حد بعيد، وقوبل بالرفض والعقوبة والمنع، لمخالفة إجماع فقهاء بغداد، وموافقة الباقين عليه، ومن وجوه بطلانه؛ تخلف العلة عن المعلول، لأنه زعم أن خلو المصاحف العثمانية الأمهات من الإعجام علة من علل نشأة القراءات المتواترة والشاذة، والواقع يثبت أن ما جعله علة متخلف في الوجود التأريخي عن المعلول؛ لأن القراءات المتواترة والشاذة سابقة في تأريخ ابتداء وجودها على ما زعمه علة نشأتها من كتابة نسخ المصاحف العثمانية الأمهات المرسلة إلى الآفاق بالرسم العثماني خالية من الإعجام، بالإضافة إلى أن عزو الناقلة للقراءات جزء من تعريف القراءات، فلا تتصور ماهيتها إلا به، وأما قراءة التفسير، فاجتهاد من القارِئ صحابيا كان أو تابعيا، فهي إن شئت قلت تفسير مدرج، أو إن شئت قلت: قراءة تفسيرية، لكنها ليست من باب القراءات بمعناها الاصطلاحي. وقال القاضي عياض، في آخر كتاب الشفاء: "أجمع المسلمون، أن من نقص حرفا قاصدا لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفا، مما لم يشتمل عليه المصحف، الذي وقع عليه الإجماع، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدًا لكل هذا، أنه كافر"(٢).

ومن المعلوم من الدين بالضرورة للمسلمين خاصتهم وعامتهم سلامة النصوص المتواترة الثابتة باليقين من القرآن من التصحيف والتحريف والتبديل واللحن، وسلامة السنة المتواترة لفظيا، من التبديل، لأن التواتر من مقدمات البرهان اليقينية، والتحقيق هو أن الإجماع منعقد على أنه لا يثبت قرآن إلا بالتواتر، وأن القراءات العشرة متواترة، ولم

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين (٣١٠/١).
(٢) إيقاظ الأعلام، لمحمد حبيب الله الجكني ، صفحة (٢٢) .

يخالف في ذلك بعد انعقاد الإجماع ومضي زمنه[١] إلا بعض العلماء الذين رأوا أن التواتر حد القراءات، وأن الضوابط لا يدخل فيها ما في الحد، فقالوا بدلا من التواتر باشتراط الاستفاضة[٢] والتوفيق بينهما ممكن من جهتين: الجهة الأولى: القول بأن الاستفاضة بين العامة والخاصة، والقراءات يعنى بنقلها الخاصة، فرأوا في استدلال القارِئ على القراءة المقبولة، بشرط إثبات التواتر صعوبة بالغة على ناقلها، بالإضافة إلى أن استفاضة القرآن بقراءاته بين العامة، كانت تحت ظلال قراءة الخاصة المنتشرين في مختلف البلاد، وحفظهم وأسانيدهم المتواترة، والمسندة إلى النبي -ﷺ- فتكون بمنزلة المتواتر، ومساوية له فتفيد اليقين، خلافا لمفهوما عند المحدثين والأصوليين، والذي يفيد الظن، ويؤيده أن قراءة زيد بن ثابت هي قراءة العرضة الاخيرة، وهي قراءة عامة للمهاجرين والأنصار[٣] ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتبة

---

(١) قاله النووي والنويري . تأمل شرح طيبة النشر للعلامة النويري (١/١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩) والبرهان للزركشي (١/٣٢٢)

(٢) قاله الزرقاني تأمل مناهل العرفان (١/٢٩٥) بتصرف..

(٣) ﴿وقراءة العامة تطلق على ثلاثة معاني: أولها: أطلقت في عهد الرسول -ﷺ- على ما اتفق عليه المهاجرون والأنصار، وثانيها: أطلقت بعده عهده على ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة، وثالثها: ربما أطلقت على ما اجتمع عليه أهل الحرمين، وهي عند القراء العشرة سبب قوي يوجب الاختيار. وربما اختاروا ما اجتمع عليه أهل الحرمين، وسموه أيضا بالعامة﴾- البرهان، للزركشي (١/٣٣١) بتصرف- وكانت قراءة زيد بن ثابت هي قراءة عامة المهاجرين والأنصار-وقد كانوا أقرب الناس إلى رسول الله -صلى الله علي وسلم- مكانا ومكانة- بدليل قول أبي عبد الرحمن السلمي: كانت قراءة أبي بكر وعمر، وعثمان، وزيد بن ثابت، والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرئون العامة، وهي القراءة التي قرأها رسول الله -ﷺ- على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان على طول أيامه يقرأ مصحف عثمان، ويتخذه إماما"- شرح السنة للبغوي الشافعي، ت ٥١٦هـ (٤/٥٢٥)-وعد ابن مجاهد الاستفاضة، وأنه روي عن أبي عمرو قوله:" إني أتهم الواحد =

المصاحف–رضي الله عنهم أجمعين– "[١] وأنه روي عن أبي عمرو قوله:" إني أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة"[٢] والجهة الثانية: أن اشتراط الاستفاضة بمفهومها المفيد للظن، مع صحة السند، وموافقة الرسم العثماني، واللغة العربية ولو بوجه ما، تكون مساوية لشرط التواتر، وقد ورد أن أبا عبد الرحمن السلمي، قال: كنت ألقى زيد بن ثابت في الموسم، فأجمع له أحرف علي بن أبي طالب، وأسأله عنهم، فما اختلفا إلا في سورة البقرة (أن يأتيكم التابوت)[٣] فقال علي: بالتاء، وقال زيد: بالها[٤] فانظر كيف لم تختلف أحرفهما مع شرط واحد هو شرط موافقة المصحف العثماني لفظا أو تقديرا، وبذلك يصبح الاختلاف لفظيا فيما يرى بعض العلماء، وبذلك يزول ما ظاهره التعارض بين من لم يشترط التواتر، وجمهور العلماء من المقرئين والمفسرين والأصوليين الذين قالوا: لا يثبت قرآن ولا قراءة إلا بالتواتر، فالتواتر في الحد وفي الضبط، وقد كان، ونقل الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يصلى خلف من يقرأ بها، وأما القراءات السبع فنقل السيوطي تواترها[٥] وقال العطار في حاشيته على الجلال المحلي: "وَالْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ متواترة هذا

الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة"– جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي الشافعي–ت ٦٤٣ هـ– (٥٦٩/٢) قال نافع: فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته، وما شذ فيه واحد فتركته، حتى ألفت هذه القراءة في هذه الحروف–.

(١) المرجع السابق (٥٢٥/٤) والبرهان للزركشي (١/ ٢٣٧).

(٢) جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي (٥٦٩/٢) قال نافع: فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته، وما شذ فيه واحد فتركته، حتى ألفت هذه القراءة في هذه الحروف.

(٣) سورة البقرة، من الآية (٢٤٨).

(٤) جامع البيان في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني (٢٥٩/١).

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر (٦٠٤/٥) وشرح طيبة النشر في القراءات العشر للنويري، صفحة (٢٠).

الحكم مجمع عليه بين أهل السنة إلا من شذ من الحنفية كصاحب البديع[١] فإنه ذهب إلى أنها مشهورة"[٢] –وقال: "فلو كان ما نقل آحادا قرآنا لتواتر نقله" قال الدكتور السندي :"واكتفي البعض بالشهرة والاستفاضة؛ لأن الاستفاضة تفيد القطع المطلوب في إثبات قرآنية القراءة، منهم أبو شامة –شارح الشاطبية– والإمام ابن الجزري"[٣] ثم قال:"أجمعت الأمة على الأركان التالية لقبول القراءات:١- أن تكون القراءة متواترة.٢- أن تكون موافقة للعربية ولو بوجه.٣- أن تكون موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا.... [ولذلك عرَّفوا القرآن بأنه: ما نُقل إلينا بين دفتي المصحف نقلًا متواترًا جيلًا بعد جيل فثبت بذلك أن ما ليس بمتواتر لا يسمى قرآنًا، ولا يقرأ به تعبدًا]"[٤] وذهب جمهور المعتزلة إلى أنها آحاد غير متواترة، والمراد عن قراءة الشيخ المخصوص بتمامها كنافع مثلا، بل منها ما هو آحاد، ومنها ما هو متواتر، وليس المراد نفي التواتر من أصله، والإلزام نفي التواتر عن القرآن كله، والإجماع خلافه"[٥] وقال عبد الجبار الهمذاني:"كون القرآن منقول بالتواتر، معلوم بالضرورة"[٦]. وقال الزرقاني في مناهل العرفان:"وقد يناقش هذا بأنها لو تواترت جميعا ما اختلف القراء في شيء منها، هذا بأن الخلاف لا ينفي التواتر، بل الكل متواتر، وهم فيه مختلفون، فإن كل حرف من الحروف السبعة التي نزل بها القرآن بلغه

(١) كتاب البديع في أصول الفقه، المشهور ببديع النظام الجامع بين أصول البزدوي والإحكام لابن الساعاتي أبي العباس مظفر الدين أحمد بن علي بن تغلب البعلبكي البغدادي الحنفي المتوفى سنة ٦٩٤هـ.

(٢) صفحات في علوم القراءات، للدكتور السندي، صفحة (٢٩٧).

(٣) صفحات في علوم القراءات، للدكتور السندي، صفحة (٥٧).

(٤) صفحات في علوم القراءات، للدكتور: أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي (ط١، المكتبة الأمدادية، سنة ١٤١٥ هـ) صفحة (٥٧، ٥٨) وما بين المعكوفين نقلا عن روضة الناظر، لابن قدامة المقدسي (ط، مكة المكرمة) صفحة (٣٤).

(٥) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (٢٩٧/١).

(٦) المغنى في أبواب التوحيد والعدل، لعبد الجبار الهمذاني (م١٦/ ١٥٦) .

الرسول إلى جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب حفظا لهذا الكتاب، وهم بلغوه إلى أمثالهم، وهكذا... ولا شك أن الحروف يخالف لكنهم اختلفوا في أشياء منها، فإذاً لا يسلم أن تكون كلها متواترة. ويجاب عن بعضها بعضا، فلا جرم تواتر كل حرف عند من أخذ به، وإن كان الآخر لم يعرفه، ولم يأخذ به، وهنا يجتمع التخالف والتواتر، وهنا يستقيم القول بتواتر القراءات السبع، بل القراءات العشر"[١] وقرر جمهور العلماء تواتر القراءات السبع، والثلاث المتممة للعشرة أصولا وفروعا، حال اجتماعهم، وحال افتراقهم[٢].ولذلك نقل الأئمة القراء العشرة القراءات القرآنية المعتمدة في العرضة الأخيرة بالسند المتواتر إلى النبي -ﷺ- عن طريق الرجال الأكْفَاء الضابطين، فمن المستحيل عادة تطرق الضياع إليها، وقال النويري في شرح طيبة النشر: "وقوله:"وصح إسنادًا" ظاهره أن القرآن يكتفي في ثبوته -مع الشرطين المتقدمين- بصحة السند فقط، ولا يحتاج إلى تواتر، وهذا قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم، ولقد ضل بسبب هذا القول قوم فصاروا يقرؤون أحرفًا ولا يصح لها سند أصلًا، ويقولون: التواتر ليس بشرط، ... والقرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب مكى، وتبعه بعض المتأخرين وهذا كلامهم: قال الإمام العالم العلامة برهان الدين الجعبرى في شرح الشاطبية:" ضابط كل قراءة تواتر نقلها، ووافقت العربية مطلقا، ورسم المصحف ولو تقديرا، فهى من الأحرف السبعة، وما لا تجتمع فيه فشاذ"[٣].

وممن قال باشتراط التواتر من القراء: الإمام أبو القاسم الصفراوي "ت٦٣٦هـ" والإمام الداني "ت٤٤٤هـ" وأبو القاسم الهذلي "ت٤٦٥هـ" وأبو الحسن السخاوي "ت٩٠٢هـ" والغزالي في المستصفى، والقاضي عضد الدين الإيجي"[٤]. وفسر الدكتور السندي كلام

(١) مناهل العرفان، للزرقاني (٣٠٢/١).
(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري، صفحة (٧٠) وينظر صفحة (٧٢) لآخر الكتاب.
(٣) شرح طيبة النشر في القراءات العشر، للنويري (١١٧/١- ١٢٢).
(٤) شرح طيبة النشر في القراءات العشر (١/ ١٢١-١٣٢) .

مكي بن أبي طالب فقال: قيل: "إن مكي بن أبي طالب لا يشترط التواتر؛ حيث قال: "القراءات الصحيحة ما صح سندها إلى النبي -ﷺ- وساغ وجهها في العربية، ووافقت خط المصحف" والحق أنه يشترط التواتر، كما تدل عبارته في الإبانة؛ حيث قسم القراءات إلى ثلاثة أقسام، وقال في القسم الأول" :قسم يقرأ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال؛ وهي: أن ينقل عن الثقات إلى النبي -ﷺ- ." ...- وقال في القسم الثاني" :ما صح نقله عن الآحاد ." ...فكلمة "الثقات" بالجمع تدل دلالة واضحة على اشتراطه التواتر، كما أن تعريفه للقسم الثاني يدل على أن مقصوده من القسم الأول هو المتواتر، ثم عدم جواز أخذ القرآن بأخبار الآحاد لديه يدل على أنه يرى التواتر شرطًا لقبول القراءات"[(١)]. وأما ابن الجزري فتردد بين اشتراطه كما بكتابه منجد المقرئين وعدم اشتراطه كما في النشر في القراءات العشر[(٢)] قال السندي: "ولا يضر عدم اشتراط ابن الجزري للتواتر، فغيره قد اشترط التواتر؛ بل أجمعت الأمة أو تكاد تجمع على اشتراطه"[(٣)] فالتواتر حاصل للقراءة أصولا وأفرادا، وإن مما ينفي كون الأفراد ناجمة عن الاجتهاد اتفاق القراء العشرة في مواضع كثيرة من تلك الأفراد، وترك بعضهم لمذهب النحوي، وترك بعضهم القراءة بما يوافق القياس اللغوي، وترك القراءة بالأكثر استعمالا في اللغة، وأن بعض القراءات تشابه بعضها بعضا إلى درجة قريبة جدا، وأنه يمكننا من خلال هذه التشابهات تقسيمها جغرافيا، فقراءة حمزة والكسائي وخلف للفئة الكوفية، في حين وردت قراءة أبي عمرو وابن كثير للفئة البصرية المكية، وقراءة نافع، وأبي جعفر، وابن عامر الشامي للفئة المدنية (نجد هنا أن ابن عامر -رحمه الله- تقترب قراءاته من قراءة المدنيين) وقراءة عاصم فئة أحادية، وكذلك الحال بالنسبة لقراءة يعقوب، فهي لفئة أحادية، ومن

(١) صفحات في علوم القراءات للدكتور السندي، صفحتا (٥٩، ٦٠). نقلا عن الإبانة لمكي بن أبي طالب، صفحتا (٣١، ٣٩).

(٢) تأمل النشر لابن الجزري (١٣/١) ومنجد المقرئين له أيضا، صفحة (٥٧).

(٣) صفحات في علوم القراءات، للدكتور السندي، صفحة (٦١).

أسباب هذا التشابه أن أبا جعفر هو أحد شيوخ نافع في قراءاته، ومنها أن حمزة هو أحد شيوخ الكسائي، والكسائي بدوره شيخ لخلف. الثانية: اتفاق القراءة العشرة في مواضع كثيرة يمكن لرسم الحروف فيها أن يتحمل أكثر من قراءة، هو أمر يرجح كون القراءة نابعة عن تقليد لا عن اجتهاد، بمعنى آخر أنه لو كانت الاختلافات نابعة عن اجتهاد القراء، لوجب أن يكون عندنا عدد أكبر بكثير من الاختلافات في الحروف، قال مجاهد:" والقراءة، التي عليها الناس بالمدينة، ومكة، والكوفة ، والبصرة، والشام، هي القراءة، التي تلقوها، عن أوليهم تلقيا، وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار، رجل ممن أخذ، عنه من التابعين أجمعت الخاصة والعامة على قراءاته، وسلكوا فيها طريقه، وتمسكوا بمذهبه"[(١)]. فالقراء تمسكوا بما نقلوه عمن قبلهم، ولم يخالفوا رسم المصحف، ولم يجعلوا العربية حكما على القراءة، وإنما المعتد به، هو النقل المتواتر.

وثانيا: الطعن في النصوص القرآنية بالتشكيك في بعض ضوابطها باطل؛ لأنها لا تنشئ قراءة، وإنما تحكم عليها من حيث القبول والرد، والإحكام والنسخ، سواء المتواتر أو الشاذ، ومن ثم لا مجال للاجتهاد فيها، حتى يزعم زاعم نشأة قراءة ما من متواتر أو شاذ، ولا يصح في رأي من به مسكة من عقل أو تفكير منطقي أصولي سليم، المساواة بين فروع المسائل الإيمانية، ومهماتها وأصولها، فضلا عما اتصل بحدود مصطلحاتها، كالحكم على قراءة بأنها قرآن أو ليست قرآنا، مثل زعم بعضهم أن هذا قرآن منسوخ، وذاك منسأ، وذياك منسى؛ لأن التواتر جزء من الحد عند الجمهور وأئمة المذاهب الأربعة، فلا تتصور ماهية القرآن إلا به[(٢)] وثالثا: المساواة بين ما ثبت باليقين، وما ثبت بالظن باطلة قطعا؛ لأنها قياس مع الفارق، وانعدام العلة الجامعة. ورابعا: إذا لم يضيع

(١) كتاب السبعة في القراءات ، لأبي بكر ، بن مجاهد ، صفحة (٤٩) .
(٢) مناهل العرفان، للزرقاني (٢٩٦/١).

شيء مما فيه أكثر من قراءة نحو (ننشرها) و (ننشزها)[١] الخالية من النقط، والمحتمل لقراءاتها بأكثر من وجه، فلن يضيع شيء مما ليس فيه إلا قراءة واحدة من باب أولى، أو لأن من قدر على الأبعد في العقل يقدر على الأقرب من باب أولى، ومثل قوله – تعالى–: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)[٢] تحتمل (خليقة) ولم يقرأ بها شذوذا، لأن طريق إثبات القراءة ولو على سبيل الشذوذ هو الرواية، وليس الهوى، ووجهه برهانيا أنه كما حفظت قراءة (خليفة) وأشباهها من النصوص التي ليس فيها قراءات، وخلت من النقط، واحتملت أكثر من قراءة، حفظت النصوص التي احتملت أكثر من قراءة، على ما استقر في العرضة الأخيرة، وهو أكثر القرآن، وقل مثل ذلك في الشكل الذي كان ضبطا شفاهيا وصفيا بالألفاظ لحركات الحروف وسكناتها قائما مقام العلامات المختلفة؛ لأن الصحابة حفظوه، وأدوه إلى التابعين، وهكذا، حتى وصل إلينا بأسانيد صحاح متواترة، وقد ثبت قطعا ويقينا حفظ الصحابة للقرآن الكريم بعدد يفوق التواتر حفظا في الصدور، لأن آلاف الصحابة حفظوا القرآن بمجموعهم، وحفظه جملة فيما بلغنا ما يزيد عن الأربعين، وبلغ عدد من حفظه تسجيلا في السطور من كتاب الوحي أربعين. قال الزركشي في البرهان في بيان من جمع القرآن حفظا في عهده –ﷺ–: "حفظه في حياته جماعة من الصحابة، وكل قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة أقلهم بالغون حد التواتر"[٣].

المطلب الثاني: رد ونقض احتجاج برجستراسر لتقرير زعمه نشأة عدة قراءات أو قسم كبير من القراءات، بسبب خلو المصاحف العثمانية من الشكل، برأي ابن مقسم العطار:

---

(١) قال ابن الجزري : "(واختلفوا) في (ننشرها) فقرأ ابن عامر والكوفيون بالزاي المنقوطة. وقرأ الباقون بالراء المهملة .النشر (٢/٢٦٤).

(٢) سورة البقرة، من الآية (٣٠).

(٣) (١/٢٤١).

ساق برجستراسر خبر ابن مقسم العطار ت ٣٥٤هـ الذي سمح بكل قراءة مطابقة للمعنى، وصحيحة لغويا، تتفق مع النص غير المشكل، وإن لم يقرأها أحد من القدامى وأنه في عام ٣٢٢هـ استدعاه السلطان ....[١] وكان قد ذكر أنه في النصف الأول من القرن الثاني، حاول النحوي البصري أبو عمر عيسى بن عمر الثقفي ت ١٤٥هـ بروكلمان ١، ٩٩ تطبيق قراءة عصرية على قياس (أو مذاهب العربية، على أن لا تسير القراءات الجديدة، حسب التقليد السائد، وتتوافق بشكل أفضل مع الحس اللغوي، وجدت هذه المحاولة معارضة حاسمة"[٢] ...أما المبرد ت ٢٨٥هـ فإنه اشترط كشخص محايد السماح للقارِئ المجاز بأن يقرأ كما يشاء. يعني وَفْق القياس والاجتهاد في اللغة العربية ..."[٣]

قلت: بناء على قول المستشرقين بنشوء القراءات لأي سبب كان، من مثل خلو المصاحف العثمانية من النقط أو الشكل ونحوه، يلزم عنه أن القراءات لاحقة للرسم، وهو باطل، وله صلة بالقسم الأخير من القراءات، الذي تكلم عنه مكي، وأبطله السيوطي بحكاية دليل قطعي، وهو الإجماع على منعه قائلا:"ما وافق العربية والرسم، ولم ينقل ألبتة، فهذا رده أحق، ومنعه أشد، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر". وقد ذكر جواز ذلك عن أبي بكر بن مقسم، وعقد له بسبب ذلك مجلس، وأجمعوا على منعه، ومن ثم امتنعت القراءة بالقياس المطلق، الذي ليس لأصل يرجع إليه"[٤] وعنى برجستراسر القراءات الشاذة، وأنها نشأت بسبب ذلك ورفضت، وذلك على أساس منهج غير علمي في إطلاق المصطلحات الباطلة، مثل قوله "تراث شفوي" لأنه حشر القراءات المتواترة مع الشاذة موهما التساوي بينهما، والحق هو أن الحديث عن القراءات الشاذة، والقول بأنها نشأت بسبب خلو المصحف العثماني من النقط والشكل باطل من جهات: أولها: أنه مما علمه

(١) تاريخ القرآن، لنولدكه، صفحة (٥٦١).
(٢) تاريخ القرآن، لنولدكه. صفحتا (٥٥٩، ٥٦٠)
(٣) تاريخ القرآن، لنولدكه. صفحة (٥٦٠).
(٤) الإتقان، للسيوطي (٢٠٧/١) والنشر، لابن الجزري (٢٨/١).

العامة والخاصة، وأجمع عليه أن طريق ثبوت أي قراءة، حتى لو كانت شاذة هو الرواية والسند، وليس الاجتهاد، أو ما يحتمل قراءة القرآن به، ولذلك ميز بعض المفسرين في تفاسيرهم بين ما هو قراءة شاذة، فأطلقوا الرواية له، وخصوا ما يحتمل القراءة به في العربية، لو كان في غير القرآن بالنص، على أنه من هذا الوجه، ولم يقرأ به أحد أو يزعمه قراءة، وما هو قراءة موضوعة السند، وأما علماء القراءات، فلم يقبلوا ثبوت قرآنية القراءات الشاذة بالإجماع، فما بالك بما لا ينطبق عليه تعريف القراءة مما ليس له سند من محتمل الرسم العثماني، وأقر راويه بوضع بعض القراءات، واستحلاله لوضعها، قال ابن الجزري: "وبقي قسم رابع مردود أيضاً، وهو ما وافق العربية والرسم، ولم ينقل ألبتة، فهذا رده أحق، ومنعه أشد، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر[1]. فهذا أنت ذا ترى أنه نص على أن مرتكبه أي فاعله، والقارِئ به، مرتكب لعظيم من الكبائر؛ لأن القراءة طريقها النقل، وليس الاجتهاد، ثم إن هذا الذي أطلق عليه "قسما" نص على أنه مردود، أي ليس له حظ من النظر، وأرى أن تسمية ابن الجزري تلك المحتملات قسما لا تصح؛ لأن ثبوت القراءة ولو على وجه الشذوذ، واحتمال كونها كانت قرآنا فنسخ، أو من المنسى، أو المنسأ أو بوجه ضعيف، طريقه السماع والرواية، وليس الاجتهاد، أو القياس المطلق، فما عدا ذلك من محتملات الرسم التي لم ترد في رواية، ولا أصل ترجع إليه، مما هو قراءة محتمل كونها كانت قرآنا ونسخت أو أنسيت أو أنسأت، لم يزعم أحد من العالمين قبل قارئها أنها قراءة قرآنية، فإن تجويز القراءة بها باطل، وتعد القراءة بها على أنها قرآن محض لحن أو تصحيف أو تحريف مكذوب، ومبتدع ممن استحل الوضع والكذب على الله –تعالى– وشبيه بالقراءة الموضوعة التي يقر صاحبها بوضع سندها، إلا أنها بلا سند، وقريب منها في السنة الروايات التي لا أصل لها ولا سند، والواردة عمن يستحل الكذب على رسول الله –ﷺ– قائلا: "نحن نكذب له لا عليه" فهذا قريب من استحلال

(١) الإتقان، للسيوطي (٢٠٦/١، ٢٠٧).

ابن مقسم العطار نفسه، والذي أجاز كل قراءة مطابقة للمعنى وصحيحة لغويا تتفق مع النص غير المشكل، ولو لم يقرأها أحد من القدامى[١] وثانيها: في القراءة بما خالف الإجماع جرأة شديدة على كلام الله، وهو كبيرة من أشد الكبائر بالإجماع، وصاحبها يبوء بإثمها، لافترائه الكذب على الله، وتجويزه قولا ساقط الاعتبار؛ لمخالفته إجماعا قد انقرض عصره[٢] فقول برجستراسر بني على باطل؛ لأنه مبني على قول مجتهد بعد انقراض عصر الإجماع، فضلا عن أننا لو افترضنا جدلا أن برجستراسر كان في عصر الإجماع،

(١) تاريخ القرآن، لنولدكه، صفحة (٥٦١).

(٢) قال النويري:"وأما أبو شامة فقال في "شرحه للشاطبية: "وذكر المحققون من أهل العلم بالقراءة ضابطا حسنا في تمييز ما يعتمد عليه من القراءات وما يطرح، فقالوا: كل قراءة ساعدها خطّ المصحف، مع صحة النقل فيها، ومجيئها على الفصيح من لغة العرب، فهى قراءة صحيحة فإن اختل أحد هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة ضعيفة وأشار إلى ذلك الأئمة المتقدمون، ونص على ذلك أبو محمد مكى في تصنيف له مرارا، وهو الحق الذى لا محيد عنه، على تفصيل فيه قد ذكرناه في موضع غير هذا». انتهى. وكلامه صريح كما ترى في أنه لم يجد نصّا بذلك لغير أبى محمد مكى، وحينئذ يجوز أن يكون الإجماع انعقد قبله، بل هو الراجح؛ لما تقدم من اشتراط الأئمة ذلك كأبى عمرو ابن العلاء وأعلى منه، بل هو الحق الذى لا محيد عنه، وكلام الأئمة المتقدم ليس فيه إشارة إلى شيء من ذلك، إنما فيه التشديد العظيم؛ مثل قولهم: إنما هو والله ضرب العنق أو التوبة، ولو سلم عدم انعقاد الإجماع فلا يدل على الاكتفاء بثقة عن ثقة فقط، بل كل من تبعه قيد كلامه بأنه لا بد مع ذلك أن تكون مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له، غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ به بعضهم، فعلى هذا لا يثبت القرآن بمجرد صحة السند؛ لأنه مخالف لإجماع المتقدمين والمتأخرين)شرح طيبة النشر للعلامة النويري (١٢٥/١، ١٢٦) قلت: رد مفحم بفساد الاعتبار لمخالفة الإجماع المنعقد قبله على اشتراط التواتر، إلا أن كلام ابن أبي شامة لا يكتفي بصحة السند، ويشترط موافقة الرسم العثماني؛ لأن بعض القراءات وردت في الصحيح، ولكنها تخالف رسم المصحف كقراءة ابن مسعود، وأبي الدرداء (والذكر والانثى) الجامع الصحيح اللبخاري (٢٣١٥/٥) كتاب الاستئذان، باب : ٣٨ – باب من ألقي له وسادة، برقم: ٥٩٢٢. عن علقمة عن أبي الدرداء، والنشر لابن الجزري (٢٥/٢).

وقال بالمساواة بين القراءة المتواترة والشاذة، لم يعتد بقوله؛ لأنه لا يعتد في الإجماع بقول كافر معاند من اليهود أو النصارى، ولأنه قول في الأصول التي تنبني على القطعيات التي لا اجتهاد فيها، فالقول فيها قول واحد يقيني لا يحتمل الخطأ، ولو جوزناه لجاز الاجتهاد في التوحيد ببدعة النصارى من التثليث، وفي البعث ببدعة الدهرية من الجزم بعدم البعث، وهكذا. وثالثها: أجمع علماء القراءات على أن القراءة الشاذة المروية بسند صحيح أو ضعيف، لم تثبت قرآنا، لأن التواتر جزء من حد القراءة القرآنية عند الجمهور وأئمة المذاهب الأربعة، فلا تتصور ماهية القرآن إلا به[1] فكيف يقوم بها عرض القراءات؟ وذلك أن القراءات عرض على جوهر ألفاظ القرآن الكريم، ولا قيام للعرض–القراءات– دون الجوهر –الألفاظ– فحديثهم عن القراءات الشاذة على أنها قرآن مكلف بحفظه والعمل به عند المسلمين، حديث عما لا وجود له إلا في خيالهم الواسع، ولو افترضنا جدلا أن بعضهم لا يقول بذلك، وأنه يريد أن على المسلمين أن يغيروا موقفهم، ويقولوا بالمساواة بينهما، فهل يستويان في العقل بعد ثبوت كل تلك الفوارق بينهما من جهات الثبوت وعدمه، والتواتر وعدمه، والنسخ وعدمه، وموافقة اللغة وعدمها، وموافقة الرسم العثماني وعدمه، ووجوب التقديس وعدمه، وتكليف الشارع بحفظها وعدمه، ووجوب العمل بها انفرادا وعدمه، ومرافقة الإجماع لمراحل النقل وعدمه؟! والإيمان به أصلا إيمانيا وعدمه؟! هل بعد ذلك البون الشاسع بينهما تصح المساواة عند من به مسكة من عقل، أو ذرة من تفكير منطقي أصولي سليم؟! ورابعها: أن الاحتمالات ليس من بينها أن بعضها قرآن مكلف بحفظه والتعبد به، ومثلهما العمل بها ما لم يرافقه إجماع الأمة، وأيا ما كان من كون القراءة لم تستفض فلم تقبل، أو صح سندها ولم تستفض، فعرف أنها مما نسخ في العرضة الأخيرة، لا يلزم منه على الإطلاق أن تكون القراءةُ ناشئةً لخلو المصحف من

(١) مناهل العرفان، للزرقاني (٢٩٦/١).

الشكل والنقط؛ لأن سبب عدم قبولها هو عدم استفاضتها[1] وبناء عليه فإن ثبوت القراءة يكون بالسند الصحيح المتصل المستفيض، وهو عند المحدثين ما زاد نقلته عن ثلاثة، وفي القراءات تعني الانتشار والشهرة والشيوع والقبول وعدم النكير عند العامة دون قصد الرواية، وقراءة العامة هي ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة. وربما أطلق على ما اجتمع عليه أهل الحرمين، فإن قال من يساوي بين المتواتر والشاذ من القراءات القرآنية: أعترض على عدم قبول بعض القراءات القرآنية التي لم تستفض، وصح سندها، ثم كيف يجمع بين عدم استفاضتها وصحة سندها بأنها مما نسخ في العرضة الأخيرة دون دليل؟ وإنني أرى أن تلك قراءات نشأت بسبب خلو المصحف العثماني من الشكل، فيجب قبولها سواء استفاضت أو لا، ولا يصح عندي قول من قال بأن ذلك الرفض بسبب أنها مما نسخ في العرضة الأخيرة . فجوابه هو أن شرط الاستفاضة–والتي بينا أنها في نقل القرآن وقراءاته لا حد لها، فهي تساوي التواتر– لقبول القراءة، عند بعض القراء شرط ضابط، وقد جاء لاستبعاد ما ليس متواترا، فلو افترضنا جدلا صحة قول المعترض بنشوء قراءة ما بسبب خلو المصحف من الشكل؛ فقد رفضت تلك القراءة بالإجماع؛ لأن اشتراط الاستفاضة يعني تقييد القراءة القرآنية وحصرها، ولأن اختيار أئمة القراءات العشر، كان مما تواتر أو استفاضت من مروياتهم المسندة عن شيوخهم، وليس عن اجتهاد ورأي، وهو ما يفيد تقييد القراءة القرآنية وحصرها أيضا. ولأن شرط تواتر القراءة المقبولة أو استفاضتها، وتقيدها بما استقر في العرضة الأخيرة ثابت الحجية، بدليل الإجماع عليه بين علماء القراءات، وإذا ثبت ذلك علم أن القراءات الأربع فوق العشرة من قراءة الحسن

(١) معنى عدم استفاضتها أنها لم تشتهر، ولم يقرأ بها الجم الغفير، فلم تقبل رغم توافقها مع المصحف الخالي من الشكل، وهي كلمة تعم الصحيح والسقيم السند من القراءات الشاذة ومن أنواعها ما نسخ في العرضة الأخيرة، ومنها قراءات مسندة في كتب الصحاح إلى الصحابة بسند صحيح، ولكنها شاذة اتفاقا –تأمل إتحاف فضلاء البشر، في القراءات الأربعة عشر، لشهاب الدين، الدمياطي (٧/١)– لأن القرآن المكلف به لا يثبت إلا بالتواتر.

البصري، ويحي اليزيدي البصري، والأعمش الأسدي، وابن محيصن المكي، صحيحة السند، ولكنها لم تستفض، فلم تقبل على أنها قراءات قرآنية، وقد أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على القراءات العشرة، وكذلك أجمع عليه القراء أيضا إلا من لا يعتد بخلافه. قاله الإمام العلامة شمس الدين بن الجزري، وبه قال السبكي والنووي والنشائي في "جامع المختصرات والإسنوى، والأذرعى، والزركشى، والدميرى، وغيرهم- رضى الله تعالى عنهم أجمعين- وكذلك الشيخ أبو عمر بن الحاجب التونسى في "تفسيره" وابن عبد البر.[١] وقال في موضع آخر: "وعليه المالكية والحنفية والشافعية".[٢] وقال النوَّيري: "ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يصلّى خلف من يقرأ بها، وكذلك قال في "الفتاوى" و"التبيان"[٣] وقال ابن الجزري عن القراءة برواية الثقات التي لم تستفض: "واختلف العلماء في جواز القراءة بذلك في الصلاة، وأكثر العلماء على عدم الجواز" واستدل بخمسة أدلة: أولها: أن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي -ﷺ- وثانيها: أنها إن ثبتت بالنقل، فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة[٤] وثالثها: يحتمل أنها منسوخة بإجماع الصحابة على

(١) تأمل شرح طيبة النشر، للنويري (١/١٢٧، -١٣٣) باختصار.
(٢) شرح طيبة النشر، للنويري (١/١٣١، ١٣٢).
(٣) شرح طيبة النشر، للنويري (١/١٣٠).
(٤) ورد عن محمد بن سيرين، عن كثير بن أفلح قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلًا -لجنة من حفاظ الصحابة، يرأسها- زيد بن ثابت من قريش، والأنصار، فيهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارؤوا في شيء، أخّروه. قال محمد: فقلت لكثير: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟ قال: لا، قال محمد: فظننت ظنًّا إنما كانوا يؤخرونه؛ لينظروا أحدثهم عهدًا بالعرضة الأخيرة، فيكتبونها على قوله. وقد كان جبريل يعارض النبي -ﷺ- بالقرآن كل سنة مرة وعارضه برمضان في عام وفاته مرتين- أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١٠٤)- ولا يمنع ذلك أن يكون قد نزل بعد رمضان، أو بعد العرضة شيء من =

المصحف العثماني، ورابعها: أنها لم تنقل إلينا نقلاً يثبت بمثله القرآن، وخامسها: أنها لم تكن من الأحرف السبعة"[١] وبناء عليه لا يجوز القراءة بما ورد في مصحف ابن مسعود، أو أبي بن كعب، لأنه لم يتواتر. ومن القراءات الشاذة ما ورد في البخاري ومسلم ﴿قراءة عبد الله بن مسعود: (والذكر والأنثى)[٢] فهذه قراءة مشهورة لم تبلغ درجة المتواتر، ووافقت العربية، واشتهرت عند القراء، فلم يعدوها من الغلط، ... فجُمِعَ بينها وبين ما تواتر، بأنها مما نسخ في العرضة الأخيرة﴾[٣] وهي قراءات مسندة في كتب الصحاح

القرآن ، لم تشمله هذه العرضة؛ لأن شهر رمضان كان في سنة عشر إلى أن مات النبي –ﷺ– في ربيع الأول سنة إحدى عشرة، ومما نزل في تلك المدة قوله تعالى:(اليوم أكملت لكم دينكم) –سورة المائدة من الآية (٣)–.فإنها نزلت يوم عرفة من شهر ذي الحجة والنبي –ﷺ– بها بالاتفاق وشهر ذي الحجة في السنة العاشرة التي حج فيها النبي –ﷺ– يأتي في ترتيب الشهور الهجرية بعد شهر رمضان. قال ابن الجزري بأن الصحابة –ﷺ– تلقوا عن رسول الله –ﷺ– ما أمره الله– تعالى– بتبليغه إليهم من القرآن، لفظه ومعناه جميعا، ولم يكونوا ليسقطوا شيئاً من القرآن، الثابت عنه –ﷺ– ولا يمنعوا من القراءة به.– النشر، لابن الجزري (٤٥/١)– وهو يعني أن النبي –ﷺ– بين في العرضة الأخيرة، ما ثبت فحسب، وما لم يقرأ به، فهو من المنسوخ وعلى هذا أقرهم في حياته وأجمعوا عليه بعد وفاته– وقال ابن كثير: "والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة" مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله –تعالى– ليبقي ما بقي، ويذهب ما نسخ ، توكيدًا، أو استثباتًا وحفظًا؛ ومن الجدير بالذكر أن أسانيد أئمة القراءات العشر ترجع إلى ثمانية من الصحابة– منهم زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف العثمانية، والذي شهد العرضة الأخيرة، والتي بين فيها ما نسخ، وما بقي، وكتبها لرسول الله –ﷺ– وقرأها عليه، وكان يقرئ الناس بها، حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر لجمعه، وولاه عثمان كَتْب المصاحف –المرجع السابق (٥٢٥/٤) والبرهان للزركشي (٢٣٧ /١).

(١) النشر، لابن الجزري (٢٧/١) .

(٢) سورة الليل، من الآية (٣).

(٣) الإتقان، للسيوطي (٩٠/١).

إلى الصحابة بسند صحيح، ولكنها شاذة اتفاقا[1] لأن القرآن المكلف به لا يثبت إلا بالتواتر، ومن يدعي أنهم قرؤوا بها اختراعا من أنفسهم؛ لخلو المصحف العثماني من الشكل والنقط بعد كتابة المصاحف العثمانية يعوزه الدليل، إذ البينة على من ادعى، وهو محال لأكثر من دليل عقلي فأولا: لأن الدعوى أعم من الدليل؛ وحقيقته أن قراءة ابن مسعود (والذكر والأنثى) مما نسخ في العرضة الأخيرة، وهي مخالفة لرسم المصحف العثماني، وسببها راجع إلى الإثبات والحذف، فلا يصح القول بأن كل ما نسخ في العرضة الأخيرة راجع إلى خلو المصحف من الشكل؛ لأن بعضها ليس كذلك، ومن المسلم به منطقيا أن القضية الكلية الموجبة ينقضها الجزئية السالبة، وثانيا: ثبوت القراءة بالاستفاضة، ووجه معقوليته يعود إلى أن القرآن نزل للتحدي والإعجاز ومثله يجب أن ينقل بلفظه، ولا أقل من أن يشترط لإثباته التواتر، فيكون سبب عدم قبولها لعدم استفاضة سندها وجيها في مثل هذه المهمات من المنقولات، ولذلك قالوا: إن ثبوت القراءة يكون بالسند الصحيح المتصل المستفيض، والاستفاضة عند الفقهاء شهادة اثنين، وعند المحدثين ما زاد نقلته عن ثلاثة، ولكنها في القراءات تعني الانتشار والشهرة والشيوع والقبول، وعدم النكير عند العامة دون قصد الرواية، ودون حد لعدد من وردت عنهم في كل طبقة. وثالثا: إن قلت: فلماذا إذا كتبت المصاحف العثمانية خالية من الشكل؟ قلت: كتب المصاحف العثمانية ولم يكن الشكل قد ظهر بعد، ولم يكونوا في حاجة إليه؛ لأنهم استغنوا عن الشكل، بما جعلوه أساسا في نقل نصوصهم من حفظ الصدور؛ حتى صار من القواعد المشهورة عند الأصوليين والمحدثين، تقديم ما كان محفوظا بالسماع على ما كان منقوشا في السطور، ومن يروي من كتاب عن سماع، على من يروي منه عن مناولة أو وجادة، إذ لا يؤمن أن يزاد فيه أو ينقص دون أن يفطن إليه من أذن له بالرواية منه. ثم إن التعرض لاحتمال نشوء قراءات بسبب خلو المصحف العثماني من الشكل،

(١) تأمل إتحاف فضلاء البشر، في القراءات الأربعة عشر، لشهاب الدين، الدمياطي (٧/١).

فيه دليل على المشبه لا له فيما يخص الاعتراض على عدم قبول القراءات التي لم تستفض، أو نسخت في العرضة الأخيرة؛ لأن ذلك عمل الصحابة، وهم فعلوا ذلك لحصر القراءة فيما كان في العرضة الأخيرة، وهو ما يصحح رفض ما لم يستفض من القراءات، وتأويل ما صح بأنه مما نسخ في العرضة الأخيرة، وينفي نشوء قراءة قرآنية ما لأي سبب من الأسباب، لأن القراءات وحي منزل، سماوي المصدر، فلا يعود نوع منها إلى الاجتهاد، أو القياس، أو فشو اللغة، وإنما هو النقل والاتباع والرواية، ولأننا متبعون لإجماع الصحابة في عملهم، وليس لبدعة هذا أو تخرص ذاك. ومن جهة النقل: إجماع المجتهدين من المسلمين على أن من زاد أو بدل أو نقص حرفا من كتاب الله عامدا متعمدا، أنه منكر لمعلوم من الدين بالضرورة، من أن القرآن تجب روايته باللفظ تلقينا ومشافهة، وتحرم روايته بالمعنى، ﴿وليس ذلك من القراءات الشاذة أصلا﴾[1] ﴿وأما خبر ابن مقسم، وتجويزه لافتراء قراءات لا سند لها من صحة أو ضعف مما صح معناه، واحتمله الرسم العثماني، وأنه قرأ بها في الصلاة، فقد أجمع مجتهدو القراءات في زمانه على منعه واستِتَابته﴾[2]. وهو قول غير مقبول لكونه بعد انقراض عصر الإجماع، ولو افترضنا جدلا أنه قاله في العصر نفسه، لكانت تلك بدعة تسقط عدالته، ومن ثم لا يعتد في الإجماع بقول فاسق مبتدع وثالثها: يناقض نصوصا صريحة في القرآن، من وعد الله بحفظ القرآن، وإخباره بأنه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه كما هو بين أيدينا في اللوح المحفوظ، ونحو ذلك، فهذا من جهة النقل، وأما من جهة العقل فهو محال، بدليلين: أولهما: أنه لو زاد صحابي ما قراءة لأي سبب، كالسبب الذي زعمه جولدتسيهر مثلا من خلو المصحف العثماني من الشكل والإعجام، زاعما أنها قرآن يتعبد بتلاوته، ومكلف به، لتواتر خبره بها إلينا؛ لأن حدثا كهذا مما تتوافر الدواعي على نقله[3]

(١) منجد المقرئين، لابن الجزري، صفحة (٢٠).
(٢) الإتقان، للسيوطي (٩٠/١) بتصرف يسير.
(٣) تأمل إعجاز القرآن، للباقلاني، صفحة (١٨).

وتواتره، فلما لم ينقل إلينا بالنقل الصحيح، علم أنه لم يقع، وثانيهما: دليل الواقع والتاريخ من استمرار التلقي، وإعطاء الإجازات المتصلة السند، ومصنفات القراءات، إذ هي شاهدة بأنه لم يصلنا شيء من ذلك عن أحد من الصحابة -ﷺ- إذا ليس ذلك إلا محض افتراء، لا يقوله من كان به مسكة من عقل(١) وعلى ضوء ما تقدم أستطيع القول بأن ما نسب للحسن البصري والمبرد من الأقوال الشاذة باطل ولا يمت إلى الحقيقة بصلة بعدة أدلة: أولها: أنها على افتراض صحة نسبتها إليهم جدلا، فإن الذي قال بها أفراد، وثانيها: أنها قيلت بعد انعقاد الإجماع ومضي زمنه، فلا يعتد بقولهما، بالإضافة إلى أن من شروط القراءة المتواترة صحة السند، وتواتره، وموافقة الرسم العثماني، واللغة العربية بوجه من الوجوه، وليس هذا تقليدا؛ لأن تلك الشروط مجمع عليها فهي حجة بينة في ثبوت القراءات القرآنية المستقرة والمتواترة عند العقلاء، ولا تمنع من توجيه القراءة لغويا، والتقليد المتبع في نقل الثقات عن النبي -ﷺ- محمود؛ لأن القرآن متعبد بنصوصه ومتحدى به،

(١) شهادة الواقع والتاريخ والمعقول: يقول الأستاذ الدكتور: محمد سالم أبو عاصي، في الرد على هذه الشبهة: "يبطل شبهة تسبب تجرد الخط العربي العثماني في المصاحف العثمانية لأول الأمر من الشكل والنقط في كثير من التحريف والتصحيف في القرآن ثلاثة شهود عدول: الشاهد الأول: الواقع المحس المشاهد المعروف من العامة قبل الخاصة، من تلقي طلبة العلم القرآن عن شيوخهم، لا في أخذهم له من مجرد المصاحف . الشاهد الثاني: التاريخ الثبت الناطق، باستمرار هذا الواقع، واتصال حلقاته، في جانب الماضي، حتى عهده -ﷺ- الذي هو أول عهود القرآن المجيد، وحسبك بأنك لا تزال ترى الكثير من محفظي القرآن، وقرائه اليوم، يعطون تلاميذهم، بعد أن ينهوا حفظه على أيديهم، إجازة تتضمن سند التلقي المتصل عنهم، إلى النبي -ﷺ- ينظر مجلة البحوث الإسلامية (١٩٦/٣٥).-. الشاهد الثالث: المعقول، فإن كون القرآن هو الأصل الأول، والمصدر الرئيس، والمعجزة الكبرى الباقية لهذا الدين، وأنه على ذلك مطلوب في مراسم العبادة، ومواطن الاستدلال، وغيرها، كل أولئك قاض بتوافر الدواعي على نقله، وفرط الاهتمام به، تحملا وأداء" – تأمل كتاب "لا ريب فيه، نقض أوهام حول القرآن الكريم" لفضيلة الأستاذ الدكتور: محمد سالم أبي عاصي، صفحات (٩٤-٩٦).

وتبديل الأشخاص له، أو تصحيفهم أو تحريفهم، يذهب ببلاغته وإعجازه، وقد أمرنا – ﷺ– بقراءة القرآن كما علمنا، وهو حكم مقبول وتقليد واجب وضروري؛ لأنه المتلقي عن الوحي، وأما تقليد العوام فهو قبول قول القائل من غير ذكر حجة للسائل، وهذه الشروط مجمع عليها، والإجماع حجة، ومخالفه آثم؛ لأنه شاق الله ورسوله، وشق عصا المسلمين، وخرج عن جماعتهم، وشذ عن إجماعهم، وثالثها: أن تلك الأقوال عند ظهورها، انعقد إجماع المجتهدين من المقرئين والمفسرين على ردها في زمنها، وكون المبرد جوز القراءة لمن علم ما تواتر وما لم يتواتر، وميز هذا من ذاك، يشير إلى أنه يقصد أن القارِئ عارف بما هو قرآن، مما هو قراءة شاذة، مما هو موافق للقياس والعربية، غاية ما هنالك أنه جوز للقارِئ المطلع قراءة القرآن في غير الصلاة، بالقراءة التي توافق القياس أو العربية، وهو ما انعقد الإجماع على خلافه؛ لأن القراءة سنة متبعة، أي رواية مسندة، لا دخل فيها لاجتهاد، ويلزم قبولها والمصير إليها، فلا يجوز قراءة القرآن بغير المتواتر.

والخلاصة هي أن القراءة عرض على بعض كلمات القرآن؛ لأنه ليس كل كلمات القرآن وارد عليها تغير النطق في كيفية نطقها أو إعرابها، فبينهما عموم وخصوص وجهي، وأن القراءة من حيث التكليف نوعان: الأول: قراءة متواترة تعد قرآنا مكلفا به، والثاني: قراءة غير متواترة كانت قرآنا، ولم تعد كذلك، فهي غير مكلف بها، مما يرجح كونها كانت قرآنا لصحة سندها، أو يحتمل كونها كانت قرآنا لضعف سندها، وكلتاهما حكم عليها بأنها كانت قرآنا؛ ولم تعد كذلك؛ لأنها كانت من المنسوخ تلاوة لا رسما، أو العكس، أو تلاوة ورسما، أو من المنسا، أو من المنسأ، أو قطع بعدم قرآنيتها في أي وقت ما؛ لكونها لا أصل لها ولا سند، أو واردة بسند موضوع، فلا تجوز روايتها إلا مقرونة بوصفها قراءة موضوعة السند، لأن انفراد الراوي بها مع توفر الدواعي على نقلها من أمارات الوضع في الراوي، وأما استحلال القراءة بمحتمل الرسم العثماني مما لم يرد بسند، فليس بقراءة قرآنية، وإنما تحريف أو تصحيف متعمد، يعد فاعله منكرا لمعلوم من الدين بالضرورة، ومن ثم يستتاب حتى يعود عن جرأته وخوضه في كتاب الله .

المبحث الثالث: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات لبرجستراسر وجولد زيهر وآرثر جفري ومن تبعهم، بتصور شبهتهم قياسا ونقضه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرد على زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأت به عدة قراءات، ببيان صورة قياس المستشرقين ونقضها:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: صورة القياس الاقتراني المفترضة للمستشرقين:

صورة القياس الاقتراني المفترضة لزعم نشأة عدة قراءات قرآنية بسبب خلو المصاحف العثمانية من النقط هكذا: كل المصاحف القرآنية- مكتوبة بخط عربي خال من النقط (الصغرى) وكل مكتوب بخط عربي خال من النقط -نشأ فيه تصحيف وتحريف (الكبرى) كل المصاحف القرآنية نشأ فيها تصحيف وتحريف (النتيجة).

المسألة الثانية: نقض صورة القياس الاقتراني المفترض للمستشرقين:وفيها محوران:

المحور الأول: نقض (المقدمة الصغرى) للقياس الاقتراني المفترض للمستشرقين:

جواب هذا القياس المفترض هو أننا منع من (المقدمة الصغرى) التي تقول بأن كل المصاحف القرآنية- مكتوبة بخط عربي خال من النُّقَط، بعدم ثبوت حكمها؛ لكونها أعم من الدعوى أو النتيجة، وهي زعمهم أن كل المصاحف القرآنية نشأ فيها تصحيف وتحريف، بدليل أن بعض المصاحف القرآنية كتب منقوطا نقط إعجام مثل بعض مصاحف الصبيان، والأعاجم[1] وبعض المصاحف الخاصة بالصحابة -رضي الله عنهم- ومن المعلوم أن القضية الكلية الحملية الموجبة، ينقضها الجزئية السالبة. على أنه من

(١) لضرورة التعلم، إذ كيف يدرك الصبي أو الأعجمي الفرق بين الحروف المتشابهة خطا دون نقط يميز بين (التاء والثاء والباء والياء) مثلا.

المعقول، افتراضه مرجعا كافيا عند الالتباس، فيحصل البيان، ويزول الإشكال، فهذا نقض لمقدمة قياس المشبهين، ودليلنا لمعارضة المقدمة الصغرى قول ابن مسعود –ﷺ–: "جردوا القرآن"[(١)] وتفسير النخعي لها بالنُّقَط، يعني به الإعجام؛ وهو الظاهر، وذكره للنقط دل على وجوده، وشبهة المستشرقين مبنية على ظن عدم وجوده، وهو باطل، فما بني على باطل باطل مثله، وأما قول الإمام مالك عن نقط المصاحف:"جردوا منه الأمهات[(٢)] ولا بأس به للصبيان"–يعني لا مانع أو مباح– فقد قصد به ما يعم نقط الشكل، والإعجام؛ لأن زمن وجود الإمام مالك، يدل على إدراكه للأمرين: النقط والشكل، ولأن أشهب روى عنه قوله:" إني أكره ذلك في أمهات المصاحف، أن يكتب فيها شئ أو يشكل" وقد كان كتاب الله قبل إدخال هذه العلامات هو كتاب الله، إذن فليست هي تغييرًا أو تبديلاً أو تحريفًا أدخل على كتاب الله، فأضاع معالمه كما يزعم بعض المستشرقين[(٣)].

المحور الثاني: نقض (المقدمة الكبرى) و(النتيجة) للقياس الاقتراني المفترض للمستشرقين: نمنع من (المقدمة الكبرى) وهي أن كل مكتوب بخط عربي خال من النقط نشأ فيه تصحيف وتحريف، لأنك خبير بأن شعر امرئ القيس وغيره لو زيد فيه بيت، أو

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فسر السيوطي قوله "الأمهات" بأنها "المصاحف العامة" مثل مصاحف عثمان –ﷺ– وبـ"الصبيان" النقط في المصاحف التي تتعلم فيها العلماء حال ابتداء التعلم، فلا بأس به" تأمل الإتقان (٤٥٥/٢) بتصرف، وقال ابن كثير:" وقال مالك: لا بأس به بالحبر، فأما بالألوان المصبغة فلا. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥٠/١) .

(٣) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، للباحث: علي بن نايف الشحوذ (٥٠/٥) دخول النقط إلى المنسوخ من المصاحف العثمانية، لم يغير شيئا من كيفية نطق ألفاظ القرآن، لتواتره تقديرا، فلا تحريف ولا تصحيف، وإنما صار بعد ذلك في اصطلاح المحدثين عند صدوره من بعض ضعفة الرواة تصحيفا، في مثل (عباس وعياش) وتحريفا اختص بالتشكيل مثل (سَلَام وسَلَّام) تخفيفا وتشديدا.

نقص منه بيت، لا بل لو غير فيه لفظ لتبرأ منه أصحابه، وأنكره أربابه[1] وهكذا القصائد والرسائل والخطب، ومعظم مكتوباتهم التي تخص الكبار، ضبط الكبار نصوصها دون إعجامها، ودون حدوث تصحيف أو تحريف، ولو قيد أنملة؛ لعلة تحسينية هي إخلاء الكتابة من الإعجام في مكتوباتهم، واقتصار ذلك على الصغار؛ لعدم حاجة الكبار الماسة إليه، ومن أسباب عدم حاجتهم إلى ذلك سلامة فطرتهم، وقوة قريحتهم، وذاكرتهم لأميتهم، وتمكنهم من ناصيتي اللغة والبيان، وترتب على ذلك، وعلى اقتصار الإعجام على مكتوبات الصغار والأعاجم والمبتدئين، أن صار من المعهود عند معظمهم، أن من أدب الكاتب أن يكتب رسائله دون إعجام، كما ترتب على عدم حاجة الكبار إليه، أنه لم يكن مشهورا في مكتوباتهم، ونمنع من النتيجة، وهي أن (كل المصاحف القرآنية نشأ فيها تصحيف وتحريف) لعدة أمور: أولها: أن بعض المصاحف القرآنية كان معجما، فلا ينتج لصاحب القياس أن كل المصاحف القرآنية نشأ فيها تصحيف وتحريف والقضية الكلية الموجبة تنقضها الجزئية السالبة، وثانيها: لأنه يلزم عن النتيجة التي توصل إليها الخصم ملزوما مستحيلا، وهو أن يكون الحفظ لشيء يراد حفظه من المسموعات، طريق واحد هو الكتابة والرسم، ولكن الحقيقة هي أن كل مسموع كان له طريقان في حفظه وقت نزول القرآن، الأول: حفظ الصدور، وهو الأساس، وقد حفظ الصحابة القرآن بقراءاته في صدورهم، وتواترت بالسند الصحيح المعلوم المتصل من حفاظ القراءات إلى رسول

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني، صفحة (١٩). وقال برجستراسر بأن القراءات أصعب من الشعر، فالقياس مع الفارق، وجوابه هو أن عناية المسلمين بالقرآن وقراءاته ،كانت أشد من عناية الجاهليين بالشعر، وقد أدرك بعضهم القرآن فهجر لأجله الشعر مثل لبيد بن الأعصم، فضلا عما يحكى عن العرب حينئذ من أنهم كانوا أميين يعتمدون على ذاكرتهم، مما متعهم بقوة بذاكرة تشبه الكرامات في الحفظ والإتقان. واستدل برجستراسر باستعانة زيد بن ثابت بالمصادر المكتوبة، وجوابه بأن ذلك كان في عهد أبي بكر وعمر زيادة في التوثيق، فلا ينفي أن الأساس هو حفظ الصدور. تأمل تاريخ القرآن، لنولدكه (٥٥٧/٣)

الله –ﷻ– ولا يزال حتى يوم الناس هذا، وسيظل سند الأمة لقرآنها هكذا متصلا غير منقطع إلى قرب قيام الساعة[١] ضرورة أن الله تكفل بحفظه في السماء فقال: (فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)[٢] وفي الأرض فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لحَافِظُوْنَ)[٣] قال أبو حيان:"أي هو محفوظ في القلوب، لا يلحقه خطأ ولا تبديل[٤]. وقال في فتح القدير: "(وَإِنَّا لَهُ لحَافِظُوْنَ) عن كل ما لا يليق به من تصحيف وتحريف، وزيادة ونقص، ونحو ذلك"[٥] وقال –تعالى–: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)[٦] والرد إلى الله رد إلى كتابه القرآن الكريم، والرد إلى الرسول رد إلى سنته، فإن لم يكونا محفوظين خلا البيان عن الفائدة، وصار لغوا باطلا، وهو مستحيل، فالأساس في حفظ القرآن والسنة هو حفظ الصدور[٧] ويقدم ما كان طريقه السماع من مرويات كتب الحديث على ما كان طريقه الكتابة والمناولة والوجادة، والثاني: حفظ السطور، ولأجل الأمن من أيّ تحريف أو تغيير في كلام الله –تعالى– التزم جمهور علماء الأمّة رسم خطّ المصحف العثمانيّ دون تغيير فيه، مهما تغيّر اصطلاح الكتابة في العصور اللّاحقة، وأجمعوا على تحريم الخروج عنه، وثالثها: نمنع من أن ينشأ من خلو المصاحف القرآنية أو العثمانية من الإعجام تصحيف، وتحريف بمعنى قراءات متواترة ومستفيضة أو غير مستفيضة –على حد زعم برجستراسر الذي صرح بذلك–قائلا: "فلم تقبل" لعدم وجود دليل على صحتها، ورابعها:

---

(١) تأمل النشر، لابن الجزري (٤٦/١).

(٢) قرأ نافع: "محفوظ" بالرفع على نعت القرآن، فإن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف" تفسير البغوي، الشافعي (٢٣/٥ ٧), والنشر لابن الجزري (٤٤٠/٢).

(٣) سورة الحجر، من الآية (٩),

(٤) البحر المحيط (٤٧٧/١٥),

(٥) فتح القدير، لمحمد، بن علي، بن محمد، الشوكاني. وراجع الآية (١١٥) من سورة الأنعام، والآيات (٤١، ٤٢) من سورة فصلت، والآية (٨٢) من سورة النساء، والآية (١٩) من سورة القيامة .

(٦) سورة النساء، من الآية (٥٩),

(٧) تأمل النشر، لابن الجزري (٤٦/١).

القراءات المعتمدة لدى المسلمين، هي المستقرة في العرضة الأخيرة، ووقع بها التحدي والتعبد، وكلف بحفظها، وحظيت بمظاهر التقديس، وهي ثابتة باليقين من طريقين: أولهما: تواتر السند في ذات نفسه، دون انقطاع، والتواتر يفيد اليقين، واليقين لا يزال بالشك، ويستحيل أن يجتمع اليقين والشك في شيء واحد في زمن واحد؛ لأنهما متضادان لا يجتمعان، وثانيهما: إجماع المجتهدين من الصحابة إجماعا مستندا إلى دليل قطعي، على تحقق ذلك التواتر للقراءات القرآنية، وإجماع الأمة من بعدهم على استمراره إلى يوم الناس هذا[١]. وننقض النتيجة بعدة أدلة: أولها: أن خط المصحف لا يقاس، وثانيها: – أن زيد، بن ثابت–ﷺ– نقط بعض الحروف، وقد روى هذا سفيان، بن عيينة، فالنوعان كانا موجودين ومشهورين، وهما الكتابة مع نقط الحروف ودونها، من قبل العهد النبوي بثلاثة قرون ونصف قرن، حسب المعطيات العلمية الأثرية، والعرب هم أول من أعجم أبجدية جزيرية سامية، وحركها بالحركات، من أجل ضبط المصحف، وعنهم أخذ ذلك اليهود، والسريان، قال القلقشندي: "كان العرب الخلص يعدون نقط الكتاب، أو شكله سوء ظن بالمكتوب إليه"[٢] وكان عرب الصدر الأول من الإسلام، يكرهون إضافة شيء على المصحف الإمام، مصحف عثمان، ولو بقصد الإصلاح[٣] لأنهم كانوا لا يلحنون، ولا يدرون ما اللحن. وثالثها: القراءات الشاذة إما جاءت من طريق صحيح، فهي مما نسخ في العرضة الأخيرة، وإما أنها جاءت من طريق آحاد ضعيف السند، فهي على مختلف حالاتها من موافقة أو مخالفة الرسم واللغة أو أحدهما، ليست مكلفا بها، ولا اعتداد بقرآنيتها لا يقينا ولا ظنا في مواجهة المجمع عليه، الذي ثبتت له القرآنية قطعا مفعولا، فلا يقبل نسخا ولا تأويلا، ولا يجوز قراءة القرآن بها، ولا يتعبد بتلاوتها في الصلاة، وليست نصا مقدسا، ولو قبلناها جدلا على أنها نصوص مقدسة، لملأ المستشرقون الدنيا

---

(١) تأمل النشر، لابن الجزري (٤٦/١).

(٢) صبح الأعشى (١٥٦/٣).

(٣) قصة الكتابة العربية، للباحث: إبراهيم جمعة، صفحة (٤٣).

ضجيجا قائلين بأن المسلمين أدخلوا في قرآنهم ما ليس بقرآن، وأن نصه المقدس لم يسلم من الدخيل أو التبديل والتصحيف والتحريف، ومتعمده في حرف زائد أو ناقص كافر كما قال القاضي عياض(١). ويجوز بيان وجه ضعف القراءة الشاذة التي جاءت عن طريق الرواية الضعيفة، في مقابلة القراءة الصحيحة التي جاءت عن طريق رواية صحيحة متواترة، ويجوز روايتها من جهات ثلاث: أولها: الاحتجاج اللغوي أو البلاغي إذا ثبتت لغة أو لهجة غير قرآنية؛ لأن الرواية الضعيفة في مثل هذا المقام، لا تثبت بها قرآنية، وثانيها: على جهة التفسير من القارِئ بها لمعنى الآية القرآنية، والعمل بها تنزيلا لها منزلة خبر الآحاد(٢) مع التنبيه على شذوذها، وله فوائد عديدة. وثالثها: توجيهها كقراءة افتراضية جيء بها في كتب التفسير لمجرد تعليم الإعراب، ونشر اللهجات، أو لغير ذلك، مع التقييد بأن يقول:"ولو قرئ في غير القرآن بكذا لصح، أو ويجوز أن يقرأ في غير القرآن بكذا " وليس المراد هنا بالقراءة القراءة بالمعنى الاصطلاحي، بل المعنى اللغوي، فليس ذلك تخليا عما أجمع عليه المسلمون في القراءات المعتمدة كما زعم"(٣) وهذا إقرار منه بإجماع المسلمين، يلزم عنه فساد اعتبار طرحه.

المطلب الثاني: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من الشكل نشأت به عدة قراءات ببيان صورة قياس المستشرقين ونقضها:

وفيه مسألتان: المسألة الأولى: بيان صورة قياس المستشرقين بالنسبة للشكل:

كل المصاحف القرآنية– مكتوبة بخط عربي خال من الشكل (الصغرى) وكل مكتوب بخط عربي خال من الشكل – نشأ فيه تصحيف وتحريف (الكبرى) كل المصاحف القرآنية نشأ فيها تصحيف وتحريف (النتيجة)

(١) إيقاظ الأعلام، لمحمد حبيب الله الجكني ، صفحة (٢٢) .
(٢) الإتقان للسيوطي (٢١٩/١) وتأمل النشر، لابن الجزري (٤٤/١),
(٣) تاريخ القرآن، لنولدكه، صفحة (٥٦٢).

المسألة الثانية: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل، نشأ به عدة قراءات، بنقض صورة قياس المستشرقين بالنسبة للشكل:

ونجيب على المقدمة الصغرى، بأننا وإن سلمنا بذلك؛ لتأخر مصطلح الشكل الذي عرف بعد كتابة الرسم العثماني بتسعة عشر عاما تقريبا، لكن لا نسلم بأن معناه تأخر؛ لأنه في البدء كان "الوصف اللفظي" أو كيفية النطق بالحركات موجودة لفظا، ويمكن عند الحاجة إليها كتابتها سطرا، كأن يقولوا: بضم الشفتين، وفتح الشفتين، وزمِّ الشفتين –للكسر والسكون– وحسبك بثبوت اهتمام الصحابة بالإعراب دليلًا، فعن أبي بكر، وعمر، أنهما قالا: "إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه" أي قراءاته، فإذا قرأ القارِئ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ)[١] كانت الضمة والفتحة والكسرة من تمام لفظ القرآن[٢]. قال السمين الحلبي:"«وقرأ يحيى بن يعمر: "وَخَلْقَهُمْ" بسكون اللام. قال الشيخ–يعني أبا حيان صاحب البحر المحيط–:"وكذا في مصحف عبد الله". قلت: قوله "وكذا في مصحف عبد الله" فيه نظرٌ؛ لأن الشَّكْلَ الاصطلاحي، –أعني ما يدل على الحَرَكَاتِ الثلاث، وما يَدُلُّ على السكون، كالجزءِ منه– كانت مصاحف السلف مجردة منه، والضبط الموجود بين أيدينا اليوم أمر حادث، يقال: إن أوَّل من أحدثه يحيى بن يَعْمُر، فكيف يُنْسَبُ ذلك لِمُصْحَفِ عبد الله بن مسعود؟"[٣] وبنحوه عقب السمين الحلبي على قراءة (فَشَرِّدْ) بالذال المعجمة[٤] قلت: لم يكن ضبط الشكل بطريقة ما مستحيلا، ولن تعدم كتاب العرب طريقة ما لضبط حركة حروف الكلمة، وقد كان مصحف ابن مسعود تفسيرا خاصا به، فلعله ضبط الكلمة بالوصف اللفظي"بسكون اللام"[٥] وهذا وإن كان محتملا فيه وفي غيره من المصاحف، إلا أنه حجة لنا في منع التسليم للمقدمة الصغرى من القياس؛ لأن المقدمات

---

(١) سورة الفاتحة، الآية (٢).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥٧٦/١٢).

(٣) الدر المصون، للسمين الحلبي (٨٦/٥).

(٤) الدر المصون للسمين الحلبي (٦٢١/٥) قال : "تقدم أن النَّقْط والشَّكْل أمرٌ حادثٌ أحدثه يحيى بن يعمر، فكيف يُوْجَد ذلك في مصحف ابن مسعود؟".

(٥) الدر المصون، للسمين الحلبي (٨٦/٥) .

يجب أن تكون حقائق يقينية، لا يتطرق إليها الاحتمال، لا سيما في أمثال هذه المهمات من المسائل التي يجب أن يطلب لها أدلة يقينية إثباتا أو نفيا، ولا يكتفي فيها بأدلة ظنية. ونمنع من المقدمة الكبرى، وهي: كل مكتوب بخط عربي خال من الشكل – نشأ فيه تصحيف وتحريف (الكبرى) ونجيب بما أجبنا به على القياس المفترض للمستشرقين، للخلو من النقط فيما سبق، بالإضافة إلى ردين: أولهما: أن الدليل على صحة وتناسب علة كون الصحابة لم يكونوا في حاجة إلى الشكل لضبط القرآن وقراءاته، هي أن العصر كله لم يكن في حاجة إلى ضبط نصوصه بشكل عام، وأن ما ثبت للأعم يلزم ثبوته للأخص، بمعنى أنه إذا ثبت عدم معاناة العصر في مكتوباته من خلوه من النقط، ثبت عدم معاناته من خلوه من النقط في مكتوبات القرآن وقراءاته، فلم يكن العصر كله في حاجة إلى شكل وضبط القرآن، وقراءاته[1] وثانيهما: لنا أن نستدل بقياسي المساواة والأولى كما تقدم ذكره. وصورة القياس الاقتراني من الشكل الأول هكذا: كل نصوص العصر النبوي/ لم تكن في احتياج إلى ضبط لحفظها/ وكل القرآن بقراءاته/ نص من نصوص العصر النبوي/ إذا كل القرآن بقراءاته لم يكن في احتياج إلى ضبط لحفظه. أو عكسه من الشكل الرابع هكذا: كل القرآن بقراءاته نص من نصوص العصر النبوي، وكل نص من نصوص العصر النبوي لم يكن في احتياج إلى ضبطه ، إذا كل القرآن بقراءاته لم يكن في احتياج إلى ضبطه، ونمنع من التسليم للنتيجة بما منعناه سابقا في القياس المفترض بالنسبة للإعجام باستدلالين أولهما: أن المستشرق أسس بنيان شبهته على شفا جرف هار من الاحتمالية لدلالة الرسم العثماني، والمحتمل متردد بين جواز وجوده، وعدم وجوده، وما تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال، كما هو معلوم في أمثال هذه المقامات. وثانيهما: تواريخ وفيات القراء العشرة تدل على حداثة عهدهم بالتابعين، والصحابة، وحداثة العهد تزيد الثقة بالسند –لعلوه– وبالمتن تباعًا، فجزى الله بالخيرات عنا أئمة .. لنا نقلوا القرآن عذبا وسلسلا.

(١) تأمل تاريخ القرآن، للأستاذ الدكتور: عبد الصبور شاهين، صفحتا (١١١-١١٢) بتصرف.

المبحث الرابع: بيان أغراض من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات مثل جولد زيهر، وآثر جفري، وبرجستراسر، ومن تبعهم من المستشرقين، والرد عليهم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان أغراض من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات مثل جولد زيهر، وآثر جفري، وبرجستراسر، ومن تبعهم من المستشرقين: يرى المستشرق (إجنتس جولد تسيهر) (١٨٥٠ – ١٩٢١ م) أن سبب ازدياد القراءات، هو عدم نقط المصحف العثماني(١). ونص كلامه هو الآتي: "وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات، إلى خصوصية اللفظ العربي، الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبْعا لاختلاف النقط الموضوعة فوق هذا الهيكل، أو تحته، وعدد تلك النقط ... وإذا فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات...كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات، في نص لم يكن منقوطا أصلا، أو لم تتحر الدقة في نقطه، أو تحريكه، ولبيان هاتين الحقيقتين قد تكفي بعض أمثلةٍ فحسب"(٢). وضرب مثلا بأنهم سألوا عمرَ أن يغير آية الكهف (حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما) بأن يقرأ: (فأتوا أن يضيفوهما) بدلا من (فأبوا) لما فيه من مهانة لهم"(٣).

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، لإجنتس جولدتسيهر، صفحة (٨) والحاشية رقم (١) ورسم المصحف العثماني، وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، للدكتور: عبد الفتاح شلبي، صفحة (٢٩).

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي، لإجنتس جولدتسيهر، صفحة (٨) والحاشية رقم (١).

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، لإجنتس جولدتسيهر، صفحة (٨) والحاشية رقم (١). تأثر بشبهة المستشرقين بالغرب، حول الإعجام والشكل بعض علماء العرب الدكتور: طه حسين فقال: "والحق أن ليست هذه القراءات السبع، من الوحي في قليل، ولا كثير، وليس منكرها كافرا، ولا فاسقا، ولا مغتمزا في دينه، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات، واختلافها ". مجلة البحوث الإسلامية =

وقال جولد زيهر في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي: "لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله، مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات، كما نجد في نص القرآن "[1].

وإن المتأمل في هذا الكلام الذي نقلناه سابقا، عن جولد زيهر ومن اتبعه، يدرك أن له أغراضا منها: أولا: إخراج القراءات القرآنية من كونها، وحيًا نزل به الروح الأمين، إلى كونها تخيلات توهمها علماء المسلمين، وتحريفات، معترف بها لدى المسلمين، خاصتهم، وعامتهم، وأن النصوص الإلهية، المنزلة على رسولهم، أصابها بعض الضياع بسبب طبيعة الخط العربي؛ لأن المصاحف العثمانية كانت في تلك الفترة، التي ظهرت فيها القراءات، غير منقوطة ولا مشكولة، وهذا ساعد على نطق الياء، تاء في مثل " تقولون " أو " تفعلون "! . وثانيا: قطع الصلة بما اعتمدت عليه من دليل متواتر على ثبوتها، وهو كون تلك القراءات المتواترة هي الأحرف السبعة التي بينها النبي -ﷺ-

(١٩٧/٣٥). نقلا عن كتاب الأدب الجاهلي، اللهجات، واختلافها، صفحة (٩٦). وهو يتفق مع المستشرقين السابقين في إنكار سماوية القراءات، ويختلف معهم في سبب نشأتها؛ لأنه يعيدها إلى سبب واحد من أسباب اختلافها السبعة، ألا وهو اختلاف اللهجات، وهو يتوافق وشبهة نولدكه، وقوله باطلاق النبي لكل شخص أن يقرأ حسب لهجته، دون تقييد بالسماع منه؛ لأنه لو تقيد لزم عنه سماوية مصدر القرآن؛ ونشأته وناشئته ونشاءته، أو بداية وأولية ظهوره لنا، لأن النبي -ﷺ- لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ونهج نهجه الدكتور: محمد عبد السلام كفافي، فقال:" وهناك سبب قوي لظهور القراءات؛ لأن مصحف عثمان كتب بغير نقط، ولا شكل " ينظر علوم القرآن، دراسات، ومحاضرات، صفحة (١٠٧). (٣). ومجلة البحوث الإسلامية (١٩٨/٣٥) و د: محمد أركون في كتابه، صفحات (٧٧-٩٩) و د: نصر أبو زيد في كتابيه "نقد الخطاب الدينى" صفحة (٥٣).

(١) مذاهب التفسير الاسلامي، لإجنتسْ جولدتسيهر، صفحة (٤).

وثالثا: المساواة بين المتواتر والشاذ، باعتبار أن الكل تراث شفوي، وأن قراءة النص القرآني المقدس، كانت بحرية مطلقة سمحت بنشوء القراءات من متواتر وشاذ.

المطلب الثاني: الرد من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات مثل جولد زيهر، وآثر جفري، وبرجستراسر، ومن تبعهم من المستشرقين، ببيان الموقف الأدبي للعلماء من النقط، وذكر العلل المشهورة؛ لتجريد المصاحف من الإعجام: وفيه محوران: المحور الأول: رد الشبهة بتبيين الموقف الأدبي للعلماء من نقط الرسائل والكتب: قال القَلْقَشَنْدِيُّ:"كانوا يتحرجون من نقط الرسائل، ويرونها من سوء الظن بالقارِئ، وسعة فهمه"(١)(٢).وفي عصر متأخر عن عصر الصحابة، كانوا يكرهون كثرة النقط خشية إظلام الخط، فيروى أن "عبد الله، بن طاهر" نظر خط كتاب وقع إليه، فقال: "ما أحسنه، لولا كثرة شونيزه، أي نقطه"(٣) ومعناه كما شرح القلقشندي أن النقط مطلوب عند خوف اللبس... لئلا يظلم الخط من غير فائدة(٤).أي خشية إظلام الحروف بكثرة الإعجام حوله، ولكراهة الناظر في المصحف العثماني؛ بسبب كثرة السواد فيه لمآلين: أولهما: أنه قد يصرفه ذلك عن كثرة النظر والمطالعة، فيضعف حفظه، وثانيهما: أن وجود الإعجام يكثِرُ السواد حول الحروف، فينسي تذكر الكلمة نفسها. ووجه المذكور آنفا في

(١) صبح الأعشى، للقلقشندي (١٤٩/٢) بتصرف.

(٢) راجع المفصل في تاريخ الإسلام، للدكتور جواد علي (٢٧/١٢).

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور: جواد علي (٤٧٧٥/١) . قلت: الشونيز هو النقط، وكان لإزالة اللبس ثلاثة أحوال: أولها: نقط بعضهم كثيرا من الحروف بمصاحف الصبيان والمبتدئين والأعاجم. وثانيها: عدم نقط بعضهم أيا مما كتب، وثالثها: نقط بعضهم ما يلتبس، مثل بعض مصاحف الكبار والعامة، وظل ذلك التباين، حتى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان.

(٤) صبح الأعشى (١٤٨/١) وقال السيوطي في تدريب الراوي:"... وقيل: يُشكل الجميع، وقال القاضي عياض:"وهو الصَّواب، لا سيما للمبتدىء، وغير المُتبحِّر في العلم، فإنَّه لا يُميِّز ما يشكل، مِمَّا لا يُشكل، ولا صواب وجه إعراب الكلمة، من خطئه" تدريب الراوي، للسيوطي (٦٨/٣، ٦٩) باختصار.

دفع الشبهة هو أن حديثهم عن العرف الأدبي الذي يتحرج من نقط الكلام العربي في الرسائل يفيد ملزوما هو أن النقط كان موجودا، وإن لم يكن معروفا. والمحور الثاني: رد الشبهة بالعلل المشهورة؛ لإخلاء المصاحف العثمانية من الإعجام:كان الإعجام موجودا، وكان لكثير من الصحابة مصاحف خاصة بلغت خمسة عشر مصحفا، فمن احتاج منهم إلى إعجام بعض المواضع أعجمها، ومن لا لم يعجم، لعلل عامة وخاصة، فأما العامة، لمكتوبات العصر، فأولها: أن إعجام المكتوب كان معروفا، ولكنه كان قليلا في الاستعمال، بسبب العرف السائد حينها من كراهة الإعجام في الكتابة للكبار، وعده سوء ظن بالمكتوب إليه، كما تقدم بيانه وثانيها: ندرة أدوات الكتابة وصعوبتها، وثالثها: شهرة الاعتماد على الذاكرة والرواية المسندة، ورابعها: اختلاف القراءات الذي يعود إلى تباين مواضع الإعجام ليس من باب اللهجات، وإنما من باب الإبدال لحرف بآخر، وهو مما وافق الرسم احتمالا، سواء أكان الاختلاف في موضع الإعجام من الحرف فوقه أو تحته، أم كان بين الإعجام والإهمال، ومع ذلك نقل علماء القراءات وصف القراءات بالحروف التي نابت عنها المسائل نقلا متواترا، يبين مواضع الاختلاف في القراءات العائدة إلى اختلاف الإعجام، ويحدد الجهات والأماكن التي يقرأ فيها بهذه القراءة أو تلك، فمثلا قال الطبري: "اختلفت القرّاء في قراءة قوله: (مَا نُنزلُ الْمَلائِكَةَ) فقرأ ذلك عامَّة قرّاء المدينة والبصرة :(مَا تُنزَلُ المَلائِكَةُ) بالتاء (تُنزَلُ) وفتحها ورفع الملائكة، بمعنى: ما تنزل الملائكة، على أن الفعل للملائكة. وقرأ ذلك عامَّة قرّاء أهل الكوفة (مَا نُنزِّلُ الْمَلائِكَةَ) بالنون في (نُنزِّلُ) وتشديد الزاي ونصب الملائكة، بمعنى: ما ننزلها نحن، والملائكة حينئذ منصوب بوقوع ننزل عليها"[(١)].وقال القرطبي في قوله –تعالى–: (وَلَوْ يَرَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيْعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْعَذَابِ) :"قراءة أهل المدينة وأهل الشام بالتاء، وأهل مكة وأهل الكوفة وأبو عمرو بالياء، وهو اختيار أبي عبيد"[(٢)]. وأما

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري (٦٧/١٧). والنشر لابن الجزري(٣٣٨/٢).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٠٤/٢).

الخاصة بكتابة المصحف العثماني، فأولها: خشية التصحيف، بسيلان النقط على بعض مواضع الحروف من الصحف، مع بعد المسافة، وشدة الحر، وثانيها: خشية البعض في بداية نسخ المصاحف العثمانية، أن يدخل في القرآن ما يظن أنه منه، وفيهما درء مفسدة[1] وثالثها: أن تكون المصاحف العثمانية بجميع نسخها مشتملةً على اختلاف القراءات لفظا وتقديرا، وفيه جلب مصلحة، أو تحقيق حكمة. ورابعها: كان مصحف حفصة –رضي الله عنها– الذي نسخوا منه المصاحف، غير معجم، وكان مجموعا مما كتب بين يدي النبي–ﷺ– فربما كان من علل بعضهم في إخلاء المصاحف العثمانية من النقط أولا: أن يسنوا به في كتابته سنة النبي –ﷺ– وثانيا: أن يمعنوا في عدم تغيير شيء مما كان عليه. وخامسها: ندرة نساخ الصحف المهرة بالمدينة في عصر الصحابة، بدليل أن عثمان –رضي الله عنه– عهد نسخها إلى عدد قليل استغرقوا في نسخ المصاحف العثمانية عدة سنوات، ولتلك الأسباب العامة والخاصة، لم يصلح لرسم المصاحف الأمهات سوى إخلاؤها من الإعجام، بمعنى عدم ابتداء نسخها معجمة الحروف، وأما الشكل بالنقط فلم يكن قد ظهر، كما يرد على جولدزيهر بأن اختلاف القراءات يعود إلى أسباب سبعة منها: اختلاف اللهجات كالمد، والإدغام، والتفخيم، والترقيق، ونحو ذلك، والتقديم والتأخير، وغير ذلك، مما لا يرجع إلى خلو المصحف من الإعجام والشكل (بالنقط وبالحركات) ووجهه برهانيا أنه كما لم تؤد ما ترجع إليه اختلافات القراءات من تلك الأسباب التي لا دخل للرسم المصحفي العثماني فيها، وتحتاج إلى النقل والمشافهة، إلى دخول قراءات غير متواترة إلى القرآن؛ لتواترها، فكذلك ما ترجع إليه اختلافات القراءات في بعض المواضع من سبب خلو المصاحف العثمانية من الإعجام والشكل (بالنقط والحركات) لم يؤدِّ إلى دخول قراءات غير متواترة؛ لتواتر النص القرآني بهما، بجامع وحدة طريق النقل من الرواية والسماع، واشتراط الرواة والقراء والمفسرين لثبوتها الشروط

(١) اعلم أن خلو المصاحف العثمانية من الإعجام من أثر الحكم الفقهي لبعض الصحابة بكراهية النقط، وفارق بين الحكم وأثره، والكراهة كان لها علل محتملة متوقعة الحصول، وتقدم ذكرها .

نفسها، وهو ما يرد على شبهة تأثير رسم المصحف العثماني في سلامة النص القرآني بسبب خلوه من النقط والشكل، ونشوء عدة قراءات بسببه، وقل قريبا من ذلك في وجوه الإبدال في الحروف غير المنقوطة، فكما لم يدخل فيها قراءات ليست منها أو غير متواترة، كذلك ما عاد إلى الإبدال من الحروف المنقوطة، لم يدخل فيه قراءات ليست متواترة، ولقد عرف الصحابة –ﷺ– النقط أو الإعجام، وأدركوا أهميته، حسبما ورد فيما تقدم من الروايات عن عبد الله بن مسعود، ومعاوية بن أبي سفيان–رضي الله عنهما– وأدرك ابن عباس–ﷺ– نقط الإعراب، وقد كان أبو عمرو الداني على علم بسبق وجود النقط أو الإعجام، فهو يسوق الدلالة على كراهة الجمع بين المتواتر والشاذ في مصحف واحد، فيورد نصا عن ابن عباس –ﷺ– ت ٧٨هـ[١] يأمر فيه سعيد بن جبير–ﷺ– بمحو قراءة:(عند الرحمن) وإثبات:(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ) ثم يعقب عليه قائلا: "فلو كان جمع القراءات، وإثبات الروايات، والوجوه واللغات، في مصحف واحد جائزا، لأمر ابن عباس سعيدا بإثباتهما معا في مصحفه، بنقطة يجعلها فوق الحرف الذي بعد العين، وضمة أمام الدال دون ألف مرسومة بينهما، إذ قد تسقط من الرسم في نحو ذلك كثيرا؛ لخفتها، وتترك النقطة التي فوق ذلك الحرف، والفتحة التي على الدال، فتجتمع بذلك القراءتان في الكلمة المتقدمة، ولم يأمره بتغيير إحداهما، ومحوها وإثبات الثانية خاصة، فبان بذلك صحة ما قلناه، وما ذهب إليه العلماء من كراهة ذلك، لأجل التخليط على القارئين والتغيير للمرسوم"[٢] قلت: قوله:" وضمة أمام الدال دون ألف مرسومة بينهما" يعني به ضبط القراءة بنقط الإعراب؛ لأن ابن عباس –ﷺ – أدركه.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تعليق الذهبي (٤٠٩/٢) برقم: ٦٣١٤.

(٢) نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني، صفحة (٢٢) تعبير أبي عمرو بالضمة، ولم يكن التشكيل قد ظهر بعد؛ لأنه يرى نقط الإعراب الذي أدركه ابن عباس –ﷺ– مشتملا على التشكيل، إلا أنه مختلف في الهيئة فحسب، راجع نقط المصاحف، صفحة (٢٣). وشرحه أنه يمكن ترك نقطة =

وليس خلو المصحف العثماني بمستلزم لعدم وجود الإعجام؛ كما توهم بعض المستشرقين، لأن إثباته يعوزه استقراء تام لمكتوبات العهد النبوي، وما قبله، والاستدلال بالجزئي على الكلي، يقتضي استقراء للجزئي، توصلا إلى الحكم الكلي، فأما أن يستدل على العلية، بعدم وجود دليل على عدم العلية، بمعنى أن يستدل بمكتوب هنا وهناك عمن لم يعجم، أو لم يعرف كيف يعجم، فليس بدليل؛ لأن انعدام الدليل ليس بدليل على وجود الشيء أو عدمه، وإنما وجدان الدليل على وجود الشيء أو عدمه دليل[1] فإن قلت: ليس إثبات وجود الإعجام بمستلزم لنقض الشبهة، أجبتك بأن ذلك صحيح، غير أن وجود الإعجام في بعض المصاحف الخاصة كمصحف سعيد بن جبير السالف ذكره ينقضها.

إعجام فوق الحرف الذي بعد العين والذي يحتمل أن يكون باء، وأن يكون نونا، ويترك حرف الألف الذي كثيرا ما يسقط في الرسم ويثبت في النطق تقديرا، وتوضع الضمة –على هيئة نقطة إعراب– أمام الدال؛ لتشير إلى قراءة (وعِبَادُ) وتترك الفتحة– على هيئة نقطة إعراب– فوق الدال؛ لتشير إلى قراءة (وعِنْدَ الرحمن) وبذلك يمكن كتابة الحركتين بالإعجام والشكل إشارة إلى القراءتين فيهما، ولكن ابن عباس –ﷺ– لم يأمر سعيدا بذلك؛ لكون إحدى القراءتين من القراءات الشواذ، مما يدل تحريم الجمع بين القراءات المتواترة والشاذة في مصحف واحد. ينظر إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ) تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطوة عوض عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر والدراسات العليا، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (ط ، مصر، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، عام ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م–تصوير، صفخة (٦٧٨)

(١) الاستدلال على العلية، بعدم وجود دليل على عدم العلية. مثل أن يقال: هذا الوصف علة؛ لأنه لا دليل يدل على عدم عليته ، لأنه إذا انتفي الدليل على عدم عليته ثبت كونه علة؛ للزوم انتفاء المدلول بانتفاء الدليل، ومتى انتفي عدم العلية، ثبتت العلية؛ أقول: لا يقال مثل هذا؛ لأن انتفاء عدم العلية يجعلها في حكم العدم حتى يرد دليل على إثباتها، وعدم العلية، وثبوت العلية، نقيضان، والنقيضان لا يرتفعان ولا يجتمعان.

المطلب الثالث: الرد على استدلال جولد زيهر بقراءات شاذة؛ لتقرير شبهة نشأة بعض القراءات بسبب خلو المصاحف العثمانية من الإعجام والشكل:

زعم جولد زيهر أن خلو المصحف العثماني من النقاط نشأ به عدة قراءات، ومثل بقوله –تعالى–: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[(١)]. والشاهد في كلمة ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ وهي قراءة الجمهور، وقد قارنها جولد زيهر، بقراءة شاذة " تستكثرون " بإبدال الباء ثاء[(٢)] وهو يريد أن يقول: إن الكلمة كانت في الأصل " يستكبرون " غير منقوطة الحروف الأول والثالث، والخامس، فاختُلِف في قراءاتها، فمنهم من قرأ الخامس "باء" والأول تاء فنطق: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ومنهم من قرأ الخامس " ثاء " فنطق " تستكثرون، هذا هو سبب هاتين القراءتين، عنده[(٣)]. ويرد على هذه الشبهة من عدة وجوه: أولها: قال الألوسي: "وقرئ (تستكثرون) من الكثرة و(ما) على هذه القراءة تحتمل أن تكون اسم موصول، على معنى: ما أغنى عنكم أتباعكم، والذي كنتم تستكثرونه من الأموال"[(٤)]. والقراءة الشاذة لا يعتد بها. سواء كانت واردة بسند صحيح، فهي من المنسوخ تلاوة، أو تخالف رسم المصحف، أو للتعليم، أو لنشر اللهجات، أو لغير ذلك. وثانيها: يرد بما أوردت من قبل عند بيان موقف علماء القراءات والتفسير من القراءة الشاذة، من الإجماع على أن القراءات من قبل معرفة القراءات العشر، ومن بعدها، وإلى يوم الناس هذا، متواترة تفيد اليقين، ثم من بعد معرفتها على أنها متواترة، وأن ما بعدها من القراءات الأربعة فما فوقها شاذ[(٥)] وإن كان صحيح السند؛ لأنه خبر آحاد لم يتواتر، أو مخالف للرسم العثماني،

---

(١) سورة الأعراف، من الآية (٤٨) .

(٢) كتاب رسم المصحف العثماني، للدكتور: عبد الفتاح شلبي، صفحة (٢٩) .

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، لإجنتس جولدتسيهر، صفحة (٩) والحاشية رقم (١) .

(٤) روح المعاني، للألوسي (٤٧/٨).

(٥) قال النويري في شرح طيبة النشر:"وأسقط ما لم يقع الاتفاق على نقله، ولم ينقل تواترا، وكان ذلك بإجماع من الصحابة (١٢٢/١) ثم قال: وقال الدانى– رحمه الله–: وإن القراء السبعة ونظائرهم =

ولم يستفيض، ولم يتلى به في الصلوات والمحاريب، ومن ثم لا يجوز شرعا أو عقلا أن يساوى بينهما، أو يترك ما توافرت الدواعي على نقله جمله وتفاصيله، فتواتر سنده، مقطوعا بثبوته، مفيدا لليقين، وهو محل تقديس واهتمام المسلمين، إلى ما لا يفيد اليقين، من ظن أو شك، لأمرين: أولهما: أنه إذا تعارض ما ثبت باليقين مع ما ثبت بالظن قدم اليقين على الظن، وثانيهما: إذا قابل اليقين الشك، طرح الشك وأخذ باليقين؛ لأنه لا يجوز عقلا ترك متيقن، إلى مشكوك فيه". وبأن الاستقراء التام بين عدم وجود قراءة واحدة، تسللت إلى النص العثماني، إذ كلها مروية بسند متصل متواتر مرفوع إلى النبي -ﷺ- ولو افترضنا جدلا وقوعه لتواتر خبره إلينا، لأنه لا يصح عند من به مسكة من عقل وحكمة، صمت المسلمين من أولي الأمر والحكام، والولاة، والمحتسبون، وكبراء الصحابة الذين عاصرهم بعض هؤلاء الأئمة، الذين أسندوا القراءات على دخول قراءة غير مستقرة أو غير متواترة، أو حصول تحريف أو تبديل في القرآن الكريم؟! وبناء عليه فإن حدثا كهذا مما تتوافر الدواعي على نقله، فإذا لم ينقل متواترا فهو لم يحدث[١].ولذلك حكى كثير من العلماء الإجماع على أنه لم يتواتر شيء مما فوق القراءات العشر[٢] وعرف بعضهم القراءة الشاذة بما خالف الإجماع.

من الأئمة متّبعون في جميع قراءاتهم الثابتة عنهم التى لا شذوذ فيها، ومعنى "لا شذوذ فيها"ما قاله الهذلى: ألا يخالف الإجماع.وقال الإمام أبو الحسن السخاوى- رحمه الله-إن الشاذ مأخوذ من قولهم: ... واجتناب الشواذ لخروجها عن إجماع المسلمين، وعن الوجه الذى ثبت به القرآن وهو التواتر(١/١٢٣) وأجمع الأصوليون والفقهاء والقراء وغيرهم على القطع بأن الشاذ ليس بقرآن؛ لعدم صدق حد القرآن عليه بشرطه وهو التواتر، صرح بذلك الغزالى، وابن الحاجب في كتابيه، والقاضي عضد الدين وابن الساعاتي والنووي. شرح طيبة النشر، للنويري (١/١٢٦).

(١) تأمل إعجاز القرآن، للباقلاني، صفحة (١٨).

(٢) تأمل شرح طيبة النشر، للنويري (١/١٢٧، -١٣٣) باختصار.

المبحث الخامس: معارضة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات مثل جولد زيهر، وآثر جفري، وبرجستراسر، ومن تبعهم من المستشرقين بالرد عليهم، وعلى أمثلتهم.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معارضة أمثلة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات، بقلب الدليل، وتبيين مقصد الصحاة من التجريد، وأن موافقة القراءة المتواترة للرسم العثماني شرط قياسي: وفيه ثلاثة محاور: المحور الأول: معارضة أمثلة جولد زيهر لتقرير زعمه أن خلو المصاحف العثمانية الأمهات من النقط والشكل نشأ به عدة قراءات، بقلب الدليل، وتبيين مقصد الصحابة –رضي الله عنهم– من التجريد:

أرجع جولد زيهر نشوء عدة قراءات أو قسم كبير من القراءات إلى الخلو من النقط ضاربا مثالا، بقوله –تعالى–:﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ... ﴾[1]. فقد قرأ عاصم:"﴿بُشرا﴾" بضم الباء، وقرأها الكسائي، وحمزة: "نَشْرا" بالنون المفتوحة، بدلاً من الباء المضمومة، عند عاصم، وقرأ الباقون:﴿نُشُرا﴾ بالنون المضمومة، والشين المضمومة[2] بينما كانت الشين في القراءات الأخرى ساكنة[3]. وجوابه هو أن بعض حروف الصوامت، تشترك برموز متشابهة، مثل اشتراك الباء والنون، والياء، والتاء، والثاء برمز واحد، خاصة في غير الطرف، ولم تكن قد تميزت باستعمال النقط، ولكن القراءتين محفوظتان متواترتان، حيث وردت في سورة الأعراف (٥٧) والفرقان (٤٧) والنمل (٦٣)

(١) سورة الفرقان، من الآية (٤٨) .

(٢) كتاب رسم المصحف العثماني، للدكتور: عبد الفتاح شلبي، صفحة (٢٩).

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، لإجنتسْ جولدتسيهر، صفحة (٩) وانظر النشر في القراءات العشر (٣٠٤/٢) بتصرف.

وقرئت كما سبق بيانه"[١] ولما كان اعتمادهم الأساسي على حفظ الصدور[٢] كان في إخلائهم للمصحف العثماني من النقط، تمكين للقارِئ من قراءاته وَفق القراءتين، وإشارة إلى احتمال النص لهما، فما ساقه دليل عليه لا له.

٤-ومثل جولد تسيهر بقول الله -تعالى-: (فَتَبَيَّنُوا) وأنها قرئت (فَتَثَبَّتُوا)[٣] ثم قال بعد سوق الأمثلة السابقة:"وعلى كل حال لا تسبب هذه الاختلافات وما شابهها فرقا من جهة المعنى العام. ولا من جهة الاستعمال الفقهية"[٤]. قلت: إذا كان الأمر كذلك. فلا مبرر للتشويش على القراءة في ضابطها الكتابي بزعم اضطرابه، مع أنها متواترة بالسماع إلى الأئمة وصولا إلى الرسول -ﷺ- يقول ابن الجزري:" واختلفوا في (فتبينوا) الموضعين هنا. وفي الحجرات. فقرأ حمزة. والكسائي. وخلف. في الثلاثة (فتثبتوا) من التثبت، وقرأ الباقون في الثلاثة من التبين"[٥]. فكلتا القراءتين متواترتان في المواضع الثلاثة والمتواتر يجب التسليم له، والإيمان به، وقال ابن الجزري: "إن الصحابة -رضي الله عنهم- لما كتبوا تلك المصاحف، جردوها من النقط؛ لا ليحتمله ما لم يكن في العرضة الأخيرة، مما صح عن النبي -ﷺ-[٦] وإنما أخلوا المصاحف من النقط؛ لتكون دلالة الخط الواحد، على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المَتْلُوَّين، شبيهة بدلالة اللفظ الواحد، على كلا المعنيين

(١) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢٦٩/٢).
(٢) تأمل النشر، لابن الجزري (٤٦/١).
(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، لجولدزيهر، صفحة (٩) وكتاب رسم المصحف العثماني، للدكتور: عبد الفتاح شلبي، صفحة (٢٩).
(٤) مذاهب التفسير الإسلامي، لإجنتسْ جولدتسيهر، صفحة (١٠).
(٥) النشر، لابن الجزري (٢٨٤/٢).
(٦) نفي النفي إثبات فيكون المعنى:"إن الصحابة -رضي الله عنهم- لما كتبوا تلك المصاحف، جردوها من النقط؛ لتحتمل ما كان في العرضة الأخيرة، مما صح عن النبي -ﷺ- ولتكون دلالة الخط الواحد، على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المَتْلُوَّين، شبيهة بدلالة اللفظ الواحد، على كلا المعنيين المعقولين المفهومين" .

المعقولين المفهومين"[١] كقراءة (نُنْشِزُهَا) و (نَنْشُرُهَا) رسمت برسم واحد هكذا (سسرها) وقال في موضع آخر:"وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل؛ ليحتملها ما صح نقله، وثبت تلاوته عن النبي -ﷺ-"[٢]. فكان أن أخلوها من النقط، وهم على علم يقين بعدم ضياع شيء من القرآن وقراءاته بسبب هذا الإخلاء، لروايتهم للقرآن بقراءاته روايات مستفيضة متواترة إلى من نزلت عليه تحيل وقوع ذلك، فنعارض أن تكون عدة قراءات أو قسم كبير من القراءات نشأ بسبب خاصية في الخط العربي ترجع إلى خلوه من النقط؛ لتوافر الدواعي على تواتر القراءات، سواء كان ما يعود إلى أسبابها قليلا أو كثيرا.

المحور الثاني : الرد على شبهة جولدزيهر ومن تبعه، نشأة عدة قراءات قرآنية بسبب خلوها من النقط والشكل، بتبيين أن موافقة القراءة المتواترة للرسم العثماني شرط قياسي لا شرط ضابط:

مما يبطل الشبهة أن شرط موافقة القراءة القرآنية لرسم المصاحف العثمانية، شرط قياسي، يقاس على خطه كل ما خالفه، فيعد شاذا دون ما وافقه، لأمرين: أولهما: أنه ليس شرطا منطقيا ضابطا، فلا يمنع من أن يدخل في القراءات المستقرة ما ليس منها، لأنه ليس كل ما وافق رسم المصحف العثماني قراءة قرآنية مستقرة؛ وإنما رسم المصحف وسيلة من الوسائل الميسرة للتعرف إلى معظم القراءات الشاذة[٣] ولذلك فقد توافق القراءة رسم المصحف العثماني وهي قراءة آحاد، بمعنى أنها قد تكون صحيحة السند، ولكنها

(١) النشر، لابن الجزري (٤٥/١).
(٢) النشر، لابن الجزري (١٦/١).
(٣) مناهل العرفان، للزرقاني (٢٩٥/١) بتصرف.

فقدت شرط التواتر والاستفاضة[1] فهي قراءة شاذة منسوخة، وقد تكون ضعيفة السند وتوافق رسم المصحف العثماني، فهي قراءة ضعيفة، فاقدة لشرط التواتر والاستفاضة، وقد تكون قراءة موضوعة السند، وموافقة لرسم المصحف العثماني فهي قراءة موضوعة، وقد لا توافق اللغة العربية بأي وجه من الوجوه، ولكنها توافق رسم المصحف العثماني، فهي قراءة غير صائبة، لكونها من باب الخطأ اللغوي، فلا يجوز القراءة بها، وثانيهما: أن رسم المصاحف العثمانية بني على القراءات القرآنية المتواترة، ومفهوم مخالفته هو أن القراءات المتواترة سابقة على نسخ المصاحف العثمانية، ونسخها لاحق لها، ولذلك كانت موافقة الرسم العثماني شرطا قياسيا، فالشرط الأساسي والمعتمد عليه في قراءة رسم المصاحف، هو موافقة النقل المتواتر عن النبي -ﷺ- قال الشيخ الجعبري:"الشرط واحد وهو صحة النقل، ويلزم الآخران"[2] يعني موافقة الرسم العثماني واللغة العربية ولو بوجه، وأما ما جاء من قراءة بعض الكلمات بالغيبة والخطاب، أو بالرفع، والنصب، فإنما هو بالتلقي، والأخذ من رسول الله -ﷺ- لا لاحتمال ذلك من صورة الرسم، الخالية من النقط، والتشكيل في ذلك الزمن، مثل ذلك قراءة (فَتَبَيَّنُوا) و(فَتَثَبَتُوا) بدليل أن كليهما مسموع بالتواتر، وقرآن موحى به من عند الله وليس كما توهم جولد زيهر، ومن على شاكلته أنهما قراءتان ناشئتان عن الاضطراب الحاصل من خلو كلمات المصحف

(١) شهادة الاستفاضة تفيد ظنّاً قويّاً يقرب من القطع، وهي المعبّر عنها: بالاستفاضة من الخلق الغفير: كالشّهادة بأنّ نافعاً مولى ابن عمر، وقد قبلها الفقهاء، وأوجبوا العمل بمقتضاها كرؤية الهلال من جم غفير" الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٣٣/٢٦) باختصار، وهي دون شهادة التواتر، وفوق شهادة السماع.

(٢) النشر، لابن الجزري (٢٤/١).

العثماني من النقط ؟.[١][٢]. وبناء عليه أستنبط أن الاعتماد كان على الحفظ لا مجرد الخط، وكان ما يرجع اختلاف القراءات فيه إلى النقط والشكل، من جملة الأحرف التي أشار إليها النبي –ﷺ– بقوله: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"[٣] فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة، عن رسول الله –ﷺ– وجمَعَهُ لأبي بكر –رضي الله عنه– زيدُ بن ثابت، وعمرُ بن الخطاب –رضي الله عنهما– مما كتب بين يدي رسول الله –ﷺ– في مصحف واحد، آل إلى حفصة –رضي الله عنها– فنسخه عثمان –رضي الله عنه– إلى سبع نسخ، أرسل معظمها إلى مختلف الأمصار، قال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "لو وليت في المصاحف ما ولي عثمان، لفعلت كما فعل" وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم، وتلقوا ما فيه عن الصحابة، الذين تلقوه من في رسول الله –ﷺ– ثم قاموا بذلك مقام الصحابة، الذين تلقوه عن النبي –ﷺ–"[٤][٥].

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، لإجنتس جولدتسيهر، صفحة (٩) والحاشية رقم (١) .

(٢) قرأها حمزة، والكسائي، وخلف، في الثلاثة (فتثبتوا) من التثبت، وقرأ الباقون (فتبينوا) من التبين النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢٥٨/٢) أو أن إحداهما أصلا، والأخرى بدلت منها، والقراءتان وإن اختلف لفظاهما فإن بين معنييهما علاقة، وثيقة كعلاقة ضوء الشمس، بقرصها؛ لأن التبين، وهو المصدر المتصيد من (فَتَبَيَّنُوا) هو التفحص، والتعقب في الخبر الذي يذيعه الفاسق بين الناس، وهذا البَين هو الطريق الموصل للتثبت. فالتثبت هو، ثمرة التبين . ومن تبيَّن، فقد تثبت . ومن تثبت، فقد تبين. والاختلاف اختلاف تنوع في المعاني لا اختلاف تضاد، وهنا اشتراك في حرف صامت، بين (الباء، والثاء، والياء، والباء) وقد ورد في النساء، مرتين (٩٤) والحجرات (٦).

(٣) تقدم تخريجه من حديث اختلاف عمر وهشام بن حكيم–رضي الله عنهما– والحرف بالتحديد هو الإبدال.

(٤) تأمل النشر، لابن الجزري (٤٣/١).

(٥) تأمل النشر، لابن الجزري (٤٤/١).

وأكبر دليل على أن المصاحف قصد عند كتابتها احتواؤها للقراءات المتواترة، أننا نجد بينها اختلافا في الرسم؛ لتتوافق مع القراءات المتواترة وتحتويها جميعها، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد في بعض المصاحف (تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ) وبعضها (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)[١] كما نجد التابعين يجتهدون في رفع الالتباس في كتابة بعض الحروف، بدليل أنه ربما التبس على بعض المبتدئين من أهل المدينة مواضع تحقيق الهمزة بتسهيلها، لتماثلهما في صورة الخط، فأحدثوا نَقْطًا به يفرقون بينهما؛ لاختلاف الطرق عند أربابها بين تحقيق الهمزة وتسهيلها. وتحقيقه فيما روى أبو عمرو الداني بسنده عن قالون عن مصاحف أهل المدنية قال:"ما كان من الحروف التي تنقط بالصفرة فمهموزة، وعلى هذا عامة أهل بلدنا"[٢] وإن استعملت الخضرة للابتداء بألفات الوصل على ما أحدثه أهل بلدنا قديما، فلا أرى بذلك بأسا إن شاء الله"[٣]. قلت: تمييز الهمزتين

---

(١) سورة التوبة، من الآية (١٠٠) بزيادة حرف (من).

(٢) قال أبو عمرو:" وعلى ما استعمله أهل المدينة من هذين اللونين في المواضع التي ذكرناها عامة مسائل أهل بلدنا قديما وحديثا، من زمان الغاز بن قيس صاحب نافع بن أبي نعيم –رحمه الله– إلى وقتنا هذا، اقتداء بمذاهبهم، واتباعا لسننهم" المحكم في نقط المصاحف، صفحة (٢٠).

(٣) النقط، لأبي عمرو الداني، صفحتا (١٩، ٥٠). وقال:"والذي يستعمله مسائل أهل المدينة، في قديم الدهر وحديثه من الألوان في نقط مصاحفهم، الحمرة والصفرة لا غير، فأما الحمرة، فللحركات والسكون والتشديد والتخفيف، وأما الصفرة، فللهمزات خاصة". المحكم في نقط المصاحف، صفحة (١٩) وقال : "قالون قال في مصاحف المدينة بالسود، إلا بهمزتين في الكتاب –يعني نقطها– ألا ترى أن أهل المدينة لا يجمعون بين همزتين، بل قد كان بعضهم، وهو أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ، يسهلهما معا، وهي لغة قريش، فدل ما استعملوه في نقط مصاحفهم من تحقيقهما، وإثباتهما معا بالصفرة، التي جعلوها لنقط الهمز المحقق، خلافا لقراءة أئمتهم، ومذهب سلفهم، على أنهم أخذوا ذلك عن غيرهم، وأنهم اتبعوا في ذلك أهل البصرة، إذ كانوا المبتدئين بالنقط، والسابقين إليه ،كما تقدم ذلك في الأخبار الواردة عن السلف، ثم أخذ ذلك عن أهل المدينة عامة =

دليل على أنه لم يكن لكل أحد أن يقرأ حسب لهجته؛ لأن مواضع التحقيق متلقاة، ومواضع التسهيل متلقاة، فاحتاجوا إلى تمييز هذا من ذاك بالنقط على مواضع تحقيق الهمزة بالصفرة، وأن حرص الرعيل الأول من الصحابة فمن بعدهم على ضبط نصوص القرآن بقراءاتها المتواترة شمل الصدر والسطر، مع كون ضبط الصدر هو الأساس، فقطعا لم تتسلل إلى القراءات المتواترة قراءة واحدة غير متواترة إلى النص القرآني المقدس، وهذا هو المهم الأعظم في ذلك الموضوع، مما يجعل القول بالشبهة من المستحيل عادة، فما أورده ومثل به من القراءات المتواترة دليل عليه لا له، خاصة وأن الطبري قال في الموضع الذي استشهد به :"واختلفت القرّاء في قراءة قوله: (فَتَبَيَّنُوا) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة (فَتَثَبَّتُوا) بالثاء، وذُكر أنها في مصحف عبد الله منقوطة بالثاء. وقرأ ذلك بعض القرّاء (فتبيَّنوا) بالباء"[1].فنحن نعارض مثاليه بقلب الدليل.

أهل المغرب من الأندلسيين وغيرهم، ونقطوا به مصاحفهم، وجمعوا بين الهمزتين، وضموا ميمات الجمع". المحكم في نقط المصاحف صفحة (٨) قلت: يريد أن أهل المدينة يثبتون الهمزتين – اللتين لهما صورة العين– إذا اجتمعتا معا باللون الأصفر، وكانتا محققتين مثل (بالسوء إلا) وإن كانت إحداهما محققة، أثبتوا الهمزتين باللون الأسود كغيرهما من الحروف، ثم ميزوهما، فجعلوا علامة الهمزة المحققة نقطة بالصفراء، وعلامة الهمزة المخففة نقطة بالحمراء، فإن كانت فوق الحرف من ألف أو واو أو ياء، جعلوا فوق الحرف نقطة صفراء للمهموز، ونقطة صفراء للمسهل، قال قالون :"في مصاحف أهل المدينة ما كان من الحروف التي بنقط الصفرة فمهموزة". تأمل المحكم صفحة (١٤٧، ١٤٨) بتصرف، ومثال ضم ميمات الجمع، الميم من (عليهم) من سورة الفاتحة وتأمل صفحة (٢٠) ، وقال:"فأما السكون فعامة أهل بلدنا قديما وحديثا يجعلون علامته جرة فوق الحرف المسكن، سواء كانه همزة أو غيرها من سائر حروف المعجم، نحو قوله: (إن يشأ) و (هيئ) و (تسؤكم) و (أنبئهم) و (أرأيت) و (أفرأيتم) وشبهه، وأهل المدينة يجعلون علامته دارة صغيرة فوق الحرف."المحكم، صفحة (٥١) قلت : هذه الدائرة حمراء. تأمل نفس الصفحة.

(١) جامع البيان، لابن جرير الطبري (٢٨٦/٢٢).

المحور الثالث: معارضة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات، بقلب الدليل من جانب خصائص الرسم العثماني، واللغة العربية: نعارض الشبهة بقلب الدليل من جهتين: الأولى: أن الرسم العثماني، كان سببا مساعدا، إلى جانب حفظ الصدور، في حفظ بعض مواضع الاختلاف، في القراءات، مما يعود إلى سبب الخلو من الإعجام، والشكل، فما حسبوه دليلا لهم هو دليل عليهم .والثانية: أن اللغة العربية بخصائصها الفريدة نطقا ورسما، كانت هي الوعاء الواسع الصالح وحده لتلقي الوحي، ونقله محفوظا بوسائلها الضابطة الواعية له أكثر من غيرها، وبخاصة حين تتعدد رواياته وقراءاته، فلن ينشأ عنها اختلاف أو تنوع غير مقصود للوحي.

المطلب الثاني: معارضة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات، ببيان عمومية العلة عن معلولها، وترتب محاذير على إطلاق القراءة، وفساد الاعتبار، وثبوت تقييد محتملات مواضع الإعجام والشكل قطعا:

ندفع الشبهة بعدة أدلة تنقضها : الدليل الأول: هو أن العلة أعم من المعلول؛ لأن المشبه يزعم أن خلو الرسم من النقط والشكل، وحرية القراءة القرآنية بلا تقييد روايتها بالسماع المتواتر هو السبب في نشأة القراءات القرآنية في المواضع المحتملة للنقط والشكل، ولما كانت تلك المواضع تكاد تكون بلا حصر، كانت أعم من القراءات المروية المحتملة بمتواترها وشاذها، والدليل لا بد أن يكون أخص من الدعوى أو مساو لها، والدليل الثاني: هو أننا ندفع الشبهة بترتب محاذير مستحيلة على القول بحرية القراءة القرآنية بلا تقييد: أولها: وجوب قبول كل قراءة احتملها الخط، إذ لا فضل لها على غيرها"[1] ولصار يقرأ بمحتملات لم يسبق إليها أحد من ثقات القراء، ولا توجد في متواتر

(١) أصل القراءات القرآنية، للدكتور: غانم قدُوري الحمد (٢٧١/١) الاختلافات بين المصاحف العثمانية من حيث الرسم قليلة: فالاختلاف بين مصحفي الكوفة والبصرة كان في خمسة أحرف. وبين مصحفي المدينة والعراق في "١٢" حرفًا وبين مصحفي الشام والعراق في نحو أربعين حرفًا. أما =

أو شاذ، وهو ما يكذبه الواقع . وثانيها: المساواة بين المتواتر والشاذ، ولا يستويان عقلا ولا شرعا. وثالثها: تضخم حجم القرآن. ورابعها: في جانب الرواية سيؤدي إلى تعدد وجوه قراءاته تعددا كبيرا جدا يبعد معه على الفرد الواحد حفظه كله، فيكون تكليفا لمجموعهم بما يشق عليهم، ووجه بُعْدِه أن التكليف للمتخصصين أفرادا، بحفظه بقراءاته جميعها، وبهذه الكثرة الهائلة غير المقيدة بالمسموع المتواتر يتعذر على الفرد منهم حفظه أو ضبطه بجميع قراءاته المحتملة، وهو ما يلزم عنه مستحيل، وهو التعارض مع خبر الله -تعالى- في قوله: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)[1] وقوله: (إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[2] ووجه استحالته أن أخبار الله -تعالى- تطابق الواقع، ويستحيل أن تتخلف عنه. ثم إن فيه مخالفة الإجماع على أن القرآن محفوظ من التحريف والتبديل. وخامسها: لو ترك لكل قوم القراءة حسب المصحف العثماني الخالي من الإعجام والتشكيل، دون تقييد بالسماع من المعصوم -ﷺ- لترتب عليه أمور محالة أو مستبعدة: أولها: أن يكتب كل قوم مصحفا يقرؤونه، حسب ما يروق لهم دون تقييد بالسماع من المعصوم -ﷺ- ولصار القرآن عرضة لتحريف معانيه، مما يذهب بمقصدي نزوله من الهداية والإعجاز أو التحدي به. وثانيها: مترتب على أولها وهو تواتر تلك المصاحف مسموعة ومسطورة؛ لأن عجز أحدهم عن حفظه كله، لا يلزم منه عجز المجموع عن ذلك، ولكن المتواتر خلاف ذلك، لأنه مقيد وذو منهج ويسهل حفظه، وثالثها: حصول الإجماع على حكم جواز إطلاق القراءة، وهو لم يحدث، لأنه مستحيل؛ ووجه استحالته معارضته لإجماع المجتهدين من المقرئين من أمة محمد -ﷺ- بعد وفاته على الحكم

القراءات فكثيرة لا حصر لها راجع: كتاب"نكت الانتصار" للباقلاني، باب ذكر الحروف التي اختلف فيها أهل الشام وأهل المدينة وأهل العراق صفحة (٣٨٩-٣٩٥) وكتاب "في رحاب القرآن الكريم" للدكتور/ محمد سالم محيصن (١/ ٤٠٧-٤١٧)

(١) سورة القمر، الآية (١٧).

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (١/١٥٤).

بضده من عدم الجواز، والإجماع لا يَنْسخ ولا يُنْسخ به، والمتواتر والإجماع قطعيين الثبوت والدلالة في مقامنا هذا، والقطعي لا يعارض القطعي، والإجماع لا يعارض الإجماع، لأن افتراض وقوع تعارض بين قطعيين محال. والدليل الثالث: ندفع بفساد الاعتبار والقيمة لتلك الشبهة؛ لمخالفتها الإجماع المنعقد على تقييد القراءات القرآنية بالسماع من النبي -ﷺ- وهو أرجح الأدلة؛ لأنه إجماع الصحابة، والإجماع عموما عند العلماء أقوى من النص المتواتر، فهو يَنسخ ولا يُنسخ؛ لعلل ثلاثة: أولها: أنه إنما ينعقد بعد انقطاع الوحي[1] وثانيها: لا يكون إجماع إلا وهو مستند على نص شرعي، سواء علمنا هذا النص أو جهلناه، وثالثها: النسخ لا يكون إلا بنص شرعي متأخر لنص شرعي متقدم عنه في الزمن، ولا يُنْسَخُ النص الشرعي بانعقاد الإجماع؛ لأن النسخ إنما يكون لنص شرعي، والإجماع لا ينعقد على خلاف النص الشرعي؛ لكون الإجماع معصوما من الخطأ، وتقدير حصول انعقاد إجماع مخالف لنص شرعي يفضي إلى إجماعهم على الخطأ[2] وهو محال؛ لأن الله لا يجمع الأمة المحمدية على ضلالة، ولما كان الإجماع قطعي الثبوت والدلالة، قبلوا القراءات المتواترة على أنها قرآن، وردوا القراءات الشاذة الظنية الثبوت والدلالة، لأن القراءة المتواترة أمر ثبت أنه يقين، فلا يقبل الشك، ووقت نسخ المصاحف كان بعد وفاة النبي-ﷺ-. والدليل الرابع: ندفع بثبوت الفارق بين ما استنبطوه علة لقياسهم الفرع على الأصل والواقع؛ لأنهم قالوا بوجوب حرية القراءة للقرآن وإطلاقها وإن خالفت ما تواتر في نقط أو شكل؛ لكون أصل نشأة كمية كبيرة من القراءات الشاذة إنما نشأت بعد انتشار نسخ المصاحف العثمانية الأمهات، لعلة خلوها من النقط أو الشكل، فالحكم عندهم هو إيجاب المساواة بين القراءات المتواترة والشاذة، لاشتراكهما في علة نشأة واحدة، لعدم وجود الإعجام والشكل وقتها، وخاصة الإعجام عند من لم يعلم بوجوده، أو لتركه عند من علم بوجوده وقتها، ثم جواز القراءة بكل ما يحتمله رسم

(١) روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي (٨٧/١) بتصرف يسير.
(٢) المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد الغزالي (٢٤٦/١).

المصحف العثماني في المواضع الخالية من النقط والشكل مما لم يعد جواز القراءة به أحد من العلماء من المتواتر أو الشاذ، إلا بضعة نفر شذوا عن إجماع الأمة، فنجيب بأن الرسم العثماني كتب والحال على نقيض ما رأيتموه علة لحكمكم: إذ كان النقط موجود رسما، والشكل موجود لفظا ورواية، وكتابة وصفية عند الضرورة، ثم إن في الفرع خصوصية مانعة من صحة العلة التي استندتم عليها، وهي كتابة المصاحف للصبيان والأعجمين منقوطة؛ لضرورة التعلم، وأن ترك النقط والشكل لم يكن لإباحة القراءة لكل كيفما شاء في المواضع التي جاءت خالية من النقط بالعلامات والشكل بالوصف اللفظي، وإنما لنقيض ذلك، وهو تقييد ما يقرأ به، بأن تكون نُسخ المصاحف العثمانية مكتوبة على رسم جامع محتمل للقراءات العشر المتواترة لفظا أو تقديرا وَفق الإمكانيات المتاحة التي اقتضت خلو تلك المواضع من النقط والشكل؛ اعتمادا على أن الأصل في ضبط القراءات هو حفظ الصدور، وفيه يحفظ القارِئ من شيخه سماعا ومشافهة كيفية نطق الكلمات في كل موضع تختلف فيه القراءات بمختلف وجوه اختلافها مما يحتمله الرسم ويدل عليه رسما أو تقديرا، أو لا يدل عليه، فتعيين الفرع، وهو كونه قرآنا لا يثبت إلا بالتواتر، وكون التواتر ذاتيا في تعريف قراءاته الثابتة قرآنا، مانع من القول باحتمال دخول قراءات غير متواترة إلى النص المكتوب بالرسم العثماني، أو نشأتها لأي سبب ما يعود إلى رسمه، بل إن تعيين العصر أو العهد النبوي مانع أيضا قياسا على ثبوت سلامة النصوص المنقولة إلينا رواية من شعر ونثر ورسائل من اللحن أو التحريف أو التصحيف، وما سطر القرآن الكريم في الصحف في عهد النبي -ﷺ- أو أبو بكر أو عثمان -رضي الله عنهما- على هذا النحو إلا تزيدًا في التوثيق، وتيسيرًا لحفظها وتمييزها من غير المتواتر قدر الإمكان .

فلو افترض حصول الاعتداد بالقراءة الشاذة، للزم عنه عدة مستحيلات منها دخول القراءات الشاذة مع القراءات المتواترة على أنها قرآن يتعبد به، وبأن يصلى بها، ويكلف بحفظها، وتحريم مس صحفها على الجنب، والحائض، والنفساء، ﴿والسفر بها إلى أرض

العدوّ إذا خيف وقوعه في أيديهم﴾[1] ومنع المجنون والسكران والصبي الذي لا يميز من حملها، وإيجاب تجويدها، أو ترتيلها، والتحدي بإعجازها ﴿الذي هو ذو دلالة قطعية على كمال القرآن ، وعلى كل ما له من جلاله وجماله﴾[2] ويكلف استقلالا بالعمل بها وبأحكامها، والإيمان بمعاني توجيهاتها، إلى غير ذلك من مظاهر التقديس، ولوصلت إلينا متواترة قطعية الثبوت مجمعا على الاعتداد بها، لكن الذي نجده هو الإجماع على عدم قرآنيتها لعدم تواترها، وتحريم جمعها كتابة مع القراءات المتواترة في مصحف واحد، وإن ميز الناسخ بينهما، وتخصيص مصنفات مستقلة للقراءات الشاذة التي وصلتنا بطريق الآحاد، أو نجد المفسرين يوردونها في كتب التفسير، مع تنبيه في بعض المواضع على شذوذها، والنص على عدم الاعتداد بها قرآنا.

والدليل الخامس: انحصار احتمالات المواضع غير المعجمة أو غير المشكلة في المصاحف العثمانية الأمهات بين الإطلاق والتقييد، وانتفاء الأول قطعا، وثبوت الثاني قطعا، وذلك أنه يترتب على ترك هذه المواضع غير المعجمة أو مشكلة احتمالان: أولهما: أن تكون قراءات هذه المواضع، مطلقة حسبما أراد القارِئ، فتقرأ بأكثر من قراءة، وهذا ما لم يحصل، لتواتر القراءات القرآنية المكلف بها، وحصرها، وثانيهما: أن تكون قراءاتها مقيدة في ضبطها وحفظها، كما سمعت من النبي -ﷺ- وهذا ما فعله الصحابة -رضوان الله عليهم- لضبط تلك القراءات، وآية ذلك أن مشرب الصحابة -ﷺ- كان خاصا حيث أقرأ رسول الله -ﷺ- عددا منهم بحرف أو عدة حروف لم يقرئ بها الآخر، وممن اشتهر بالإقراء علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، بالإسناد إلى رسول الله -ﷺ- كما أقرأهم وعلمهم، فكان الرجل يقول بأنه حفظ القرآن بقراءة علي بن أبي طالب، والآخر يقول حفظته بقراءة عبد الله بن مسعود -ﷺ- وهكذا، ولذلك فإن نسخ عثمان -ﷺ- للمصاحف كان مقصودا منه جمع الناس على مصاحف أئمة جامع

(١) بالاتفاق. المجموع شرح المهذب، للنووي (٧١/٢) وتأمل حاشية الجمل على المنهج (٢٢٥/١).
(٢) نظم الدرر، للبقاعي (٤٣٦/١٥).

رسمها للقراءات المتواترة بقدر ما يحتمله الرسم منها، ولم يكن المقصود جمعها مسندة إلى شخص هذا أو ذاك من الصحابة –ﷺ– وإلا ظل الاختلاف باقيا، ولم تحسم مادته، ذلك لأن مشرب التابعين في الأغلب الأعم مشربا خاصا، فبعضهم اختص بقراءة عبد الله، بن مسعود، وبعضهم اختص بقراءة زيد، بن ثابت، وهكذا، وأما القراء السبعة والثلاثة المتممين لهم، فلم يكونوا وجدوا بعد ولا خلقوا، وإنما سبع ابن مجاهد السبعة[1] عام ٣٠٠هـ والاختيار من القراءات كان منهجا لبعض الصحابة كابن عباس –ﷺ– وترسم نهجهم، القراء السبعة، فالثلاثة أعني المكملين للعشرة في عهد التابعين فمن بعدهم، فاختاروا من مروياتهم الصحيحة عن شيوخهم، قراءات أقرؤوا بها العامة، وَفق منهج عام ميسر وفقهم الله إليه، وقبلته منهم الأمة الإسلامية بالإجماع، ولم يكن مما اختاروا قراءة واحدة في الأصول أو الفروع غير متواترة[2]. وثانيها: أن عثمان –ﷺ– قال لأعضاء اللجنة المكلفة بنسخ المصاحف، من مصحف أبي بكر، المجموع مما كتب بين يدي النبي –ﷺ– من صحف، ولخاف، وعسيب، وأكتاف، وعظام، وغيرها:"إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما بلسانهم نزل"[3] وهذا يعني أن معظم القرآن يعود إلى لهجات قريش إلا القليل، وهذا القليل لو حدث فيه اختلاف، فسيكون في مواضع نادرة، ولذلك كتبوه وَفق لسان، أو لغة، أو لحن، أو لهجة قريش، مثل كلمة (التَّابُوتُ) فاختلافهم كان مقيدا باللهجات التي نزل بها، وهو محسوم بترجيح أو تقديم الكتابة على لسان قريش، ويشير إلى أن الصحابة كتبة المصاحف، لم يختلفوا في كتابة ما عدا ذلك من الأسباب التي تعود إليها أسباب اختلاف القراءات، ومنها خلو بعض الكلمات من

(١) النشر، لابن الجزري (٥٣/١).
(٢) تأمل النشر، لابن الجزري (٦١/١).
(٣) الجامع الصحيح المختصر، للبخاري (١٢٩١/٢) ٦٥ – كتاب المناقب برقم: ٣٣١٥. وباب ٢ – باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب.

مواضع الإعجام والشكل، وإنما قد يحدث الاختلاف في الكتابة وَفق أي لسان، فإذا حصل كتبوه بلسان قريش، وقرئ باللهجة الأخرى اعتمادا على السماع، إذ هو الأصل.

المطلب الثالث: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات، بمنع استدلال المشبه على زعمه بعدم وجود الإعجام في المكتوبات بالعهد النبوي عموما، ومعارضته.

من زعم نشأة قسم كبير أو عدة قراءات؛ لعلة عدم وجود خاصية الإعجام في الخط العربي، ومن ثم في المصاحف القرآنية، استدل بعدم وجود الإعجام في الكتابة العربية عموما قبل نزول القرآن، وفي أثناء نزوله، وبعد نزوله بمدة طويلة–لأن العرب لم تستعمله في كتاباتها للغة العربية، وليس لأنه لم يكن موجودا في نفسه–علة تأريخية توثق وتؤكد وتستلزم وتدل على خلو المصاحف القرآنية منه، أو بافتراض أسلوب آخر، هم يريدون أن يقولوا: لو افترضنا وجود الإعجام في الكتابة العربية عموما، لكان علة لاحتمال نقط المصاحف، ولكن تلك العلة لم تكن موجودة، مما يستلزم عدم وجود المعلول، وهو نقط المصاحف القرآنية، لأن انتفاء الأعم–النقط عموما– يلزم عنه انتفاء الأخص–نقط المصاحف القرآنية– ونحن نرد عليه بنقض العلة؛ بإثبات أمور: أولها: العدم حالة فقدان الوجود، وفاقد الشيء لا يعطيه، ولا يؤثر في شيء، بمعنى أن انعدام الشيء لا يؤثر في وجود شيء أو عدمه؛ وأما عدم العلة، فيستلزم عدم المعلول، بمعنى أنه يدل على عدمه، وليس عدمها في حد ذاته علة لعدم المعلول، لأن حديثنا عن أمر ممكن وجوده كعلة، وافترض الخصم عدم وجوده، وليس عن العدم المستحيل أو الممتنع الوجود، والذي هو ضد القدم من صفات واجب الوجود –ﷻ– وثانيها: عام وهو وجود الإعجام في الكتابة العربية عموما قبل كتابة المصاحف القرآنية، وثالثها: خاص وهو ثبوت نقط بعض المصاحف، مثل مصاحف الصغار، والكبار، من الأعاجم والمبتدئين؛ لعلة حاجية أو تحسينية هي التعلم، والمصاحف الخاصة ببعض الصحابة في كلمات يسيرة، وصحيح أنهم أخلو المصاحف العثمانية من الإعجام، إلا أن مواضع الاختلاف بالإعجام متواترةٌ

شفهيا، تواترا يثبت أن تلقيها عن النبي -ﷺ- وينفي نشوءها، وقد كان السماع مقدما على الكتابة، ولا يزال، مما يقطع ببطلان الشبهة.

المطلب الرابع: المعارضة بفساد الاعتبار، لمخالفة الإجماع على ترك الاعتداد بتصحيفات العوام، الواردة على بعض الكلمات الخالية من النقط؛ لعدم تواترها، ونفي كونها قراءة، ولو على سبيل الشذوذ:

من ذلك الاختلاف بين الضمير والاسم: قول الله -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾[1] والشاهد في كلمة ﴿إِيَّاه﴾ ضمير نصب منفصل، للمفرد الغائب الذكر، ونسبها جولد زيهر إلى خلو المصحف من النقط وقارنها جولد زيهر بقراءة شاذة، لحماد، الراوية هكذا "أباه" بإبدال الياء من ﴿إِيَّاهُ﴾ باء "أباه" أي، وعدها إبراهيم -عليه السلام- أباه[2] ونفي الزركشي في البرهان أن تكون قراءة، وعللها بالتصحيف من البسطاء، لتجريد المصحف من النقط، ومثل له أيضا بقوله الله -تعالى- : ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾[3] بالسين. وقوله: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[4] بالعين المهملة[5] فحتى التصحيفات التي تقع من المبتدئين لم تفت علماء القراءات، ونصوا على أنها من التصحيف، مما ينفي تسلل أي قراءة ما إلى القراءات العشر المتواترة.

---

(١) سورة التوبة، من الآية (١١٤).

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي، لجولد تسيهر، صفحة (٩) وكتاب رسم المصحف العثماني، للدكتور: عبد الفتاح شلبي، صفحة (٣٠).

(٣) سورة الأعراف، من الآية (١٥٧) والقراءة بالسين شاذة انظر الدر المصون، للسمين الحلبي (٦٩٦/١٠).

(٤) سورة عبس ، من الآية (٣٧) والقراءة شاذة واردة عن الحسن البصري ينظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لابن البناء الدمياطي (٤٠٩/١) .

(٥) البرهان، للزركشي (٤٥٣/٣) .

المطلب الخامس: الرد على الشبهة بتبيين أن في قراءات القرآن كيفيات أصولا وفروعا لا تعود إلى الإعجام أو الشكل، وأخرى لا بد فيها من التلقين، وبثبوت امتزاج الأحرف السبعة في بعض الحالات بظواهر الرسم العثماني، مما يبطل شبهات جولدزيهر، وآرثر جفري، ومن تبعهما حول الإعجام والشكل: وفيه مسألتان: المسألة الأولى: تبيين كيفيات في القراءات، أصولا وفروعا، لا تعود إلى الإعجام أو الشكل فقط، وأخرى لا بد فيها من التلقين. وفيها عنصران: الأول: تختلف بين القراء مواضع الإدغام، والإمالة، والإظهار، والقطع والفصل، موافقة للفظ أو للأصل، وما ذلك إلا بسبب اتباع الرواية. قال الشيخ ابن تيمية: "وأما ما اتحد لفظه ومعناه، وإنما يتنوع صفة النطق به كالهمزات، والمدات، والإمالات، ونقل الحركات، والإظهار، والإدغام، والاختلاس، وترقيق اللامات والراءات، أو تغليظها، ونحو ذلك مما يسمى القراءات الأصول، فهذا أظهر وأبين في أنه ليس فيه تناقض ولا تضاد مما تنوع فيه اللفظ أو المعنى؛ إذ هذه الصفات المتنوعة في أداء اللفظ، لا تخرجه عن أن يكون لفظًا واحدًا، ولا يعد ذلك فيما اختلف لفظه واتحد معناه، أو اختلف معناه من المترادف ونحوه؛ ولهذا كان دخول هذا في حرف واحد من الحروف السبعة، التي أنزل القرآن عليها من أول ما يتنوع فيه اللفظ أو المعنى، وإن وافق رسم المصحف، وهو ما يختلف فيه النقط، أو الشكل"[(١)]. والثاني: في القرآن عبارات، أو كلمات، أو كيفيات مستحيل نطقها بالكيف الصحيح، عن مجرد القراءة في المصحف، ولا بد للمتعلم من سند متصل، بالسماع، والتلقين، والمشافهة، وشرح الشيوخ الأجلاء، مثل مواضع الهمز، بين التسهيل، والتحقيق، والإمالة بين القراءة بها، وتركها، والإدغام بين الإتيان به، أو فكه، وهكذا[(٢)]. وقد قرر العلماء أن الحروف السبعة تعود في اختلافاتها

---

(١) مجموع الفتاوي، للشيخ ابن تيمية (٣٩٢/١٣).

(٢) الإدغام لغة مثل (عليم بذات الصدور) لو كتبت (عليمن) بإثبات النون في الكتابة لكان عليه الإتيان بحرف النون كاملا، وهو خلاف المتواتر، فلا ينضبط بالكتاب، ومثله الإدغام بغير غنة، =

إلى أسباب سبعة كالآتي: ١- الإثبات والحذف[١] .٢- التقديم والتأخير .٣- الإفراد والتثنية والجمع .٤- التصريف للأفعال.٥- الإبدال[٢].٦- اللهجات، كالمد، والإدغام، والتفخيم، والترقيق، ونحو ذلك .٧- اختلاف وجوه الإعراب . فهذه جملة الوجوه التي وردت عليها القراءات العشر، من الوجوه السبعة، وتعود إليها اختلافات كثيرة من القراءات الشاذة، ولم يقرأ بها، فلو كان القرآن قد نشأت عدة من قراءاته، بسبب خلوه من الإعجام والشكل الذي يعود إلى سبب الإبدال، لكانت تلك المحتملات الواردة على النص قد تواترت مع ما تواتر من القراءات العشر، ولكنه لم يقرأ بها؛ لأن القراءة سنة متبعة، أي رواية لا دخل فيها للسليقة، أو الاستحسان اللغوي، أو الترجيح النحوي، أو رسم المصحف. والمسألة الثانية: بيان امتزاج الأحرف السبعة في بعض الحالات بظواهر الرسم العثماني: لا ريب أن مسألة نزول القُرْآن بالأحرف السبعة امتزجت في بعض الحالات بظواهر الرسم القُرْآني على رأي طائفة من العلماء، الذين ذهبوا إلى أنَّ الأحرف السبعة موجودة في اللفظ

ومثلهما قوله –تعالى–: (وقيل منْ راق) السكت على حرف النون يمنع الإدغام بغير عنة، ويظهر نطق حرف النون، وقل مثل ذلك في التفخيم، والترقيق، والمد، والقصر، والإخفاء، والروم، والإشما،م والإبدال، والنقل، والإقلاب، والحذف والإثبات، والإلحاق، والفتح والإمالة، وما بينهما، وتخفيف الهمزة، وإعطاء الحروف حقها ومستحقها، لا يحققه إلا الملقن الضابط.

(١) قال ابن الجزري: "(واختلفوا) في (لكنا هو الله) فقرأ أبو جعفر وابن عامر ورويس: (لكنا) بإثبات الألف بعد النون وصلاً، وقرأ الباقون بغير ألف، ولا خلاف في إثباتها في الوقف اتباعاً للرسم (واختلفوا) في: (عليم وقالوا اتخذ الله) فقرأ ابن عامر: (عليم) قالوا: بغير واو بعد (عليم) وكذا هو في المصحف الشامي، وقرأ الباقون: (وقالوا) بالواو كما هو في مصاحفهم" النشر، لابن الجزري (١٥٩/٢) (٢٥٠/٢).

(٢) قال ابن الجزري: "(واختلفوا) في (وتوكل على العزيز) فقرأ المدنيان–نافع وأبو جعفر– وابن عامر: (فتوكل) بالفاء، وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون بالواو، وكذلك هي في مصاحفهم" (٣٧٦/٢) .

والصوت القُرْآني، وهو رأي مشهور[١]. قال ابن الجزري: "ولذلك كان الخلاف المشهور في ﴿بَصْطَةً﴾[٢] الأعراف دون ﴿بَسْطَةً﴾[٣] البقرة؛ لكون حرف البقرة كُتب بالسين – التي هي الأصل– والأعراف بالصاد"[٤] يعني به أن المصحف كتب مرسوما بهيئة تتوافق مع الاختلاف في القراءات، فروعي كتابة ﴿بَصْطَةً﴾ بالصاد على غير الأصل، الذي هو السين في الموضع المختلف فيه ؛ ليفاد الإشارة، إلى أن ثمة قراءة على الأصل، وأخرى على الرسم، ولما لم يختلف القراء العشرة في الموضع الذي بسورة الأعراف، كتب على الأصل، وهو السين ﴿بَصْطَةً﴾ وبناء عليه فإنه لو كانت القراءات تنشأ من رسم المصحف، وكان لكل أن يقرأ بما يشاء لكتبت بالصاد على الأصل المعروف، ثم هي بعد تحتمل القراءة بالسين، ولكنها كتبت على غير الأصل، وما ذاك إلا للتنبيه على أن فيها قراءة وحيدة فحسب على غير قراءة الأصل هي القراءة بالصاد، وهي قراءة منقولة مأثورة، لا تعود إلى احتمالية المصحف العثماني لها؟ وإنما تعود إلى قراءة مأثورة، يجب أن يتوافق معها رسم المصحف؛ ولذلك كتبت على النحو السابق للعلل السابقة، فإذا القراءات معروفة ومحصورة، وغير مطلقة لكل أحد أن يقرأ كيف يشاء مما يحتمله رسم المصحف، بدليل أنك لا تعرف القراءات من رسم المصحف، ولم يكتب المصحف من أجل ذلك، وإنما كتب المصحف قابلا لاحتمال القراءة المتواترة ولو تقديرا، وقد ضربنا

---

(١) سورة القصص دراسة تحليلية، للدكتور: محمد مطني (١٣٤/١). قوله: (فَإِمَّا تَرَيِنَّ) دخلت "إنْ" الشرطية على "ما" الزائدة للتوكيد، فَأُدْغِمت فيها، وكُتِبَتْ متلةً. و (تَرَيْنَ) تقدَّم تصريفُه. والعامَّةُ على صريح الياء المكسورة، وقرأ أبو عمروٍ في روايةٍ: "تَرَئِنَّ" بهمزة مكسورةٍ، بدلَ الياء، وكذلك رُوِي عنه (لَتَرَؤُنَّ) بإبدالِ الواوِ همزةً" الدر المصون، للسمين الحلبي (٥٩٠/٧).

(٢) سورة الأعراف، من الآية (٦٩) .

(٣) سورة البقرة، من الآية (٢٤٨).

(٤) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢٦١/٢).

مثلا بـ(بَسْطَة)[١] بالصاد والسين، يقول ابن الجزري: "ونعني بموافقة أحد المصاحف، ما كان ثابتا في بعضها، دون بعض، كقراءة ابن عامر: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ﴾[٢] في البقرة، بغير واو ﴿بِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ﴾[٣] بإثبات الباء فيهما، فإن ذلك ثابت، في المصحف الشامي ... ونحو ذلك، فإن لم تكن القراءة في شيء من المصاحف العثمانية، فشاذة؛ لمخالفتها الرسم المجمع عليه[٤]. قلت: يستفاد أمران: الأمر الأول: أنه خولف بين تلك المصاحف في المكتوب؛ لاستيعاب القراءات، فإذا لم تكن ثمة قراءات بعد، فلماذا هذه المخالفة؟ بمعنى أن استقرار القراءات المتواترة سابق في الوجود على الرسم العثماني؛ وإلا لما وجدنا تغايرا في الرسم العثماني يراعي القراءات على غير الأصل، ويجعل لها الأولوية في الرسم، مثلا ما تقدم ذكره بين (بَصْطَةً) و(بَسْطَةً) وإذا كانت القراءة سابقة على الرسم، فكيف يكون الرسم سببا في نشأتها، ومن المستحيل عقلا أن يكون المسبب سابقا في الوجود الخارجي على سبب وجوده، وأن يسبق المعلول العلة؟ ومن ثم نبطل الشبهة بما يلزم عنها من تخلف العلة عن المعلول لزوما بينا يجعله قولا لهم، ويشهد له دليلان: أول الأدلة: إجماع الأمة على أن الحروف أو القراءات القرآنية نزلت مع نزول القرآن من السماء، مسموعا للنبي -ﷺ- فحفظه صدرا، وقد ضمن الله أن يجمعه في قلبه لا ينسى منه شيئا إلى حين تبليغه وانتشاره، ثم تلاه على كتاب الوحي فوعوه صدرا، قبل أن يكتبوه سطرا، ثم أقرأ حفاظ الصحابة بتلك الحروف آمرا لهم بإقرائها كما علمهم إياها، فضلا على ذلك قراءة الجميع للقرآن في صلواتهم الجهرية، وقيامهم بالليل بالقرآن الكريم، وسماع الجم الغفير لتلك القراءات، وحفظهم لها، وهذا يقتضي أن القرآن وقراءاته سابقان بالسماع على الخط منذ أول لحظة لإيحائه إلى القلم في السماء؛ ليكتبه في لوح محفوظ، وحتى

(١) سورة البقرة، من الآية (٢٤٨).
(٢) سورة البقرة، من الآية (١١٦).
(٣) سورة فاطر، من الآية (٢٥) مثبتة فيهما، آل عمران، من الآية (١٨٤) غير مثبتة فيهما.
(٤) ما سبق موافق للمصاحف العثمانية تحقيقا لا تقديرا أو احتمالا.

نزوله على النبي -ﷺ- ومقيدان بالسماع منه، ومعتمدان في الأساس على الرواية لا الكتابة ولا الاجتهاد، وهو ما يتناقض وقول جولدتسيهر بأن عنصر الحرية في اختيار القراءات كان مطلقا وموفورا منذ أول تداول القرآن؛ لأنها حرية قيدت بقيدين: أولهما: المتواتر الذي نزل على سبعة أحرف، وثانيهما: ما استقر في العرضة الأخيرة استقرارا يقينيا بمنزلة العلم الضروري، الذي يلزم نفس المخلوق لزوما لا يملك الانفكاك عنه بشك ولا شبهة، وذلك قبل وفاة النبي -ﷺ- بزمن يسير، ومن ثم قبل نسخ المصاحف العثمانية وثاني الأدلة: أنه بالقراءات أو بالأحرف السبعة قرأ الرسول -ﷺ- على صحابته تيسيرا عليهم لاختلاف لهجاتهم، وشيوع الأمية فيهم، ولأن فيهم المرأة، والصبي، والشيخ الفاني، وتفصيله أن الشكل بمعنى نقط الإعراب والحركات متأخر عن كتابة المصاحف العثمانية بـ ١٧ أو ١٩ عشر عاما، لظهوره عام ٤٧ أو ٤٩ هـ حيث كتب مصحف بالشكل (نقط الإعراب) لنافع بن عقبة الفهري، فكيف يكون ما هو لاحق في الزمن، سببا في نشأة ما هو سابق عليه ثابتا مستقرا بمثل هذا الزمن الطويل؟ أليس هذا من المستحيل حصوله فعلا وعادة مع ما علمناه من توفر الدواعي على حفظ القرآن بقراءاته؟ واستنادا إليه يتقرر أن هذا القول من المستشرقين قول باطل لا يقول به عاقل، يقول الدكتور عبد الفتاح شلبي -رحمه الله-:"ألم تروا الروايات تتداول قبل تدوين المصاحف؟ ثم ألم ترهم كيف كانوا يتحرون ويثبتون؟ أو لم يكن القرآن محفوظا في الصدور قبل جمع القرآن؟ بلى! فإن لم يكن اختلاف القراءات بين قراء الأمصار راجعا إلى رسم المصحف، فهو يرجع إلى أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدينة، وبعث عبد الله بن السائب إلى مكة، والمغيرة بن شهاب إلى الشام، وعامر بن قيس إلى البصرة، وأبا عبد الرحمن السلمي إلى الكوفة، فكان كل واحد من هؤلاء العلماء يقرئ أهل مصره بما تعلمه من القراءات الثابتة عن رسول الله -ﷺ- وثبت أنه مما استقر في العرضة الأخيرة، بطريق متواتر يحتملها رسم المصحف دون الواردة بطريق الآحاد والمنسوخة، وإن كان يحتملها رسم المصحف،

فالمقصود من إرسال القارئ مع المصحف، تقييد بما يحتمله الرسم من القراءات بالمنقول منها تواترًا، فلو كانت القراءات مأخوذة من رسم المصحف وساغ لكل إنسان أن يقرأ بكل قراءة يحتملها رسم المصحف، سواء كانت ثابتة بطريق التواتر، أم واردة بطريق الآحاد، أم كانت منسوخة، أم لم يكن لها سند أصلًا، لم يكن ثمَّ حاجة إلى إرسال عالم قراءات مع المصحف، فإيفاد عالم قراءات مع المصحف، دليل واضح على أن القراءة القرآنية إنما تعتمد على التلقي، والنقل، والرواية، لا على الخط، والرسم، والكتابة[١] وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل، فاحتملت ما صح نقله، وثبتت تلاوته عن النبي – ﷺ– إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط " ولهذا أرسل الخليفة عثمان – رضي الله عنه– مع المصاحف المنتسخة رجالا يقرئون الناس وفقها إلى كل مصر"[٢][٣].

والأمر الثاني: الدلالة على توفر الدواعي على حفظ قراءات القرآن الكريم، وتواتر رسم المصاحف العثمانية؛ لأن كتابة بعض القراءات المتواترة بالمصاحف العثمانية على غير الأصل؛ مثل ﴿بَصْطَةً﴾[٤] بالصاد؛ ليسهل تذكرها ﴿وليتعادل مع الأصل الذي لم يكتب في دلالة الصورة الواحدة على القراءاتين، إذ يدل على إحداهما بالحروف، وعلى

(١) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، للشيخ عبد الفتاح القاضي (٤٢: ٤٣) بتصرف يسير.
(٢) رسم المصحف العثماني، للدكتور: عبد الفتاح شلبي (٢٩) .
(٣) قال –تعالى–: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) (٣)–سورة العنكبوت، من الآية (٤٩)–.وقال –تعالى–: (فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) قال الطاهر بن عاشور: "(بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) (١٥) (٣)–سورة الواقعة، الآيات (١٣–١٥).–المرادُ بالصحف الأشياء التي كتب فيها القرآن من رقوق. وقراطيسَ، وأكتاف، ولِخاف، وجريد. وإطلاق الصحف عليها تغليباً، و(في) للظرفية الحقيقية، ويكون المراد بالسفرة جمع سافر، أي كاتب، والسفرة هم كتَّاب الوحي" التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٠٣/١٦) باختصار.
(٤) سورة الأعراف، من الآية (٦٩) والنشر (٢٦١/٢).

الثانية بالأصل﴾[1] مما يدل على المبالغة في الحرص على حفظ القراءات العشر المتواترة وتذكرها.

والخلاصة هي أننا نرد على الشبهة بتبيين أن في قراءات القرآن أصولا وفروعا كيفيات تتنوع في صفة النطق، وتتحد في اللفظ والمعنى، وهي من الأحرف السبعة، مثل مواضع النقط والشكل، وأن فيها كيفيات يستحيل تعلمها من المصحف وحده دون تلقين مما يدل على تقييد القراءات بالسماع والمشافهة، وأنه لو جازت القراءة بكل ما يحتمل القراءة به في الكلمات الخالية من النقط والشكل لتواترت جميعها، وأنه قد امتزجت الأحرف السبعة في بعض الحالات بظواهر الرسم العثماني، مما يدل على تقييد القراءات وعدم إطلاقها حسب رسم المصحف العثماني، وعلى سبق القراءات على الرسم العثماني، وأن الأحرف السبعة نزلت لعلل منها تيسير قراءة القرآن على الصحابة؛ لاختلاف لهجاتهم، مما يدل أيضا على سبق القراءات على الرسم العثماني، وهذا كله مما يبطل شبهات جولدزيهر، وآرثر جفري، ومن تبعهما حول الإعجام والشكل.

(١) مناهل العرفان (٢٨٩/١).

المبحث السادس: الرد على شبهة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات، بالمعارضة بإيراد أدلة تقرير سلامة النص القرآني.

وفيه ثمانية مطالب: المطلب الأول: معارضة بذكر بعض الأدلة الأخرى، التي تقرر سلامة النص القرآني من التصحيف والتحريف واللحن:

قال آرثر جفري في مقدمة تحقيقه كتاب المصاحف لابن أبي داود: "وكانت هذه المصاحف كلها – يعني مصاحف عثمان التي بعث بها إلى الأمصار– خالية من النقط والشكل، فكان على القارِئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات، ومثال ذلك (يَعْلَمُهُ) كان يقرؤها الواحد (يَعْلَمُهُ) والآخر (نَعْلَمْهُ) أو (تُعْلِمْه) أو (بِعِلْمِهِ) إلى آخره على حسب تأويله للآية"[(١)]. وقال جولدزيهر:"والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبْعًا للنقط فوق الحروف أو تحتها ..."[(٢)]. ونحن نرد شبه جولد زيهر، وآرثر جفري، حول الإعجام، ونقط الإعراب، أو حركاته (التشكيل) بالقول بوجود علل أخرى؛ لتقرير سلامة النص القرآني تنقض شبههم، منها الآتي:

العلة الأولى هي: أن جوهر الرسم ليس هو الأساس في نقل القرآن الكريم حتى يطعن في القرآن من جهته، فضلا عما هو قائم به عرضا من أعراضه من إعجام أو شكل. والعلة الثانية هي: أننا أنعمنا النظر، فوجدنا أنه لا يمكن أخذ القراءات المتواترة،

---

(١) مقدمة كتاب المصاحف، لابن أبي داود، صفحة (٧). يقول الدكتور "علي عبد الواحد وافي" في متابعة هؤلاء، وقوله بما يقولون؟! وذلك ما أورد في كتابه فقه اللغة "يرجع بعض مظاهر الاختلاف في قراءات القرآن إلى اختلافهم في قراءة الكلمة حسب رسمها في المصحف العثماني، فقد كان الرسم مجردًا من الإعجام والشكل؛ ولذلك كان يمكن قراءة بعض الكلمات على وجوه مختلفة" فقه اللغة (ط١، القاهرة) صفحة (١١٩) حاشية (١) صفحة (١١٩).

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي، لإجنتس جولدتسيهر، صفحة (٨) والحاشية رقم (١) ورسم المصحف العثماني، للدكتور: عبد الفتاح شلبي، صفحة (٢٩).

من رسم المصحف العثماني، إذ الرسم لم يوضع للدلالة على شيء منها – وإنما وضع محتملا لها كما سبق بيانه؛ لأنه لا يعدو كونه زيادة في التوثيق والتيسير لحفظ متن اتفقت الأمة على جعل الأساس في نقله السماع والمشافهة. والعلة الثالثة هي: وجود محتملات لقراءات واردة على الرسم العثماني، لكنه لم يقرأ بها في المتواتر، وما سبق عن القراءاتين في (فتَثَبتُوا) و(فَتَبَيَّنُوا)[1]كان بالتلقي من النبي -ﷺ- لا من رسم المصحف، والذي يحتمل القراءاتين؛ لعدم وجود النقط فيه، لكن توجد رسوم تحتمل ما ليس من المتواتر، ومن ذلك قوله -تعالى-:﴿وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ..﴾ "[2] لم تقرأ في المتواتر إلا بتاء التأنيث فقط، مع أنها تحتمل القراءة بالياء، ولكنها لم تقرأ في أي قراءة شاذة بالياء أيضا، بخلاف قوله -تعالى-: ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ..﴾[3] فقد قرئ في المتواتر (بالياء والتاء) مع أنه من مواضع المتشابه اللفظي والمعنوي، فلو كان الرسم العثماني سببا في نشأة قراءة ما من القراءات متواترة أو شاذة، لعم كل موضع مشابه؛ لاتحاد السبب، وهو الخلو من الإعجام والشكل، ومثال الكلمة تكتب بصورة واحدة، وتقرأ بوجوه متعددة، قوله -تعالى-: (إِنْ هَذَنِ لَسِحْرُن)[4] رسمت في المصحف العثماني هكذا: (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) من غير إعجام، ولا شكل، ولا تشديد، ولا تخفيف في نوني (إن) و(هذان) ومن غير ألف، ولا ياء بعد الذال، من (هذان) فالرسم العثماني، كان صالحا عندهم، لأن يقرأ بالوجوه الأربعة، التي وردت كلها بأسانيد صحيحة[5]. وهذا يعني أنه متداخل مع القراءات المتواترة، وتأمل كيف يعجم ويشكل المصحف، على كل تلك القراءات -لو افترضنا جدلا معرفتهم بالشكل وقتها، أو أنهم كانوا في احتياج إليه- وكم نسخة يحتاج

(١) تكررت في الآية (٩٤) من سورة النساء، ووردت في سورة الحجرات، من الآية (٦) .
(٢) سورة البقرة، من الآية (١٢٣) .
(٣) سورة البقرة، من الآية (٤٨) .
(٤) سورة طه، من الآية (٦٣) .
(٥) مناهل العرفان، للزرقاني (٢٥٨/١).

إليها من تلك المصاحف الأمهات، فضلا عما لو أخذنا في الحسبان ما عليه الواقع من تشخيص القراءات، بمعنى قراءة كل أهل جهة بقراءة صحابي مشهور بتعليم القراءات، والتعصب له؟!.

والعلة الرابعة هي: نص القراء على ما لا ينضبط بالكتابة، ولا يضبط إلا باللفظ والسماع والمشافهة: مثال ذلك قراءة حمزة كلمة (الصِّرَاطَ) في فاتحة الكتاب، بين الصاد والزاي، أي جهر الصاد، ليس في الكتابة العربية رمز يمثلها، لذلك نجد ابن مجاهد يقول:"ولا يضبطها الكتاب"(١). وهكذا الكثير من محتملات الرسم التقديرية، تضبط باللفظ لا بالرسم، فضلا عن وجود كيفيات في النطق والتحسين، مما يستحيل فهمه دون سند وسماع؛ لأنه عن طريقه يحصل الضبط والحصر في حفظ القرآن بقراءاته وإعرابها وكيفيات نطقها(٢) مما يدل على أن المعتمد الأساسي في نقلها هو حفظ الصدور بالسند المتواتر، وهو ما يرد على طعنه في النسخة العثمانية بأنها لم تحقق المقصود منها؛ بأن النقل الشفوي قصد سلامة النص القرآني، وأنه لم يتحول الصحابة عنه إلى دراسة النص المكتوب أو الاكتفاء بالنص المكتوب في المصحف العثماني؛ لأنه ثبت أن الأساس هو حفظ الصدور بدليل أن أسانيد القراء العشرة إلى عصرنا لا تزال متصلة بالنبي -ﷺ- وبأن نسخ لجنة الصحابة لنصوص القرآن بالمصاحف العثمانية قصدوا من رقم سطوره أن يكون زيادة في التوثيق، لا مصدرا لمعرفة شاملة للقراءات، وكيفيات نطقها، فضلا عن أن يكون سببا في نشوئها، وأن النقل الشفوي، وإن كان قد حقق للمتخصصين في القراءات الإشباع والحاجة إلى المعرفة بالقرآن، إلا أن بعض المبتدئين احتاجوا إلى احتياطات كتابية تحسم اختلافهم، وتوسع في طرق التيسير بمعرفة القرآن وقراءاته المتواترة، وإلى التخلص من المصاحف المحتوية على زيادة أو نقص أو إبدال غير

(١) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، صفحتا (١٠٦، ١٤٤) .
(٢) تأمل النشر، لابن الجزري (٤٦/١).

متواتر، وجمعهم على مصحف واحد[1] وبذلك جمع له بين الحسنيين، حرصا على سلامة نصوصه، وتنزيها له عن لحن بعض المبتدئين، وهو ما يزيد الثقة بالنسخ العثماني، وبسلامة تلك النصوص المأثورة كتابة ورواية، ويثبت أنه قد توافر الدواعي على نقلها، والإثبات مرجح على النفي بالإجماع.

﴿ولو كان خلو المصاحف العثمانية من الشكل سببًا في اختلاف القراءات وتنوعها؛ لاختلف القراء، فكان منهم من يقرأ: (خَطِفَ يَخْطِفُ)[2] من باب علم يعلم، وكان منهم من يقرأ (مُكْثٍ) بضم الميم، ومنهم من يقرأ بفتحها، ومنهم من يقرأ بكسرها، والمعنى لا يختلف، واللغة تسيغ جميع هذه القراءات، ولكن القراء اتفقوا على قراءة (خطِف) بالكسر يخطف بالفتح، وعلى قراءة(مُكْثٍ)[3] بالضم، فحينئذ لا تكون القراءات بالرأي والاختيار ولا بالهوى والاجتهاد، ولا يكون تجرد المصاحف من الشكل سببًا في تنوع القراءات واختلافها سببًا في تنوع القراءات واختلافها، إنما سبب التنوع والاختلاف الروايات الصحيحة والأسانيد الموصولة، والروايات الصريحة المنقولة، والتوقيف والتلقي والسماع، وهذا الادعاء من المستشرقين خلاف وعد الله بحفظ القرآن من التحريف والتصحيف والتبديل، والقرآن الكريم سجل على رسول الله -ﷺ- أنه لا يستطيع أن يبدل في القرآن الكريم كلمة بكلمة أو حرفًا بآخر، وأشار إلى أن هذا التبديل معصية يترتب عليها العقاب الأخروي الشديد، فقال -تعالى-: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا

(١) الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب -ت ٤٣٧- صفحة (١٢٦). وهو ما يرد شبهة برجستراسر بتاريخ القرآن (٥٥٨) والتي زعم فيها أن النسخة العثمانية هدفها أن يكون لها الأثر نفسه، خاصة، وأنها جاءت لكي تكون القرآن الرسمي المعمول به، وأنه لم يكن ممكنا بواسطة النقل الشفوي إشباع الحاجة إلى نشر المعرفة بالقرآن.

(٢) سورة الصافات، من الآية (١٠).

(٣) سورة الإسراء، من الآية (١٠٢) .

يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)[١] وقال –تعالى- :(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)[٢]. فإذا كان الرسول –ﷺ– لا يستطيع أن يبدل في القرآن الكريم شيئًا، فهل يملك غيره صحابيًا كان أم تابعيًا أم غيرهما، أن يضع كلمة مكان كلمة، أو حرفًا في موضع حرف؟!﴾[٣] لا ريب أن هذا ما يأباه قياس الأولى. ومن القراء العشر من كان إمامًا في النحو، ومع ذلك كان يخالف مذهبه في النحو لأجل القراءة، ولا يتعدى ما نقله عن أئمته، وتلقاه عن شيوخه، ولو خالف مذهبه في العربية[٤] ومنهم أبو عمرو بن العلاء البصري، قال الأصمعي: "قال لي أبو عمرو: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قُرئ لقرأت كذا وكذا من الحروف، كذا وكذا"[٥] قال ابن خالويه: أدغم أبو عمرو وحده الراء في اللام من (يَغْفِرْ لَكُمْ)وما شاكله في القرآن وهو ضعيف عند البصريين"[٦] وقال حمزة:" ما قرأت حرفا قط إلا بأثر" وكذلك قال فيه سفيان الثوري"[٧].وهذا ملزومه أمران أولهما: الدلالة على أن الأصل التلقي.

وثانيهما: الدلالة على أن المخالفة لم تكن لخلو المصحف من النقط والشكل.

---

(١) سورة يونس، من الآية (١٥).

(٢) سورة الحاقة ، الآيات من (٤٤ –٤٦–).

(٣) تأمل القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، للشيخ عبد الفتاح القاضي، صفحات (٦٥–٧٤) باختصار.

(٤) موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام صفحة (٦١٠/٤).

(٥) أخرجه ابن مجاهد في السبعة، صفحتا (٤٨)، (٨٢).

(٦) الحجة في القراءات السبع، صفحة (٨٠).

(٧) أخرجه ابن مجاهد في السبعة في القراءات، صفحة (٧٦). عن سفيان الثوي.

المطلب الثاني: معارضة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات، بتبيين أن الاعتماد الأساسي في نقل القرآن، على حفظ الصدور؛ لتوفر الدواعي على نقله بسند صحيح متواتر، وتبيين تلك الدواعي، وتبيين بلوغ توثيق القرآن أقصى درجات التوثيق. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المعارضة بفساد الاعتبار؛ لمخالفة نصوص القراءات القرآنية المتواترة، مع بيان أن الاعتماد الأساسي –في نقل نصوص القرآن وقراءاته المقدسة المكلف بها– على حفظ الصدور؛ وإثبات توفر الدواعي على نقلها بسند صحيح متواتر، لا يحتاج إلى إعجام.

وفيها محوران:

المحور الأول: معارضة الشبهة بفساد الاعتبار، لمخالفة نصوص القراءات القرآنية المتواترة، وبيان أن الاعتماد الأساسي في نقل القرآن على حفظ الصدور: أولا: ندفع الشبهة بسقوط الاعتبار؛ لمخالفة نصوص القراءات القرآنية المتواترة، وذلك لأن المصاحف العثمانية الأمهات، جردت من الإعجام، إلا أن حفاظ القراءات من الصُّحْبَان الكرام، مع حرصهم على تيسير مراجعة حفظ القرآن من تلك المصاحف، اعتمدوا في الأساس على حفظ الصدور والتلقي الشفاهي في ضبطها، لا رقم السطور ونقطها ورسمها، وقل مثل ذلك في السنة الشريفة، ولذلك بدأ حفظ الوحي صدرا وسطرا منذ اللحظة الأولى لنزوله قرآنا وسنة، لإيمان الجميع بأن القرآن الكريم معجز بلفظه، متعبد

به، وواجب على المسلمين حفظه بقراءاته أو حروفه[١][٢] وأجمعوا على أنه تجب قراءاته على الهيئة التي يتعلق بها الإعجاز من اللغة العربية[٣] وإذ أجمعوا أنه معجز بنظمه، فإن ذلك يقتضي حفظه، وحفظه لا يفي به السطر، فدل على أن الأساس هو حفظ الصدر، والذي صدقه الواقع العملي المثبت استقراؤه حفظ الكثير من المتخصصين في القراءات، للقرآن الكريم بقراءاته المتواترة، بالسند الصحيح إلى النبي -ﷺ- ومنح الإجازات فيها إلى يوم الناس هذا، ولم ينكر واحد منهم ذلك، فدل على إجماعهم العملي الذي يفيد أن الأساس هو حفظ الصدور، وبدليل أنهم لم يكتفوا بالأسهل من حفظ السطور؛ مع أنها متواترة أيضا، وتكلفوا ما يشق عليهم من حفظ الصدور. وثانيا: الخصوصية للمبتدئين بنقط ما يشكل عليهم حفظه من القرآن الكريم في عهد الصحابة، مثل بعض الصحف التي تقرأ ويتعلم منها، ويستغني عنها المتوسطون والمنتهون من كبار قراء الصحابة، ولو افترضنا اليوم ضياع جميع المصاحف، لبقي القرآن محفوظا في الصدور، دون أن يضيع منه أي شيء، فكيف بعهد الصحابة، والتابعين؟! فإذا المنقول بالصدور لا يحتاج إلى إعجام، أو شكل؛ لأنه يتلقى مسموعا بحاسة الأذن، بسند متواترا، محفوظا في العقول، ومنحوتا في الصدور، ومسطورا في القلوب، من الحفاظ والقراء العدول، التام ضبطهم، في كل طبقة من طبقات السند للقراءات، بما فيها من مواضع الإعجام والشكل واختلافاتها

(١) وأما السنة، فالأصل تأديتها باللفظ، وإلا فالمعنى، وكان في الرواة من يكتبها في عصر النبي -ﷺ- ولكن المشهور هو روايتها؛ لندرة أدوات الكتابة، وعدم تيسر الكتابة عليها، من الأدم والأقتاب واللخاف... ونحو ذلك" . الإتقان، للسيوطي (١٦٣/١، ١٦٤) بتصرف شديد.

(٢) قال ابن الجزري بأن الصحابة -ﷺ- تلقوا عن رسول الله -ﷺ- ما أمره الله -تعالى- بتبليغه إليهم من القرآن، لفظه ومعناه جميعا، ولم يكونوا ليسقطوا شيئاً من القرآن، الثابت عنه -ﷺ- ولا يمنعوا من القراءة به. النشر، لابن الجزري (٤٥/١) وهو يعني أن النبي -ﷺ- بين في العرضة الأخيرة، ما ثبت فحسب، وما لم يقرأ به، فهو من المنسوخ.

(٣) تأمل البرهان، للزركشي (٤٦٥/١).

في القرآن، على أنها جزء من القرآن، ولو كان الإعجام أو التشكيل ضروريا في السطور، بحيث لا يمكن حفظ القرآن وقراءاته دونه، لأجمع الفقهاء على فرض إعجامه، واستعمال الوصف اللفظي في شكله، ولفرضوا إجماعا إعراب أبي الأسود الدؤلي ثم حركات الخليل، ولما وجد منهم في عصر الصحابة والتابعين من قال بالكراهية، ثم من قال باستحبابه، ولما وضع الدؤلي نقط الإعراب، ولا الخليل حركاته، وعدم الإجماع على ذلك شاهد بتوفر الدواعي في كل عصر ومصر على حفظ القرآن الكريم بقراءاته صدرا؛ لأنه الأساس، ولأن السطر المتواتر زيادة في التوثيق ، وفي المحور الآتي بيان تفصيلي بتوفرها تلك الدواعي، فلنا أن نرد الشبهة بفساد الاعتبار؛ لكون القراءات المتواترة ثابتة نصا متواترا، فما يخالفها من قراءات شاذة، ساقطة بفساد الاعتبار .

المحور الثاني: تبيين توفر الدواعي على نقل القرآن الكريم بقراءاته بسند صحيح متواتر:

يمكن بيان تلك الدواعي فيما يأتي:

أولا: القرآن الكريم والسنة النبوية؛ لأن القرآن نفسه رغب المسلمين في حفظه، وكلفهم به، بقوله –تعالى–: (إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1] لأن فيه إدماجا بين الإخبار عن حفظه والتكليف به، والقرآن نفسه رهب من الإعراض عنه ونسيانه، فقال –تعالى–: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)[2] ورغبت السنة في تعهد القرآن بقراءاته بالتلاوة والحفظ، فقال النبي –ﷺ– آمرا للمسلمين"تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الإبل من عقلها"[3]

(١) سورة الحجر، من الآية (٩),

(٢) سورة طه، من الآية (١٢٤),

(٣) الجامع الصحيح المختصر للبخاري (١٩٢١/٤) ٦٩ – كتاب فضائل القرآن ٢٣ – باب استذكار القرآن وتعاهده، برقم: ٤٧٤٦عن أبي موسى، وصحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج (٥٤٤/١) ٦ – =

فأطاعوه، وثانيا: تعاهد الصحابة والتابعون فمن بعدهم القرآن الكريم بالقراءة والحفظ، فكانوا يعدون النظر في المصحف عبادة، وكان حال النبي -ﷺ- على ما قال له ربه: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا (٤))[١] وهكذا كان حال طائفة من الذين آمنوا معه، ولذلك نجد من الصحابة: عثمان بن عفان -رضي الله عنه- الذي نسخ المصاحف وراجعها بنفسه، كان يقرأ القرآن في ركعة يحيي بها ليلة[٢].وروي قريب من هذا عن عبد الله بن عمرو، بن العاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب[٣] وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود ، ونجد من التابعين: إبراهيم النخعي، والأسود بن يزيد، ومحمد بن سيرين، وقتادة بن دعامة السدوسي، وعروة بن الزبير -رضي الله عنهم-[٤] وغيرهم كثير[٥]. فلو لم يكن القرآن قد توافرت الدواعي على نقله بجمله وتفاصيله ما اعتنى به الصحابة والتابعون هذه العناية الفائقة، وبتلك الدقة البالغة، التي لم يسمع الزمان بمثلها. وثالثا: تكليف المسلمين بتقديس نصوص القرآن بعدة مظاهر، منها التعبد لله بتلاوتها في الصلاة وخارجها، وتحريم مس الجنب والحائض والنفساء أو قراءاتهم لها، وتحريم مس صحفه لغير المسلم، ولغير المتوضئ،

كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣٢ – باب فضائل القرآن وما يتعلق به ٣٣ – باب الأمر بتعهد القرآن، برقم: ٢٢٨ – (٧٩٠) عن عبد الله بن مسعود بنحوه,

(١) سورة المزمل .

(٢) مصنف عبد الرزاق، الصنعاني (٣٥٤/٣) باب إذا سمعت السجدة وأنت تصلي، وفي كم يقرأ القرآن، برقم: ٥٩٥٢ عن محمد بن سيرين.

(٣) مسند أحمد بن حنبل (١٥٨/٢) أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص -رضى الله -تعالى- عنهما – برقم: ٦٤٧٧. تعليق شعيب الأرنؤوط، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) مصنف عبد الرزاق (٢٤٢/٢) (٣٥٣/٣) (٣٥٤/٣) (٣٥٥/٣) باب إذا سمعت السجدة وأنت تصلي وفي كم يقرأ القرآن، أرقام: ٥٩٤٤ ،٥٩٤٨ ٥٩٤٩ ،٥٩٥١ ، ٥٩٥٤ ،٥٩٥٥، ٨٥٨١

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٢٤٣/٢) برقم: ٨٥٨٦ (٢٤٢/٢) برقم: ٨٥٨٠ (٢٤٣/٢) ٧٨٢ من رخص أن يقرأ القرآن في ليلة وقراءاته في ركعة برقم: ٨٥٩٥.

قال –تعالى–: (لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ)[1]. ورابعا: التحدي بإعجازه، وجعله منهجا للحياة، وإيجاب التزام أوامره، واجتناب نواهيه، وإلزام العمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، وتدبره؛ مما يوفر الدواعي على نقله. وخامسا: حكم فقهاء المسلمين بأن حفظ القرآن بقراءاته فرض كفاية، فانتدب طائفة أنفسهم لحفظه وإتقانه بجميع قراءاته رغبة فيه، ورهبة عن أن تأثم الأمة جميعها إذا تركت ذلك. وسادسا: القرآن الكريم عند المسلمين هو كتاب ربهم، ودستور حياتهم، الذي يتلونه في صلواتهم، ومحاريبهم، ونقل في جامع المعيار عن أبي عبد الله الكتاني المقرئ ت ٨١١ هـ قوله: "والكتابة عبارة عن الرسوم المخطوطة، التي وضعها الصحابة –رضي الله –تعالى– عنهم– في مصحف الإمام، المجمع عليه، والمكتوب، كلام الله القديم، المدلول عليه بصورة الرسوم، المجمع عليها، وهي محدثه، ولما كانت كذلك، توافرت الدواعي إلى نقلها، فنقلها الناس تواترا لقراءاتهم، وكتابتهم، ولا يجوز لهم، أن يقرؤوا قراءة تخالف صورة الخط، ولا أن يكتبوا عليها كتابة مخالفة للرسوم، التي وضعها الصحابة –رضي الله –تعالى– عنهم– في المصاحف، فالمكتوب متواتر والتحدي به متواتر"[2]. ولكن المستشرقين يتجاهلون الإعجاز القرآني الهادي الشافي، وتأثيره في المجتمع الإسلامي العربي، في ذلك الوقت، ومستوى ثقافته في اللغة، ويفترضون اعتماد المسلمين على الكتابة وحدها. وسابعا: ثبوت شواهد على شدة اهتمام الصحابة بسلامة نص القرآن، ففي مرحلة نسخ المصاحف العثمانية، نجد حرصهم على تجريد المصحف من كل شيء غير القرآن، من النقط، وأسماء السور، ومكيها ومدنيها، وعدد الآيات، ومن دعاء، واستغفار، وتفسير، فقالوا: "جردوا القرآن"[3]. وعن عبد الله بن

(١) سورة الواقعة، من الآية (٧٧).

(٢) المعيار المعرب والجامع المغرب، لأحمد بن يحي الونشريسي (١٤٩/١٢)

(٣) المعجم الكبير، للطبراني (٣٥٣/٩) ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي (٧٠/٧) برقم: ١١٦٢٤ وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير أبي الزعراء، وقد وثقه ابن حبان، وقال البخاري وغيره: لا يتابع في حديثه.

مسعود قال: "جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه"(١) وقال: قال أبو عبيد: كان إبراهيم يذهب به، إلى نقط المصاحف(٢) قلت: وقاس عليها رؤيته لمصحف فيه "فاتحة سورة كذا" فأمر بمحوها، فهل يقول عاقل، بأن قوما يوصون بذلك، وهم يعانون من نسيان قراءاته، أو تذكرها وقتما شاءوا."(٣). وثامنا: فساد اعتبار الشبهة لما أحدثه المجتهدون المقرؤون من عدة إجماعات، منها الآتي: أولا: إجماع المتأخرين على استحباب نقط المصحف وشكله، وعلى تخميس القرآن وتعشيره، وكتابة أسماء السور، وعدد الآيات، ورسم علامة بين كل آية وما بعدها، وعلامات الوقف، بعد اختلاف علل قول بعض المتقدمين بكراهية ذلك، واختلافهم بين القول بإطلاق الكراهية، وتقييدها بالمصاحف العثمانية والمصاحف الأمهات، وثانيا: إجماع على أنه تجب قراءاته على هيئته التى يتعلق بها الإعجاز؛ لنقص الترجمة عنه، ولنقص غيره من الألسن عن البيان الذى

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٢٣٩).(٧٧٧) في التعشير في المصحف، برقم: ٨٥٤٧ عن أبي الزعراء. قلت: وأولى بالشمول تجريدها من بعض التفسير، ففي مصحف حفصة قوله –تعالى– :(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى –صلاة العصر–) سورة البقرة من الآية (٢٨٣) ولخشية أن يمضي الزمان بالبسطاء فيشتبه عليهم القرآن بالتفسير، ويفتنهم به بعض أهل الأهواء، أحرقه مروان بن الحكم بملأ من الناس .

(٢) البرهان، للزركشي (١/٤٧٩) .

(٣) إذا كان قول ابن مسعود –ﷺ– معناه تجريد المصحف من النقط –الإعجام– فهذا يعني أن نقط المصاحف في عهد الصحابة، وجد مقيدا بمصاحف التعلم، والمصاحف الخاصة، وليس لاعتماده في مصحف من أمهات المصاحف، أو مرجعا معتمدا كالمصحف العثماني، ولذلك قال مالك، بن أنس: "هذه الصغار، التي يتعلم فيها الصبيان، فلا بأس بذلك فيها، وأما الأمهات، فلا أرى ذلك" –الإتقان، للسيوطي (٢/٤٥٥) – وقصد بالصغار ما احتوى سورة أو عددا من السور، وقال:"لا بأس بالنقط في المصاحف، التي تتعلم فيها العلماء، أما الأمهات فلا" ويفهم منه إجازته للنقط في المصاحف الخاصة بالعلماء أيضًا، وقد بعث النبي –ﷺ– والخط العربي مكتمل الخصائص .

اختص به دون سائر الألسنة، وإذا لم تجز قراءاته بالتفسير العربي لمكان التحدي بنظمه، فأحرى أن لا تجوز الترجمة بلسان غيره...[١] وثالثا: إجماع على تحريم كتابته بغير اللغة العربية، كما يحرم قراءاته بغير لسان العرب[٢]. وبعد فإن انعقاد الإجماعات الثلاثة يدل على توفر الدواعي على نقل القرآن بجمله وتفاصيله، على وجه التواتر المتصل السند، دون انقطاع إلى يوم الناس هذا، وإلى قيام الساعة.

المسألة الثانية: بيان بلوغ توثيق القرآن أقصى درجات التوثيق الممكنة:

شاء الله أن يجمع للقرآن في مصادره بين الحفظ في الصدور، والكتابة في السطور معا، منذ اللحظة الأولى لنزوله، فقد قيل: أوحى الله القرآن إلى جبريل-عليه السلام- وقيل: نسخه من اللوح المحفوظ، والأولى القول بأنه جمع له بين ثلاثة أساليب في التوثيق أولها: وحيه إليه وعيا وثانيها: سماعه له صوتا وثالثها: نسخه له سطرا، حتى أودعه في البيت المعمور، فجعل يسمعه ويوحيه إلى نبينا محمد صوتا، حتى وعاه عقلا، وجمعه الله في قلب نبيه صدرا، فكان نبينا يسمعه أصحابه صوتا، فيحفظونه من فورهم صدرا، ويأمر كتبة الوحي منهم بكتابته سطرا، وحفظه صدرا، وهكذا صنعا عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت -رضي الله عنهما- حين أمرهما أبو بكر -رضي الله عنه- بجمع القرآن، في صحف مكرمة، خشية أن يذهب شيء من القرآن بسبب استشهاد كثير من حملته من القراء، فلم يقبلا محفوظا بالسماع صدرا حتى يشهد له مخطوط بالكتابة سطرا، وشاهدان بأعينهما أنه مما خط بين يدي النبي -صلى الله عليه وسلم- سطرا[٣] وزاد عثمان -رضي الله عنه- في قوة التوثيق السطري بأن شكل لنسخ المصحف البكري، نسخًا عديدة، لجنةٌ من اثني عشر صحابيا، من ألمع الصحابة في القراءة والإقراء والكتابة، وأشرف عليها بنفسه، يقول الشيخ اللبيب في شرح العقيلة: "قد اجتمع على كتب المصاحف، حين كتبت اثنا عشر ألفا من الصحابة -رضي الله عنهم-

(١) البرهان، للزركشي (٤٦٥/١).
(٢) مجلة البحوث العلمية (٢٩٨/٧).
(٣) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١٦٢/١، ١٦٣).

ونحن مأجورون بإتباعهم، ومأثومون على مخالفتهم"[١] وقصد الاقتصار عند الاختلاف على لغة قريش، وجمعهم على القراءات الثابتة المعروفة، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أُثْبِتَ مع تنزيل، ولا منسوخٌ تلاوته كتب مع مثبَت رسمُه، ومفروضٌ قراءاته وحفظه، خشيةَ دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد[٢] وأمر بعرضه بعد كتابته على أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– حيث استغرق ذلك النسخ أربع سنوات أو أكثر، وحرمت بالإجماع كتابة المصحف بغير الرسم العثماني إلى عصرنا هذا، حتى إن موافقة القراءة لرسم المصحف العثماني ضابط أغلبي للقراءة القرآنية، فما خالفها عدوه قراءة شاذة، وكونه شرطا أغلبيا ليس لأنه غير قطعي الثبوت، ولكن لعدم شموله منفردا، بمعنى أن من القراءات ما يتوافق مع الرسم تقديرا لا لفظا، وفي ما وافق المرسوم نفسه لفظا وتقديرا كيفيات لا تتبين من مجرد الرسم، فيحتاج في ثبوته إلى حفظ متواتر بالصدور، مما يؤكد كمال العناية والاهتمام البالغ، وتوفر الدواعي على نقل القرآن الكريم، وحفظه، وسلامة نصوصه[٣] لأنها راعت في رسم المصاحف العثمانية أن تحتمل القراءات المتواترة لفظا أو تقديرا بالقدر المستطاع الذي تسمح به إمكانيات الخط العربي، دون خوف من الجميع على ما استوعبه الرسم والكتابة العثمانية، وما لم يستوعبه؛ لأن المعتمد الأساسي اليقيني الشامل هو حفظ الصدور لا السطور"[٤].ولا دليل على نسخ الخبر المتواتر الوارد بصحيحي البخاري ومسلم، والمفيد وجوب الإقراء بما أقرأ به الرسول –ﷺ– فقد علم عمر أنه يجب عليه التوثيق للقرآن وأحرفه من مصدره، وهو النبي –ﷺ– وقد أكد على هذا النبي نفسه عندما طلب إلى عمر وهشام أن يقرأا ما أقرأهما به،

(١) إيقاظ الأعلام، لمحمد حبيب الله الجكني ، صفحتا (٢٠ ،٢١) ومناهل العرفان للزرقاني (٢٦١/١).

(٢) الإتقان، للسيوطي (١٦٥/١، ١٦٦).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (١٧٩/١).

(٤) تأمل النشر، لابن الجزري (٢٤/١).

ويستوثق من حفظهما ما أقرأهما به، قائلا:"اقرأ يا هشام" و:"اقرأ يا عمر" وعندما قال لكل منهما:"هكذا أقرأتك" والحديث صحيح متواتر، وهو يدل بدلالة المفهوم على أن اختلاف القرَّاء إنما حدث في حياة الرسول -ﷺ- فيما تلاه عليهم وسمعوه منه مشافهة، ولم يأت هذا الخلاف نتيجة النظر في المصحف المكتوب المقروء(١) وهكذا كان التابعون، يقول أبو بكر ابن عياش: "قال لي عاصم: ما أقرأني أحد حرفا إلا أبو عبد الرحمن السلمي، وكان أبو عبد الرحمن قد قرأ عَلَى عليٍّ -رضي الله -تعالى- عنه- وكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن، فأعرض على زر بن حبيش، وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود، قال أبو بكر بن عياش: فقلت لعاصم: لقد استوثقت"(٢) فهذا هو استوثاق التابعين، كما كان استوثاق الصحابة مثل عمر بن الخطاب(٣) وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب- ﷺ- عند بدء نزول الأحرف السبعة، من النبي -ﷺ- نفسه.

المطلب الثالث: معارضة شبهة من زعم أن خلو المصحف العثماني من نقط الإعراب (الشكل) نشأت به عدة قراءات، بالاستدلال بقياس الأولى، على نفي معاناة العصر النبوي من مشكلات في كتابة نصوصه، بسبب الخلو من الإعجام والشكل: ضرب جولدزيهر لنشأة القراءات بسبب خلو المصاحف من نقط الإعراب (الشكل) والحركات الاختلاف في قراءة قوله -تعالى-:(نُنَزِّلُ الملائكةَ) و(تُنَزِلُ الملائكةُ) و(تَنَزَّلُ الملائكةُ)(٤) والاختلاف في توجيهها، هل الله هو الذي ينزلها، أو أن الملائكة تنزل بنفسها؟ ومن ثم أقول في جواب الشبهة، بوجود علة أخرى مناسبة لرد القول بنشأة قسم

---

(١) مقالات الطناحي، صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، لمحمود محمد الطناحي، ت ١٤١٩ هـ (٥٨٧/٢). .

(٢) السبعة، لابن مجاهد (٦٩/١، ٧٠) .

(٣) الجامع الصحيح المختصر، للبخاري (١٩٠٤/٤) ٦٩ - كتاب فضائل القرآن، ٥ - باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، برقم: ٤٧٠٦ عن المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن عبد القارِئ.

(٤) النشر، لابن الجزري (٣٣٨/٢) وكلها متواترة.

كبير من القراءات أو أي قراءة، بسبب خلو المصاحف العثمانية من الشكل، وهي أن ضبط النص القرآني وقراءاته دون احتياج إلى الشكل، قد درج عليه الصحابة، وعصرهم كله شعرا، ونثرا، ونظما، وخطابة، ورسائل، ومن مفهومات دلالته الآتي: أولها: أنك لا تعدم ظاهرة الشكل اللغوية كليا قبل ظهور الإسلام؛ لأن عرب العراق، وعرب بلاد الشام، كانوا يكتبون بالسريانية، وثانيها: أن ما ثبت للأعم يلزم ثبوته للأخص، بمعنى أنه إذا ثبت عدم معاناة العصر في مكتوباته بسبب خلوه من الإعجام، ثبت عدم معاناته من خلوه من الإعجام في مكتوبات القرآن وقراءاته، وهو استدلال صحيح مساو لدعوى سلامة النص القرآني، وبطريق القياس أقول: كما لم يحتج العرب إلى الشكل في الأصل وهو ضبط نصوصهم من القصائد وغيرها، لم يحتج إليه الصحابة في عصر النبي –ﷺ– ولا التابعون من بعدهم، في ضبط الفرع من نصوص القرآن والسنة، وكما لم تنشأ قراءات مختلفة لتلك النصوص الأدبية ونحوها للعرب، لم تنشأ قراءات مختلفة للقرآن الكريم غير ملقنة من النبي –ﷺ– لعلة اشتراك النصوص في عربيتها والكتابة على هجاء واحد، بدليل أنه لو قصر العرب في ضبط نصوصهم، لوجدنا اختلافا كثيرا في ضبطها بسبب كتابتها وقتئذ مجردة من الإعجام والشكل؟ ! وهو ما لم يحدث، بدليل أنه لو حدث لوصل إلينا نبؤه، وإنه لنبأ لو تعلمون عظيم، وحق له أن يتواتر خبره إلينا فيظهر للعالمين، فعلى سبيل المثال يقضي قياس الأولى ﴿بأن شعر امرئ القيس وغيره –على أنه لا يجوز أن يظهر ظهور القرآن، ولا أن يحفظ كحفظه، ولا أن يضبط كضبطه، ولا أن تمس الحاجة إليه إمساسها إلى القرآن – لو زيد فيه بيت، أو نقص منه بيت، لا بل لو غير فيه لفظ لتبرأ منه أصحابه، وأنكره أربابه. فإذا كان ذلك مما لا يمكن أن يكون في شعر امرئ القيس ونظرائه، مع أن الحاجة إليه تقع لحفظ اللغة العربية، فكيف يجوز أو يمكن ما ذكروه في القرآن، مع شدة الحاجة إليه في الصلاة التى هي أصل الدين، ثم في الأحكام والشرائع، واشتمال الهمم المختلفة على ضبطه؛ لإحكام قراءاته ولمعرفة الشرائع، والفقه. والتفسير، والفصاحة، والبلاغة؟! وقال الباقلاني: "... ولو زادوا، أو نقصوا، أو غيروا،

لظهر"﴾[1]. وثالثها: كان الصحابة عربا أقحاحا، لا يلحنون، قال الشيخ ابن تيمية: " المصاحف التي كتبها الصحابة، لم يشكلوا حروفًا، ولم ينقطوها؛ فإنهم كانوا عربًا لا يلحنون، ثم بعد ذلك في أواخر عصر الصحابة، لما نشأ اللحن صاروا (ينقطون المصاحف ويشكلونها)[2]. قلت: إنما صار خلو مصاحف الكبار من الإعجام، ونقط الإعراب (الشكل) مشكلة على مرحلتين الأولى: ظهور اللحن في الإعراب، مع توسع الفتوحات واختلاط العرب بالأعاجم، حين سمع بعضهم من يقرأ في سورة التوبة، قول الله -ﷻ-: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)[3] بجر (رسولُه) فقال: معاذ الله أن يبرأ من رسوله، فكان التشكيل. وهو دليل على أنه قبل اختراع نقط الإعراب لم يكن القوم في حاجة إليه. والثانية: ظهور اللحن في نطق حروف الكلمات تشكيلا وإعجاما في عهد عبد الملك بن مروان عام ١٠١هـ وعامله على العراق الحجاج، بن يوسف، الثقفي[4] وقد تولى عبد الملك الحكم، عام ٦٥ هـ، وولي الحجاج سنة ٧٥هـ فذلك بينه وبين نسخ المصاحف العثمانية، من عام ٣٥ ما يقدر بـ ٤٠ عاما[5] فهل ظل القراء المجتهدون، كلَّ تلك المدة ساكنين أمام اضطراب نص القرآن وقراءاته -على حسب زعم المستشرقين- ؟!. ورابعها: كان المآل لابتكار الإعجام والحركات ضبط النصوص جميعها، من خطابة، وشعر، ورسائل، وكتب، ولكن الذي دفعهم إلى الإسراع في رصد أسباب ظاهرة اللحن، وتحديد طرق علاجها، تعلق الأمر بنصوص القرآن، وهذا يدل على توفر الدواعي على حفظ القرآن الكريم، بجمله وتفاصيله أكثر من غيره من النصوص. ثم إن لنا أن ندفع

(١) تأمل لما بين المعكوفين، إعجاز القرآن، للباقلاني، صفحة (١٨).
(٢) مجموع الفتاوى، لأحمد بن تيمية جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (٥٧٦/١٢) .
(٣) سورة التوبة، من الآية (٣).
(٤) تاريخ القرآن، للأستاذ الدكتور: عبد الصبور شاهين، صفحتا (١١١-١١٢).
(٥) احتاجوا إلى التوسع في إعجام المصاحف بحيث تشمل جميع المصاحف المكتوبة للكبار والصغار والأعاجم، فنقطوها بطريق رسمي تكليفي من الخليفة للأمراء.

الشبهة بأمور: أولها: استحالة أن يجتمع هذا الجم الغفير من أهل هذه ﴿الهمم المختلفة، والآراء المتباينة – على كثرة أعدادهم، واختلاف بلادهم، وتفاوت أغراضهم – على التغيير، والتبديل، والكتمان﴾[١]. لثلاثة أدلة: أولها: أنه قد أجمعت الأمة على وجوب الحرص على سلامة نصوص القرآن الكريم، وتأديته بألفاظه وكيفياته وإعرابه وقراءاته المتواترة دون لحن أو تحريف أو تصحيف[٢]. وثانيها: لو افترض جدلا وقوع الإجماع على التغيير والكتمان لتواتر نقله، فلما لم يتواتر دل على عدم وقوعه؛ لأن مثله من مهمات المسائل والقضايا، مما تتوافر الدواعي على نقله[٣]. وثالثها: فساد الاعتبار لمخالفة الإجماع على أن القرآن محفوظ عن التّحريف والتّبديل، بدليل قول الله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ... ﴿٤٢﴾﴾[٤] وتواتر جميع آيات القرآن بقراءاتها تلقينا ومشافهة، وهذا التواتر مجمع عليه أيضا. وثانيها: اعتماد نقلة القرآن بقراءاته السماع والمشافهة، شرطا في التلقي؛ لوجود كيفيات في نطق القرآن الكريم وإعرابه لا يكفي في تبيينها الخط بإعجامه، وشكله ونحوهما[٥] وثالثها: وجود بديل الشكل عند الالتباس؛ لأننا لو افترضنا تعين الكتابة الوصفية اللفظية طريقا إلى ضبط القراءات لضبطوها بها إلى حين تفتق أذهانهم عن رموزٍ مَا، بعد النظر في أحوال بنات اللغة العربية الأم من اللغات السامية، ولوجدنا المصاحف العثمانية تماثل بعض كتب ضبط

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني، صفحة (١٩).
(٢) الإتقان، للسيوطي (٢٢٢/١).
(٣) تأمل إعجاز القرآن، للباقلاني، صفحة (١٨).
(٤) سورة فصلت من الآية (٤١) والآية (٤٢).
(٥) في حديث مسلم: "وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان" صحيح مسلم (٢١٩٧/٤) ٥١ – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ١٦ – باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم:٦٣ ٢٨٦٥ فأصله الصدر، لا يكتب في قرطاس، فربما سكب عليه الماء، فيضيع .

القراءات التي لا يكتفي فيها بالتشكيل، بل تتبع بالوصف اللفظي الشفهي، أو الكتابي لنطق الحروف، والذي اخترع بعض النابهين له عند انتشار الالتباس، رموزا عرفت بعد ذلك بالشكل، ويؤيده قول ابن فارس بأن الإعراب كان قديماً عند العرب، قدم معرفتهم بالحروف، وأن علم العربية كان قديماً، ثم جدده "أبو الأسود الدؤلي" على نحو ما"[١] يعني أنه استبدل الرموز بالألفاظ الوصفية الضابطة، فالحق أنه لما كان الضبط حاصلا بالرواية المتواترة لفظيا– لأن الرواية والحفظ والتلقي الشفهي هو الذي كان يجيده أكثرهم؛ لتمكنهم من اللغة، وسلامة فطرتهم، وقوة ذاكرتهم لأميتهم، وكثرة تلاوتهم له بقراءاته المتواترة، وصعوبة توفر أدوات الكتابة لهم– اكتفوا بها؛ ولأن هذه الروايات المتواترة مروية بالسند المرفوع المتصل إلى يوم الناس هذا[٢] وإلى قيام الساعة، ولحصول العلم بمضمون سندها بلا كسب ولا نظر، إذ هو من القضايا التي قياسها معها لتواتره[٣] فهو متحقق فيه الشروط الثلاثة المعتد بها عند الحنفية؛ لتحقق التواتر، وهي ١–أن يبلغ عدد المخبرين عددا يمتنع معه التواطؤ على الكذب، واختار جمهور المحدثين عشَرَة في كل طبقة، لِأَنَّ مَا دُونَهَا جَمْعُ الْآحَادِ، فَاخْتَصَّ بِأَخْبَارِهَا[٤] ولكنه في القراءات عدد كثير بلا تحديد، قال الباقلاني: "العدد الذين أخذوا القرآن في الأمصار، وفي البوادي، وفي الأسفار والحضر، وضبطوه حفظا، من بين صغير وكبير، وعرَفوه حتى صار لا يشتبه على أحد منهم حرف – لا يجوز عليهم السهو والنسيان، ولا التخليط فيه والكتمان، ولو زادوا، أو نقصوا، أو غيروا، لظهر"[٥].

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٥٤٥٧/١).
(٢) تأمل النشر، لابن الجزري (٤٦/١) بتصرف.
(٣) التقرير والتحبير، لابن أمير الحاج (٢٣٢/٢).
(٤) التقرير والتحبير، لابن أمير الحاج (٢٣٣/٢).
(٥) إعجاز القرآن، للباقلاني، صفحة (١٨).

٢- وأن يستند إلى الحس، ٣-وأن يستوي فيه الطرفان والوسط، واستواء الطرفين هو أن تنقله جماعة عالمين متيقنين، لا ظانين ولا شاكين بالمخبر به[١]فمتى تواتر الخبر[٢] عن قوم هذه سبيلهم، قطع على صدقه، وأوجب وقوع العلم ضرورة[٣] واتفق على هذا الرأي أئمة الحنفية كلهم، والمالكية، والحنابلة، وجمهور الشافعية. وفي تاريخ القرآن قال أوتو بريتسل:" كانت المصاحف تكتب -أي تنقط-الحروف الساكنة التي تحتمل معاني عديدة، ولم يكن بها حروف مد-يعني الألف والواو والياء- ... يروى عن يحي بن أبي كثير أن عدد هذه التجديدات كالآتي: "فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء، فقالوا: لا بأس به، وهو نور له، ثم أحدثوا فيه نقطا عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم"[٤]. يتفق هذا عموما مع تطور المخطوطات القرآنية"[٥]. وتعرض جولد زيهر للمدود فقال: "وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات، إلى خصوصية اللفظ العربي، الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة... في حالة تساوي المدود الصوتية، فيدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده- أي ما ينوب عنه من علامات- إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلائلها"[٦] .

(١) الخبر أمر محسوس يدرك بإحدى الحواس الخمس، فهو يستند إلى الحس، وليس أمرا معقولا أو مظنونا، فإنه لا يوجب العلم يقينا، فيجب أن يكون المخبر قد سمع الآية، أو الحديث، أو قرأها، ونقلها كما هي بأحد حواسه، لا أن ينقلها على حسب فهمه وعقله، التقرير والتحبير، شرح بن أمير الحاج على تحرير الكمال، لابن الهمام (٢/٢٣٣).

(٢) التقرير والتحبير، شرح بن أمير الحاج على تحرير الكمال، لابن الهمام (٢/٢٣٣).

(٣) الكفاية في علم الرواية لابن الخطيب البغدادي، صفحة (١٦).

(٤) الإتقان، للسيوطي (٢/٤٥٥).

(٥) تاريخ القرآن لنولدكه ،صفحة (٦٨٤).

(٦) مذاهب التفسير الإسلامي، لإجنتس جولدتسيهر، صفحة (٨) والحاشية رقم (١).

والجواب هو أن القراءات متواترة بجميع تفاصيلها، ولفظها وأدائها فلا يصح التفريق بين أصول وفروع القراءات في التواتر ﴿لأنه إذا ثبت تواتر ذلك كان تواتر هذا من باب أولى، إذ اللفظ لا يقوم إلا به أو لا يصح إلا بوجوده﴾[1] وتواتر أصل المد، والإمالة والإدغام وفكه وغير ذلك مما لا يؤثر في المعنى، فالنقط والشكل المؤثران في المعنى مثل ذلك متواتران من باب أولى، ويمكن أن نصوغ لتلك الحقيقة المستقرة قياسا اقترانيًا من الشكل الأول، مكونا من قضيتين موجبة جزئية، وموجبة كلية هكذا: القرآن منقول رواية ومشافهة بحفظ الصدور بلفظه بالتواتر، وكل منقول رواية ومشافهة بحفظ الصدور بلفظه بالتواتر، لم يدخله تصحيف ولا تحريف، فالقرآن لم يدخله تصحيف ولا تحريف، فالحق أنه لم يسمح لأحد أن يزيد في القرآن وقراءاته صوتا ولو بمقدار حركتين، وعلماء الأصوات يسمون المد إذا بلغ حركتين حرفا، ويطلقون عليها حروف الصوائت، فإذا مددت ست حركات في كلمة (السَّمَاء) كانت كتابتها المتطورة والحديثة عندهم هكذا (السمااء) بوجود رسم، يمثل الحرف الصائت في الكتابة، وهنا يختلط على القارِئ قراءاتها هكذا وصلا ووقفا، ويتمسك بوجودها في الرسم، ولكن علماء القراءات، وضعوا علامة مد بدلا من تلك الطريقة المستحدثة من الهجاء، ليست حرفا بعينه من حروف اللين، من ألف، أو واو، أو ياء، والمقصد هو أنه قد تواتر المد من حركتين؛ لأن هيئة حروف المد لا تقوم إلا به، وما زاد عنها يعود إلى تنوع قراءاتهم بين تحقيق وترتيل وحدر وتدوير وهو مستفيض وسنة متبعة، بالإضافة إلى أن المصاحف العثمانية قد كتبت، ولم يكن الشكل من (فتح وضم وكسر وسكون) قد استحدث بعد.

(١) النشر، لابن الجزري (٤٢/١).

المطلب الرابع: معارضة شبهة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات، بإثبات سلامة النص القرآني، بالاستدلال بقياس العلة الأولى:

للنقط والشكل حكم الحروف من حيث التواتر، يقول يعقوب الحضرمي لأبي حاتم عندما قرأ: (ويُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)[1] يا سهل، سمعني صفير السين، وطنين النون، وقعقعة العين، وقال أبو الزعراء: أسمعني خرير الخاء، وطنين الطاء، وععة العين، وبحة الحاء، وصفير السين، ورنين الراء، ولا تمضغ". فالفصاحة في القراءة واجبة، إذ التفخيم، والترقيق، والاختلاس، دون توازن انعدام للفصاحة . قلت: ووجه الدلالة هو أن النقط أوجب؛ لأن به ثبوت قراءة، وتغير المعنى، واختلافه اختلاف تنوع، وإذا تواتر ما لا يغير المعنى، فتواتر ما يغيره من باب أولى.

المطلب الخامس: معارضة شبهة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات، بتبيين فوائد القراءات وإعجازها، ورد استدلال برجستراسر بقراءة متواترة:

أولا: مما وفر الدواعي على تواتر القراءات القرآنية، فوائد اختلافها، من تنوعها، والتخفيف على الأمة، وإظهار فضلها، وإعظام أجرها، ومنها ما في ذلك من ظهور الاختلاف في الأحكام، ونهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة، بمنزلة الآية، ولأن تنوع اللفظ بكلمة، يقوم مقام نزول آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ، آية على حدتها، لم يخف ما كان في ذلك من التطويل[2] وندفع

---

(١) سورة الحج، من الآية (٦٥).

(٢) الإتقان، للسيوطي (٢١٧/١) ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان، إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف، وتنوعه، لم يتطرق إليه تضاد... وهو على نمط واحد، وأسلوب واحد، وما ذلك إلا برهان قاطع، على صدق من جاء به -ﷺ- فتعلق الإعجاز بالقراءات مع كونها واردة على ألفاظ القرآن يؤكد =

قرآنيتها؛ لأن القرآن معجز ومتحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه، وهو أمر قطعي الثبوت والدلالة نقلا وعقلا، وبيانه عقلا وفق ما بينه الباقلاني أن الذى يدل على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن: أنه هو الذي تحداهم طويلا وكثيرا، بأنهم عاجزون عن مباراته ومجاراته، وجعله دلالة على إعجازه وهدايته، وصدق نبيه وأمانته، حتى تلا عليهم قوله: (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)-سورة الإسراء، من الآية (٨٨)- وهو الذي ضمَّن عقيدته إبطال عبادتهم، وتسفيه آرائهم، في كثير مما درجوا عليه من العادات والتقاليد، والأخلاقيات والمعاملات، وضمن أحكامه استباحة دمائهم وأموالهم، وسبى ذريتهم، وإيجاب ما يشق من بعض العبادات، وذلك كله مع تزايد المسلمين، وعلو شأنهم في العالمين، وقد علم أن بعض هذه الأحوال مما يدعو إلى سلب النفوس دونه، هذا، والحمية حميتهم، والهمم الكبيرة هممهم، وقد حاصروا من نزل عليه وقاطعوه، وبذلوا له السيف، فلو قدروا لعارضوا القرآن باللسان بديلا عن القتال، وما يتبعه من القتل والأسر والسبي، وخاصة أنهم هم الذين قالوا: (لو نشاء لقلنا مثل هذا)-سورة الأنفال، من الآية (٣١)- وهم الذي نافر شعراؤهم بعضهم بعضا في أسواق معقودة، وفي مواقف معروفة مشهودة، ألقيت فيها الخطب والقصائد والمنثورات؟ التي بها تفاخروا، وفيها تنافسوا؟ وهم الذين بلغوا من الفصاحة منزلة جعلتهم أفصح العالمين بيانا، وأعربهم لسانا، وأكثرهم جدالا، وأشدهم خصاما، كما أخبر الله -تعالى- عنهم بقوله: (قوم خصمون)-سورة الزخرف من الآية (٥٨)- فلما توافرت تلك الأحوال والدواعي على معارضته ولم يفعلوا، علم أنهم لن يفعلوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا؛ لعجزهم عن تكذيبه، أو معارضته، وتوهين حجته؛ لقصور فيهم، وليس لتعجيزٍ صرفهم. إذ كيف يعدلون عن معارضته بالبيان إلى المنابذة والعدوان، ويتركون الأمر الخفيف؟! هذا مما يمتنع وقوعه في العادات، ولا يجوز اتفاقه من العقلاء، ولو كان مقدورا للعباد لكان قد اتفق إلى وقت مبعثه من فنون وآداب لغتهم العربية من خطب ورسائل، وأقوال منثورة، وأمثال مشهورة، ما كان يمكنهم أن يعارضوه به، فلما لم نرهم احتجوا عليه بكلام سابق، علم أنه لم يكن إلى ذلك سبيل، وأنه لم يوجد له نظير، ولو كان وجد له مثل لكان ينقل إلينا، كما نقل إلينا أشعار أهل الجاهلية. إعجاز القرآن، للباقلاني (١٩/١-٢٥) باختصار وتصرف شديدين. قلت: وإذا عجز أفصح العرب فمن بعدهم أعجز.

الشبهة بأن إنكار سماوية القراءات المتواترة، يترتب عليه محال؛ لأن القراءات المتواترة محل إعجاز في بلاغتها وأسلوبها وفوائدها، ومحال أن تكون المعجزة بشرية؛ لأن من حدها وذاتيتها أن تكون خارقة للعادة، سالمة عن المعارضة، ولو كان شيء من القراءات المتواترة على إعجازها هذا من اختراع القراء من الصحابة والتابعين كما يزعم بعض المستشرقين، لكانت نوعا من المعارضة للقرآن، والتي تتوفر الدواعي على نقل خبرها متواترا، ولتواتر احتجاج الكافرين علينا بها، خاصة في عصر الردة، وادعاء بعض المفتونين للنبوة، ومحاولتهم معارضة القرآن، فلما لم ينقل شيء من ذلك ولو من طريق الآحاد، دل على أن الدعوى مجرد وهم لخيال واسع، ومن الجدير بالذكر أن تواتر القراءات واستقرارها كان مقدما على نسخ المصاحف؛ لأن نسخ المصاحف كان إضافة وزيادة في التوثيق لتأكيد معالجة مشكلة اختلاف بعض المبتدئين وتعصبهم لقراءة من أقرأهم من الصحابة، وأما التأسيس للتوثيق، فكان في حفظ الصدور للقرآن وقراءاته المحصورة من جهة اعتماد القراءات القرآنية الصحيحة المستقرة بالعرضة الأخيرة، وطريقة نقله المتواتر بالسماع الشفاهي، مما يبطل شبهة جولدتسيهر ومن تبعه؛ لأن ما كان طريق ثبوته روايةً سندٌ متبعٌ متواترٌ، والمقصود عند روايته هو أداؤه بألفاظه، لا دخل للاجتهاد أو القياس فيه، ولذلك فإن سلامة النص القرآني من أصول الدين بالإجماع، ولا يسع المسلم إنكارها. وثانيا: ما ضرب به جولد تسيهر الأمثلة، على أنه قراءات نشأت بسبب عدم وجود النقط والشكل، بعضها قراءات متواترة ثابتة متصلة الإسناد؛ وكل القرآن فيه من تلك القراءات، إذ قد نزل من السماء على وجوه ومحتملات كثيرة لقراءاته، معظمها يحتمله الرسم، وبعضها يحتاج إلى حفظ؛ ليغني عن تعدد نزول الآيات، وكنوع من الإيجاز، والإعجاز، وتيسير الذكر، وتنبيه الفكر، وهذا لا يصح قطعا نسبة النشوء إليه، وبعضها قراءات شاذة، لم يثبت أنها قرآن، ولم يعتد بها، فهي غير صالحة لاحتجاج جولد تسيهر بها على دعواه دخول تصحيف أو تحريف في الرسم العثماني؛ بسبب خلوه من النقط والشكل، بالإضافة إلى أن قياسها على المتواتر لا يصح؛ لوجود الفارق المذكور

آنفا، ولأن القياس له شروط في مقام الاحتجاج منها تسليم الخصمين بتعريف اصطلاحي لما يتجادلان فيه، وبناء عليه فإن مما يبطل الشبهة عقلا، وعلى سبيل الإجمال لما سبق دليلان: الأول: لو كان الأمر متروكا لمحتملات الرسم، لما كانت هناك قراءات، لا بد فيها من رواية وسند متواتر، ولا يكفي فيها الاعتماد على الرسم العثماني فحسب، ومؤيدة في جميع خطوات مراحل جمعها بالإجماع وقبول الأمة، والثاني: لو كانت القراءات القرآنية مصدرها غير سماوي، ولم تعلم تلقينا من النبي -ﷺ- لما توافرت الدواعي على نقلها، ولما حظيت بهذا الاهتمام، وذاك التقسيم والتنويع، وتلك الشروط، من مثل الرواية لها بسند متواتر، والعناية بكيفياتها، ودقائق نطقها، ورواتها وتراجمهم، وتوفر طلاب العلم على تحصيلها من أئمتها الراسخين في العلم بها، وإجلال الناس لهم، وهو ما يقطع بأن المسلمين نقلوا القرآن بقراءاته العشر المتواترة، بهذا الحرص الفائق لسماويته، كما عنوا بالأحاديث النبوية للسبب نفسه، بدليل وصف الله لنبيه محمدا بقوله: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى (٤))[١]. وفي مثال القراءة المتواترة بالظاء من ﴿بِضَنِينٍ﴾[٢] نجد قراءةً يحتمل أنها نشأت؛ لخلوها من النقط على حد زعم برجسترسر، والذي شاب منهجه في ضرب الأمثلة خلط بين القراءات المتواترة والشاذة في محاولة للمساواة بينهما بجمعهما تحت مصطلح "التراث الشفوي". ويتلخص الرد على ذلك، بأن العبرة بموافقة رسم المصحف، والقراءة المتواترة لا تعد من مخالفة الرسم المردودة عند علماء القراءات؛ وهي في جميع خطوط المصاحف العثمانية المعتمدة بالضاد، فلا تقرأ إلا (بِضَنِيْنٍ)[٣] فكتبت في المصاحف جميعها رسما واحدا؛ لأن أبا عبيدة قال بأن الظاء والضاد في الخط القديم، لا يختلفان إلا بزيادة رأس إحداهما على الأخرى زيادة يسيرة قد

(١) سورة النجم الآيتان (٣، ٤).
(٢) سورة التكوير، من الآية (٢٤) .
(٣) سورة التكوير، من الآية (٢٤) .

تشتبه كما لا يخفي[١] (ط، ط) فلو كتبت في مصحف خلاف الآخر، فقد يظن أنهما قراءة واحدة، فكان من الاحتياط رسمها على أحد رسمي القراءتين، وترك الأخرى للحفظ والتلقين، وهما تختلفان اختلاف تنوع، فالأولى بمعنى نفي البخل، والثانية بمعنى نفي التهمة، وأما رسم الظاء بوجود ألف تفريقا بينها وبين الضاد فمستحدث في الإملاء، وأما أنها في مصحف عبد الله بـ(الظاء) وفي مصحف أبي (بالضاد)[٢] فأولا: هذا الاستدلال للاستئناس، لأن العبرة بتحقق شرط تواتر القراءات، وليست بما في مصحف هذا أو ذاك من المصاحف الخاصة[٣] وقد قرأ بهما رسول الله -ﷺ- لثبوتهما عنه بسند متواتر، وثانيا: القراءتان بالظاء والضاد، إما أنها في مصحف أحدهما بزيادة يسيرة في رأس إحداهما، أو أن أحدهما ضبطها في مصحفه بالوصف اللفظي كتابة؛ لأن الراجح في تلك المصاحف الخاصة للصحابة، أنها كانت بدايات لتفاسير شديدة الإيجاز.

المطلب السادس: معارضة شبهة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأت به عدة قراءات ، بفساد الاعتبار، من جهة تقرير اشتراط التواتر لصحة القراءة القرآنية، ضابطًا مجمعًا عليه: وضع العلماء الأقدمون، ضوابط محكمة، للقراءات الصحيحة، المتواترة التي هي، وحي من عند الله -تعالى- وتلك الضوابط هي

١- صحة السند، الذي يؤكد سماع القراءة، عن رسول الله -ﷺ-.٢- موافقة القراءة، لرسم المصحف الشريف، لأنه متواتر، وقد أجمعت عليه الأمة في خلافة عثمان -رضي الله عنه-[٤].٣- أن تكون القراءة، موافقة لوجه من وجوه تراكيب اللغة العربية ؛ لأن الله أنزل

---

(١) روح المعاني، للألوسي (٦١/٣٠) .

(٢) الكشاف، للزمخشري -ت ٥٣٨ هـ- (١٣٤٥/١) .

(٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٤٧٤٨).

(٤) رسم المصحف، الذي بين أيدينا الآن سنة نبوية؛ لأن النبي -ﷺ- أقر تلك الوثيقة، واحتفظ بها في بيته، حتى آخر يوم في حياته الطيبة، ولذلك أجمع أئمة المذاهب الفقهية، على تحريم كتابة =

كتابه، باللسان العربي المبين.٤- أن يكون معنى القراءة، غير خارج، عن قيم الإسلام، ومقاصده، أصولا وفروعًا، فإذا تخلف شرط، من هذه الشروط، فلا تكون القراءة مقبولة، ولا يعتد بها، ولا يتعبد بتلاوتها، ولو صحت لا يتحدى بها بعد نسخها، وقد حاول العلماء حصرها، فجمع العلامة ابن جني، القراءات الشاذة، حاصرًا لها، واجتهد أن يقومها تقويمًا أفرغ ما ملك من طاقاته فيه، وأخرجها في جزأين كبيرين[١].٥- التواتر، فبعض القراءات قد لا توافق رسم المصحف، إلا على وجه التقدير، فما دور رسم المصحف في إثباتها، إذ لم تتوافق معه؟ ولذلك زاد بعضهم في شرط موافقة رسم المصحف، قيدا، فقال: موافقةً رسم المصحف ولو تقديرا، وقولنا بثبوت القراءة المتواترة موافقة للمصحف العثماني (ولو احتمالا) نعني به ما وافقه ولو تقديرا، كـ ﴿ٱلدِّينِ يَوۡمِ مَٰلِكِ﴾[٢] فإنه كتب في الجميع بلا ألف، فقراءة الحذف توافقه تحقيقًا، وقراءة الألف توافقه تقديرًا؛ لحذفها في الخط اختصارًا، كما كتب (مَلِكُ الْمُلْكِ)[٣][٤] قلت: ومما خالف الرسم فيه اللفظ الاختلاف

المصحف، في أي زمن من الأزمان، على غير الرسم المعروف، بالرسم العثماني للمصحف الشريف، ونقل هذا الإجماع عنهم، كثير من علماء تاريخ القرآن، فهو إجماع قولي صريح مقيد. قال السندي: "ونقل الإمام الجعبري وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع رسم المصحف العثماني" صفحات في علوم القراءات، للسندي، صفحة (١٧٩).

(١) المحتسب في شواذ القراءات، وهو مطبوع بتحقيق: عَلِيّ النجدي ناصف، وآخرون (ط ١، القاهرة، لجنة أحياء التراث الإسلامي، سنة ١٩٦٦ م) .

(٢) سورة الفاتحة، الآية (٤).

(٣) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢١/١) جزء الآية من سورة آل عمران، برقم: (٢٧).

(٤) قال الشيخ عبد العظيم الزرقاني: " وللعلامة النويري على الطيبة كلمة نفيسة في هذا الموضوع، إذ يقول ما نصه: "اعلم أن الرسم هو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها، والوقف عليها، والعثماني هو الذي رسم في المصاحف العثمانية، وينقسم إلى قياسي، وهو ما وافق اللفظ، =

بالإعجام نحو (يعلمون) و(يفتح) وبالإعجام والإهمال نحو (نُنْشِزُهَا)[١] فقراءة (نَنْشُرَهَا) و(ننشزها) توافقه تحقيقا ، نحو: (مِنْ أَنْصَارٍ)[٢] و (فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ)[٣] حيث قرئت كلمتا" :أنصار" و"فنادته" بالفتح والإمالة، والقراءتان موافقتان للرسم تحقيقًا يحتمله الرسم تحقيقًا؛ لخلو المصاحف العثمانية من النقط والشكل[٤] ويحتاج لشرط التواتر ؛ لأن بعض القراءات، قد تكون صحيحة السند، ومخالفة للرسم العثماني، أو صحيحة وموافقة للرسم العثماني، ولكنها ليست من القراءات المتواترة؛ لأنها لم تتواتر ولم تستفض[٥] فتكون قرآنا منسوخا في العرضة الأخيرة، قال مكي بن أبي طالب في الإبانة: "وسقطت القراءات

وهو معنى قولهم: "تحقيقا" وإلى سماعي، وهو ما خالف اللفظ، وهو معنى قولهم: "تقديرا" وإلى احتمالي، وسيأتي، ومخالفة الرسم اللفظ محصورة في خمسة أقسام، البدل والزيادة والحذف والفصل والوصل، خمستها وافقها الرسم تحقيقا، وغيرها تقديرا؛ ... والقسم الثالث: ما وافق الرسم احتمالا، ويندرج فيه ما وقع الاختلاف فيه بالحركة والسكون، وبالتخفيف والتشديد نحو: (ينشركم) بيونس، المعبر عنه بالشكل، نحو: (ادخلوا) بغافر، وباختلاف الإعجام نحو (يعلمون) و(يفتح) وبالإعجام والإهمال نحو: (ننشزها) وكذا المختلف في كيفية لفظها، كالمدغم، والمسهل، والممال، والمرقق، والمدور، فإن المصاحف العثمانية هكذا كلها، لتجردها عن أوصافها، فقول الناظم: "وكان للرسم احتمالا" دخل فيه ما وافق الرسم تحقيقا بطريق الأولى، وسواء وافق كل المصاحف أو بعضها... ولولا تقدير موافقة الرسم، للزم الكل مخالفة الكل في نحو (السموات) و(الصالحات) ثم إن بعض الألفاظ يقع فيه موافقة إحدى القراءتين أو القراءات تحقيقا، والأخرى تقديرا نحو: (ملك) وبعضها يقع فيه موافقة القراءتين أو القراءات تحقيقا، نحو: (أنصارا لله)..." مناهل العرفان (٢٩٠/١، ٢٩١)..

(١) سورة البقرة، من الآية (٢٥٩).

(٢) سورة آل عمران، من الآية (٥٢).

(٣) سورة آل عمران، من الآية (٣٩).

(٤) صفحات في علوم القراءات، للدكتور السندي، صفحة (٦٧).

(٥)

التي تخالف خط المصحف، فكأنها منسوخة بالإجماع"[١]. ومن هنا يمنع تحريما أن تثبت في المصحف؛ لأنها خالفت رسمه، فلم يثبت أنها قرآن، لأمرين: أولهما: أن القراءة القرآنية الثابتة، سنة متبعة ومشهودة، ورواية معروفة ومعهودة، للعامة والخاصة، ولها أسانيد متواترة، في كل طبقة بعد أخرى، حتى الراوي الأعلى، وبعض القراءات قد تكون صحيحة السند وتوافق الرسم العثماني، ولكنها لا توافق وجها من وجوه العربية، فترد. وثانيهما: أن خط المصاحف سنة متبعة لا يجوز لأحد أن يخالفه في الحذف، والإثبات، والزيادة، والنقصان، والقطع، والوصل والإبدال"[٢] ولذلك يجب علينا معرفة هجاء المصاحف الواجب اتباعها، وتمييزها من الخط الذي بني على القياس، وهو ليس شرطا منطقيا ضابطا، فلا يمنع من أن يدخل في القراءات المتواترة ما ليس منها، لأنه ليست كل قراءة وافقت رسم المصحف العثماني قراءة قرآنية مستقرة؛ وإنما شرط موافقة رسم المصحف وسيلة من الوسائل الميسرة للتعرف إلى معظم القراءات الشاذة، ولذلك فقد توافق القراءة رسم المصحف العثماني وهي صحيحة السند، ولكنها فقدت شرط التواتر والاستفاضة، فهي قراءة منسوخة، وقد توافق القراءة رسم المصحف العثماني، وهي ضعيفة السند، فاقدة لشرط التواتر والاستفاضة، فهي قراءة شاذة، وقد توافق رسم المصحف العثماني، ولكنها لا توافق اللغة العربية بأي وجه من الوجوه، فهي شاذة لذلك، ناهيك بفقد شرط التواتر والاستفاضة. ويميز القراءات القرآنية المعتد بها، أنها ثابتة باليقين بطرق عديدة: أولها: التواتر[٣] المسند المستمر إلى قيام الساعة، وهو مجمع على حصوله، ناهيك بإفادته اليقين، لحصول العلم بمضمونه بلا نظر، إذ هو من القضايا التي قياسها معها، ومتحقق فيه الشروط الثلاثة المعتد بها عند الحنفية؛ لتحقق التواتر،

(١) إيقاظ الأعلام، لمحمد حبيب الله الجكني ، صفحة (٢٥).
(٢) إيقاظ الأعلام، لمحمد حبيب الله الجكني ، صفحة (٢٣).
(٣) ويدوم هذا الحد، فيكون آخره وأوسطه كطرفيه، عن أمر حسي لا عقلي،وذلك مثل نقل القرآن، والصلوات الخمس، وأعداد الركعات، ومقادير الزكوات، وما أشبه ذلك.

وقد تقدم ذكرها. ومن قواعد الفقه أن ما ثبت باليقين، لا يزول بالشك؛ ولا يتطرق إليه، لأنهما متضادان لا يجتمعان، وأما احتمال أن غيرها من القراءات غير المتواترة قد يثبت بالظن، فإن اليقين مقدم على الظن، فيؤخذ به ويطرح الظن، لكون القرآن، وقراءاته التي ثبت أنها وجوه لقرآنيته، لا يثبتان إلا بيقين، ولكون يقينية الطريق في ثبوتهما داخلة في تعريفهما، فلا يتصور قرآن أو قراءات دون ثبوت بطريق يقيني، والقراءات بجميع تفاصيلها، حتى مقدار المدود متواترة، ويمكن أن نصوغ لتلك الحقيقة المستقرة قياسا اقترانيا من الشكل الأول مكونا من قضيتين موجبة جزئية، وموجبة كلية هكذا: القرآن منقول رواية ومشافهة بحفظ الصدور بلفظه ومعناه بالتواتر، وكل منقول رواية ومشافهة بحفظ الصدور بلفظه ومعناه بالتواتر، لم يدخله تصحيف ولا تحريف، فالقرآن لم يدخله تصحيف ولا تحريف. وثانيها: الاستقراء التام يقرر أنه لا يوجد قراءة، ولا لهجة واحدة، تسللت إلى النص العثماني. وثالثها: كان مشرب معظم التابعين خاصا؛ لأنه كان يحفظ قراءة من في جهته من الصحابة، أما أن يقرأ أحدهم بأكثر من قراءة، فهذا الذي كان ولا يزال مقتصرا على المتخصصين، وبمجموعهم يتحقق التواتر، لأنه فرض كفاية وفارق بين التواتر وحصوله في الواقع وبين إثباته يقول الإمام ابن السبكي في جمع الجوامع:" القراءات السبع متواترة تواترًا تامًّا ... ولا يضر كون أسانيد القراء آحادًا؛ إذ تخصيصها بجماعة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم؛ بل هو الواقع، فقد تلقاها عن أهل كل بلد بقراءة إمامهم الجم الغفير عن مثلهم، وهلم جرًّا[1] وإنما أسندت إلى الأئمة المذكورين

(١) فكان بالمدينة ابن المسيب، وعروة، وسالم بن عبد الله بن عمر، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان، وعطاء، ابنا يسار، ومعاذ القارِئ، وغيرهم، وبمكة عبيد الله بن عمير، وعطاء بن أسلم أبي رباح، وطاوس بن كيسان، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي مُليكة عبد الله بن عبيد الله بن جدعان، وممن كان بالكوفة أصحاب عبد الله بن مسعود، االمذكورين آنفا، وممن كان بالبصرة عامر بن قيس، وأبو العالية رفيع بن مهران، وأبو رجاء محمد بن يوسف، ونصر بن عاصم الليثي، ويحي بن =

ورواتهم المذكورين في أسانيدهم؛ لتصديهم لضبط حروفها وحفظ شيوخهم الكمل فيها[١] ويؤيده أنك تجد في غاية النهاية فيما أحصيت سبعة عشر تابعيا عرضوا القراءة على عبد الله بن مسعود-ﷺ- وهم كالآتي: ١شقيق بن سلمة ٢وزيد بن وهب ٣وزر بن حبيش ٤ وعمرو بن شرحبيل ٥ وسعد بن إياس أبو عمرو الشيباني ٦وعلقمة بن قيس ٧والحارث بن عبد الله الهمداني ٨ وعمرو بن ميمون ٩والربيع بن خيثم ١٠والأسود بن يزيد ١١وتميم بن حذلم ١٢والحارث بن قيس ١٣وعبيد بن قيس ١٤وعبيد بن نضلة ١٥وعبيدة بن عمرو السلماني ١٦وأبو عبد الرحمن السلمي ١٧ومسروق بن الأجدع[٢] وعرض على علي ابن أبي طالب زر بن حبيش[٣] وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الأسود الدؤلي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى[٤].٥-والحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم -ﷺ-[٥] ومسعود بن مالك، ويقال ابن عبد الله أبو رزين الكوفي[٦] فالذين رووا

يعمر، وجابر بن زيد، والحسن البصري، وابن سيرين، وقتادة، وممن كان بالشام خليد بن سعيد صاحب أبي الدرداء، فقرأ كل مصر بما في مصحفه، ثم تجرد بمكة ابن كثير، وبالمدينة أبو جعفر، ونافع، وبالكوفة حمزة والكسائي، وبالبصرة أبو عمرو بن العلاء، ثم عاصم الجحدري، ثم يعقوب الحضرمي، وبالشام ابن عامر، ثم خلفهم خلق كثير. شرح طيبة النشر، للنويري (١/١٦٩-١٧٤). بزيادة يسيرة، واختصار.

(١) مناهل العرفان (١/٤٣٦، ٤٣٧).

(٢) انظر لترجمتهم على الترتيب بغاية النهاية (١/٣٢٨) (١/٢٩٩) (١/٢٩٤) (١/٦٠١) (١/٣٠٣) (١/٥١٦) (١/٢٠١) (١/٦٠٣) (١/٢٨٣) (١/١٧١)(١/١٨٧)(١/٢٠١)(١/٤٩٧) (١/٤٩٧، ٤٩٨) (١/٤٩٨)(١/٤١٣)(٢/٢٩٤) وهؤلاء جميعا لم يتجاوز أحدهم في تاريخ وفاته سنة مائة هجريا.

(٣) (١/ ٢٩٤).

(٤) (١/٥٤٦).

(٥) (١/ ٢٤٤).

(٦) (١/ ٢٩٦).

عن القراءة بأسانيدهم من التابعين وأتباعهم موصولة صحيحة عن الصحابة عن النبي -ﷺ- لا يحصون عددا فلم تكن أسانيد القراءة فيما قبل القراءة العشرة مقتصرة على ما ورد من طريقهم، وفارق بين ورود قراءة الخاصة بالأسانيد، وبين إثبات تلقيهم القراءات عن أعداد كبيرة من الشيوخ، فإن في إثبات تلقيهم القراءات عن شيوخ كثر بالإخبار عن ذلك، إذ قد تواترت الأخبار به، لكنه اكتفي بأسانيد الأئمة العشرة عن حفظها وإثباتها وذلك اصطلاح أحدثوه تخفيفا حتى لا يشق على طلاب القراءات إتقانها مع حفظ كل تلك الروايات والأسانيد، وإمعانا في الانصراف إلى الاهتمام بإتقان القراءات وكيفياتها وهيئاتها ورسمها وتوجيهها وغير ذلك، وتواتر الأخبار بذلك مع الاستفاضة، وموافقة الرسم، واللغة العربية، مفيد للقطع واليقين بثبوت القراءات جملة وتفصيلا أصولا وأفرادا.

ويرى السيوطي أن قرن التابعين من مائة سنة إلى نحو سنة ١٧٠هـ وقرن أتباع التابعين من ١٧٠هـ إلى نحو ٢٢٠هـ وأخذ من هؤلاء القراءات عن التابعين علماء كثيرون[١] فمن لم يشترط تواتر سند القراءة المقبولة، فلوجوه ثلاثة محتملة أوردها الزرقاني: أولها: أن تعريف الجمهور من أئمة المذاهب للقرآن هو ما نقل بين دفتي المصحف نقلا متواترا، والنقل هنا مراد به النقوش الدالة على الصفة القديمة أو اللفظ المنزل[٢] وقال الغزالي في المستصفى :"وقيدناه بالمصحف؛ لأن الصحابة بالغوا في الاحتياط في نقله حتى كرهوا التعاشير والنقط وأمروا بالتجريد كيلا يختلط بالقرآن غيره"[٣] فاشترطوا التواتر في الضوابط، لأن التواتر عندهم جزء من الحد، فلا تتصور ماهية القرآن إلا به، ولا ماهية القراءة المقبولة قرآنا إلا به، وبناء عليه لا تقبل قراءة وتوصف بأنها قرآنية ما لم تتواتر، فالتواتر عندهم في الحد وفي الضابط، لأن كل من قال بهذا الحد اشترط التواتر في الضابط وَفق ما بين ابن الحاجب -رحمه الله تعالى- ولم يحتاجوا للاستدلال على

(١) التوشيح شرح الجامع الصحيح، للسيوطي (٢٣١٦/٦).
(٢) مناهل العرفان للزرقاني (١٤/١).
(٣) مناهل العرفان للزرقاني (٢٩٨/١).

التواتر باقتضاء العادة تواتر مثله، لأن التواتر عندهم جزء من الحد فلا تتصور ماهية القرآن إلا به.

وتعريف من لم يشترط التواتر ضابطا، للقرآن هو الكلام المنزل على رسول الله للإعجاز بسورة منه، فاحتاج للاستدلال على اشتمال الحد على التواتر باقتضاء العادة مثله. ثم قال عن عدم اشتراطه للتواتر في الضوابط بأنه لما كان الحد لبيان الماهية والحقيقة، ولا يتساهل فيه مثل الضوابط، فإن الضوابط المعرفة بالقراءة المقبولة لا ينبغي أن يدخل فيها التواتر، لأن من يراعي الشروط الثلاثة، يسهل عليه بمجرد رعايتها أن يميز القراءات المقبولة من غير المقبولة، بخلاف اشتراط تواتر سند القراءة المقبولة ضابطا، لأنه سيصعِّب عليه ذلك التمييز؛ إذ لا بد أن يضطر في تحصيله إلى أن يصل إلى جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب في كل طبقة من طبقات الرواية وثانيها: أن هذه الأركان الثلاثة تكاد تكون مساوية للتواتر في إفادة العلم القاطع بالقراءات المقبولة؛ للإجماع على تواتر الرسم العثماني، فيكفي لقبول القراءة القرآنية، إذا وافقت الرسم، صحة سندها، وموافقة العربية بوجه ما[1]وثالثها: أنه وجد لدى القراء العشرة قراءات آحاد ستخرج بشرط التواتر عن كونها قراءة مقبولة، فظن أن القراءات كالحديث مخرجها كمخرجه، إذا كان مدارها على واحد كانت آحادية، وخفي عليه أنها نسبت إلى ذلك الإمام اصطلاحا للمدونين، فاقتصروا على هؤلاء؛ ليضبطوا ما دوّنوه ويحرروه[2] وإلا فكل أهل بلدة كانوا يقرؤونها أخذوها أمما عن أمم، ولو انفرد واحد بقراءة دون أهل بلده لم يوافقه على ذلك أحد، بل كانوا يجتنبونها ويأمرون باجتنابها[3] ولذلك فإن نسخ عثمان –ﷺ– للمصاحف كان مقصودا منه جمع الناس على مصاحف أئمة جامع رسمها للقراءات المتواترة التي

(١) مناهل العرفان (٢٩٥/١) بتصرف.

(٢) الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين (٣١٨/١) بتصرف يسير.

(٣) مناهل العرفان، للزرقاني (١/ ٣١٢).

يقرأ بها العامة، بقدر ما يحتمله الرسم منها، ولم يكون المقصود جمعها مسندة إلى شخص هذا أو ذاك من الصحابة –ﷺ– وإلا ظل الاختلاف باقيا، ولم تحسم مادته، ذلك لأن مشرب التابعين في الأغلب الأعم مشربا خاصا، فبعضهم اختص بقراءة عبد الله، بن مسعود، وبعضهم اختص بقراءة زيد، بن ثابت، وهكذا، ولكن مع انتشار الإسلام؛ لكثرة الفتوحات، ودخول الأعاجم في الإسلام، وحداثة عهد بعضهم بالقراءات وقع الاختلاف، ونسخت المصاحف، وصار ما كان مندوبا مكروها، قال الزرقاني: "روى ابن أبي داود، عن إبراهيم النخعي قال: كانوا يكوهون سند فلان، وقراءة فلان. قلت: وذلك خوفا مما توهمه أبو شامة من القراءة إذا نسبت إلى شخص تكون آحادية، ولم يدر أن كل قراءة نسبت إلى قارئ من هؤلاء كان قراؤها زمن قارئها وقبله، أكثر من قرائها في هذا الزمن وأضعافهم، مما يؤكد أن اقتصارهم على أسانيد الأئمة العشرة كان تخفيفا واختصارا وبصيرة بتواتر القرآن[1] بما لا مزيد عليه من التحقق لأي كتاب عرفته البشرية من قبله ومن بعده، ونقل الزرقاني قول ابن الجزري:" ومما يحقق لك أن قراءة أهل كل بلد متواترة بالنسبة إليهم أن الإمام الشافعي –ﷺ– جعل البسملة من القرآن، مع أن روايته عن شيخه مالك تقتضي عدم كونها من القرآن؛ لأنه من أهل مكة وهم يثبتون البسملة بين السورتين، ويعدونها من أول الفاتحة آية، وهو قرأ قراءة ابن كثير على إسماعيل القسط عن ابن كثير، فلم يعتمد في روايته عن مالك في عدم البسملة؛ لأنها آحاد، واعتمد على قراءة ابن كثير؛ لأنها متواترة"[2] وقال الزركشي ردا على أبي شامة ونقل كلامه :"وكذا كلام غيره من القراء، يوهم أن القراءات السبعة ليست متواترة كلها، وأن أعلاها ما اجتمع فيه صحة السند، وموافقة خط المصحف، والإمام، والفصيح من لغة العرب، وأنه يكفي فيه الاستفاضة، فقال: "وليس الأمر كما ذكر هؤلاء والشبه دخلت عليهم من انحصار أسانيدها في رجال معروفين فظنوها كأخبار الآحاد، وقد أوضح الإمام كمال

(١) مناهل العرفان، للزرقاني (٣١٣/١).
(٢) مناهل العرفان، للزرقاني (٣١٣/١).

الدين بن الزَّمْلَكَاني–رحمه الله– ذلك فقال:" انحصار الأسانيد في طائفة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم، فقد كان يتلقاه أهل كل بلد بقراءة إمامهم الجم الغفير عن مثلهم، وكذلك دائما، فالتواتر حاصل لهم، ولكن الأئمة الذين قصدوا ضبط الحروف وحفظوا عن شيوخهم منها جاء السند من جهتهم، وهذا كالأخبار الواردة في حجة الوداع هي آحاد ولم تزل حجة الوداع منقولة عمن يحصل بهم التواتر عن مثلهم في كل عصر فهذه كذلك وهذا ينبغي التفطن له وأن لا يغتر بقول القراء فيه وَاَللَّهُ أَعْلَمُ"[١].

المطلب السابع: معارضة شبهة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات، بفساد الاعتبار، من جهة تبيين الحكم بالإجماع على تحريم كتابة المصحف بغير الرسم العثماني:

لا يجوز كتابة المصحف بغير الرسم العثماني لأنه سنة متبعة، أي رواية مسندة متواترة لا دراية أو اجتهاد فيها، ويجب اتباعها[٢] شرعا، كتابا وسنة وإجماعا، كما هو مروي عن الأئمة الأربعة، كذا غيرهم[٣] وروى أبو عمرو الداني، عن أشهب سئل مالك، فقيل له: أرأيت من استكتب مصحفا اليوم أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتبة الأولى، وقال أبو عمرو الداني: لا مخالف لمالك من علماء الأمة في ذلك .[٤]

(١) البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي (٢/٢١٢).
(٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي (١/٩٠) ونسبه إلى البيهقي.
(٣) جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد، للجعبري، صفحة (٢٤١).
(٤) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)صفحة (١٩)

النتائج والتوصيات

أولا: أهم النتائج:

١-الإعجام لتمييز الحروف المتشابهة في الرسم، سابق في الوجود على العهد النبوي بعدة قرون، بأدلة عقلية ونقلية وأثرية، كما ثبت تمييز كثير من الحروف المتشابهة في الرسم، في كيفية الرسم، ببعض الكتابات النبطية القديمة، وقد وضع أبو الأسود الدؤلي نقط الإعراب ما بين أعوام ٤٤-٤٧ هـ وأما تاريخ انتشار الإعجام عموما، ونقط المصاحف خصوصا بصفة رسمية فكان ما بين أعوام ٧٥هـ إلى ٨٦هـ ثم وضع الحركات الخليل الفراهيدي ما بين أعوام ١٢٠-١٧٥هـ تقريبا، وقد بعث النبي -ﷺ- والخط العربي مكتمل الخصائص.

٢-كان في حفظ الصدور، ونقط بعض مصاحف العامة والكبار والصغار، وبعض كبار الصحابة، والأعاجم، والمبتدئين، غنى عن نقط المصاحف العثمانية الأمهات، لعلل وقتية داعية إلى ذلك في زمن كتابتها.

٣-خلو المصاحف الأمهات من النقط والشكل، ساهم في حفظ القراءات، ودلت ضوابط القراءات القرآنية المكلف بها على حصرها؛ وعلى حرص الصحابة على استيعاب القراءات المتواترة قدر الإمكان، عبر المخالفة في رسم المصاحف العثمانية، ومظاهر حرصهم التي دلت على توفر الدواعي على نقل القرآن وقراءاته.

٤-قصد المستشرقون من قولهم بنشأة عدة قراءات من القراءات، بسبب خلو المصاحف العثمانية من الإعجام والشكل، إلى الطعن في كونها وحيا، ومساواتها بالقراءات الشاذة.

٥-ادعاء آرثر جفري أنه كان على القارِئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص العثماني الخالي من النقط والشكل على مقتضى معاني الآيات، يبطله إجماع الأمة على

تقييد قبول القراءات المعتد بها قرآنا مقدسا بالتلقي بطريق السماع والمشافهة، بسند صحيح متواتر مرفوع إلى النبي -ﷺ-.

٦-الأساس في نقل القراءات هو الرواية وحفظ الصدور، وجاء الرسم تزيدا في التوثيق، بدليل وجود كيفيات في نطق ألفاظ القرآن لا يمكن معرفتها دون تلقين.

٧-وجود اختلاف في كيفية رسم هيئة رموز الإعجام، والإعراب، وحركات الخليل، ورموز الشدة، والروم، والإشمام .

٨-وجود علل وحكم لنقط بعض الحروف العربية بنقطة أو اثنين أو ثلاثة، وعدم نقط البعض الآخر.

٩-قام الوصف اللفظي عند الضرورة والالتباس مقام الشكل، قبل اختراع رموز لتمييز الحرف، مما يشابهه في الهيئة، بدوائر صغيرة جدا، توضع فوقه أو تحته مثل (باء، تاء، ثاء، ياء).

١٠-الإعجام والتشكيل من تمام لفظ القرآن.

١١-إجماع المجتهدين من الأمة فيما يتصل بمسائل الدين الإسلامي حجة قطعية، وحصن مكين لكثير من ثوابته، ومنها سلامة النص القرآني.

ثانيا: أهم التوصيات:

١-أوصي بتناول الشبه بطريقة أكثر تَخصصا لا تبقِ شيئًا من الريب في نفس القارِئ من مختلف مستويات طلبة العلم .

٢-أوصي باستعمال الأسلوب المنطقي والأصولي، والسبر والتقسيم للأدلة إلى عقلية ونقلية وتأريخية وأثرية ونحوها؛ لأنه أفضل من الأسلوب الإنشائي الأدبي والهجائي في الرد على المستشرقين .

٣-أوصي الباحثين بالتوسع في مجالات العلوم المختلفة، وإعمال العقل، ومراجعة أهل التخصص، والتمعن في كيفية الاستفادة من دقائق مؤلفاتهم.

٤-أوصي بالإشارة إلى ما يخدم الرد على الشبهات المثارة حول علم الخط في مادة الخطوط بعلم أصول اللغة، وأن يطلع كل من له تخصص تشريعي أو لغوي على ما أثاره المستشرقون من الشبهات ليمدنا بالمادة العلمية التي تفيد في الرد عليها، وإن لم يصرح بذكر تلك الشبه.

٤-أوصي بتشكيل لجان متابعة رسمية أو غير رسمية من التخصصات العلمية المختلفة للباحثين في مجال رد الشبهات، لأن الأمن على العقيدة والقدرة على الدفاع عنها من أهم احتياجات المجتمع الساعي إلى الاستقرار، وبناء شخصيات وطنية قوية الإيمان متمسكة بالأخلاق الحميد والأفعال الرشيدة.

٥-أوصي بالعمل بالإجماع على التزام الرسم العثماني وتحريم مخالفته، والانتباه إلى الأخطاء المطبعية غير المقصودة، والتي قد تقع في بعض مطابع المصاحف العثمانية، وإعدام النسخ التي يطبعها أعداء الإسلام محذوفا منها بعض الآيات، أو محرفًا فيها كثيرًا من الآيات، حفاظا على نصوص القرآن المتواترة المعصومة لعصمة مصدرها ومنزلها.

فهرس المصادر المراجع

أولا : كتب التفسير وعلوم القرآن والقراءات:

التفسير:

- البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف (ط، بيروت، دار الفكر ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) ت ٧٥٤هـ عناية: صدقي محمد جميل العطار التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن عاشور) (ط، تونس، الدار التونسية ، سنة ١٩٨٤م)
- تفسير البغوي، للحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي ت ٥١٠هـ(ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)
- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير(ط٢، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، عام ١٤٢٠هـ) و-ت ٧٠٠ -٧٧٤ هـ المحقق: سامي بن محمد سلامة
- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)
- الدر المصون، في عُلُوْم الكِتَاب المَكْنُوْن، لأبي العباس بن يوسف . ت ٧٥٦ هـ . المشهور بالسمين الحلبي ، تحقيق: أحمد محمد الخراط. (ط ١، دمشق، دار القلم دمشق، سنة ١٤١٤هـ).
- روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفي الحنفي ت (١١٢٧هـ (ط، بيروت، دار الفكر).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي أبي الفضل (ط، بيروت، الناشر : دار إحياء التراث العربي).

- سورة القصص دراسة تحليلية، للدكتور: محمد مطني فتح القدير، لمحمد، بن علي، بن محمد، الشوكاني ت ١٢٥٠هـ (ط ١، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ).
- فضائل القرآن، لإسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٤٤هـ (ط ١، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٦هـ).
- الكشاف، عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري –ت ٥٣٨ هـ–تحقيق: مصطفي حسين أحمد(ط ، القاهرة، الناشر: دار الريان للتراث – بيروت، دار الكتاب العربي، سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي ت ٨٨٥هـ (ط القاهرة، دار الكتاب الإسلامي).
- **القراءات**:
- أصل القراءات القرآنية، بين حقائق التاريخ، (ط ١، مكتبة ابن تيمية، سنة ١٤٢٣هـ) ودعاوي المبطلين، للدكتور: غانم قدُوري الحمد.
- الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧ تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي (ط١، القاهرة، دار نهضة مصر).
- إتحاف فَضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي (ط١، بيروت، دار النشر: دار الكتب العلمية، سنة ١٤١٩هـ–١٩٩٨م).
- إيقاظ الأعلام، لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام، (ط ٢، سوريا، حمص
- عثمان بن عفان، لمحمد حبيب الله الشنقيطي ، نشر: مكتبة المعرفة، سنة ١٣٩٢هـ) .

- جامع البيان في القراءات السبع، لعثمان بن سعيد الداني، ت ٤٤٤ هـ، أصل التحقيق: رسائل ماجستير من جامعة أم القرى ط١، الإمارات، جامعة الشارقة، سنة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م).
- جمال القراء وكمال الإقراء لعلي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني (ط١، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م).
- أبي الحسن، علم الدين السخاوي -ت ٦٤٣ هـ-تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، أصل التحقيق: رسالة دكتوراة بإشراف د محمد سالم المحيسن، متسلسلة الترقيم.
- جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد للجعبري ت: ٧٣٢ هـ).
- تحقيق د. محمد خضير مضحي الزوبعي (ط، دمشق، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، عام ١٤٣١ هـ-٢٠١٠ م)
- رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية للدكتور: غانم الحمد القدورى (ط ١، دار عمار للنشر والتوزيع، ساحة الجامع الحسيني، سنة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)
- رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين (ط، القاهرة ، مكتبة وهبة) في قراءات القرآن الكريم، للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي.
- السبعة في القراءات، لأحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، التميمي البغدادي، تحقيق : د.شوقي ضيف (ط٢، القاهرة، الناشر : دار المعارف، سنة ١٤٠٠هـ)
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن محمد، أبي القاسم، محب الدين النُّوَيْري ت ٨٥٧هـ تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم ط١،بيروت،سنة١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م).
- صفحات في علوم القراءات، للدكتور: أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي (ط١، المكتبة الأمدادية، سنة ١٤١٥ هـ) .

- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، للشيخ عبد الفتاح القاضي (ط١، القاهرة، دار السلام، سنة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).
- المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: د. عزة حسن (ط٢، دمشق، دار الفكر، سنة ١٤٠٧هـ).
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي المعروف بأبي شامة، المتوفي : ٦٦٥هـ المحقق : طيار آلتي قولاج (ط، بيروت، الناشر : دار صادر، سنة النشر ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م)
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار،(ط١، لبنان، بيروت، الناشر: لمحمد بن أحمد الذهبي، بشار عواد معروف , شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٠٤هـ).
- المقنع في رسم مصاحف الأمصار، لعثمان بن سعيد أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ). تحقيق: محمد الصادق قمحاوي ط، القاهرة، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية).
- الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين (ط، مصر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)
- منجد المقرئين، ومرشد الطالبين، لمحمد بن محمد بن الجزري (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ).
- النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، المتوفي سنة ٨٣٣هـ أشرف على تصحيحه صاحب الفضيلة علي محمد الضباع شيخ عموم المقارئ: بالديار المصرية (ط، بيروت، دار الكتب العلمية بيروت) .

- النقط ، لأبي عمرو الداني (ط، مصر، دار الكتب) المخطوطات: جامع الكلام في رسم مصحف الإمام، مخطوط بالمكتبة الأزهرية برقم: ٢٢٣٠٧.
- **علوم القرآن**:
- إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد، تحقيق: السيد أحمد صقر (ط٣، القاهرة ، الناشر: دار المعارف، كورنيش النيل).
- البرهان في علوم القرآن، لمحمد، بن بهادر، (ط، بيروت، الناشر: دار المعرفة، ١٣٩١).
- الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم تاريخ القرآن، لعبد الصبور شاهين (ط ٣، القاهرة، نهضة مصر، سنة ٢٠٠٧م).
- تاريخ القرآن الكريم، لمحمد طاهر الكردي ، مكة، نشر مصطفي محمد يغمور، مطبعة الفتح بجدة، الحجاز، عام ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م).
- تاريخ القرآن لنولدكه تعديل فردريش شفالي ترجمة د جورج تامر(ط ٢، ألمانيا، كولونيا، بعداد ، ٢٠٠٨م).
- لا ريب فيه، نقض أوهام حول القرآن الكريم، لفضيلة الأستاذ الدكتور: محمد سالم أبي عاصي (ط، القاهرة، دار الحرم للنشر والتوزيع).
- مقدمة كتاب المصاحف، لعبد الله بن أبي داود السجستاني ت ٣١٦ هـ تحقيق:د:آرثر جفري (ط١، المطبعة الرحمانية بمصر، عام ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م)
- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات (ط ١، بيروت، الناشر: دار الفكر، سنة ١٩٩٦م).
- **كتب الحديث والتراجم**:
- الأعلام، لخير الدين الزركلي (ط٥، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م)
- الأنساب، لعبد الكريم بن محمد بن منصور، السمعاني، ت ٥٦٢ هـ(ط١، بيروت، مركز الخدمات والأبحاث تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي الثقافية،

طبع ونشر: دار الجنان الصنائع – شارع إميل أده سنتر لطيف،. ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

- التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم، البخاري، ، تحقيق: السيد هاشم، الندوي (ط، دمشق، الناشر: دار الفكر).
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها تحقيق علي شيري (ط١، بيروت، طبع ونشر: دار من الأماثل لعلي بن الحسن المعروف بابن عساكر ت ٥٧١ هـ الفكر، سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م).
- تدريب الراوي، في شرح تقريب النواوي، لعبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي ت ٩١١هـ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف (ط، الرياض، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة).
- تقريب التهذيب، لأحمد، بن علي، بن حجر، العسقلاني، (ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ت ٨٥٢ هـ دراسة وتحقيق: مصطفي عبد القادر عطا ، سنة ١٤١٥ هـ– ١٩٩٥ م).
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله –ﷺ– لأبي عمر بن عبد البر النمري، تحقيق: سليم محمد عامر – محمد بشار عواد (ط١، لندن، نشر: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، سنة ١٤٣٩هـ – ٢٠١٧م).
- تهذيب الكمال، ليوسف بن الزكي عبد الرحمن المزين(٦٥٤ – ٧٤٢ هـ) (ط١، بيروت، مؤسسة تحقيق: د: بشار عواد معروف الرسالة، سنة ١٤٠٦هـ).
- توجيه النظر إلى أصول الأثر، لطاهر الجزائري، (ط١، سوريا، حلب، الدمشقي الناشر: مكتبة المطبوعات تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الإسلامية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م).

- التوشيح شرح الجامع الصحيح، لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ تحقيق: رضوان جامع رضوان (ط١، الرياض، الناشر: مكتبة الرشد، سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م).
- الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل، البخاري ط٣، بيروت، الناشر: دار ابن كثير، تحقيق: د. مصطفي ديب البغا، أستاذ الحديث بجامعة دمشق. اليمامة، سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).
- الجامع، لأخلاق الراوي، وآداب السامع، لأحمد، (ط، الرياض، الناشر: مكتبة بن علي، الخطيب البغدادي، أبي بكر، تحقيق: د. محمود الطحان المعارف ١٤٠٣هـ).
- الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس، الرازي ط ١، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي).
- سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان، الذهبي المتوفي ٧٤٨ هـ تحقق شعيب الارنؤوط – بناية صمدي وصالحة، سنة ١٤١٣ هـ– ١٩٩٣م) (ط ٩، بيروت ، مؤسسة الرسالة شارع سوريا.
- شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي –ت ٥١٦هـ– تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش (ط٢، دمشق، نشر المكتب الإسلامي دمشق، بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م)
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج ، (ط، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي) تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، تعليقات يسيرة لماجد الحموي (ط١، مصر،الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، سنة ١٣٥٦هـ).

- الكفاية في علم الرواية لأحمد بن علي الخطيب البغدادي ط ١، جمعية دائرة المعارف العثمانية، تحقيق إبراهيم حمدي العدناني حيدر آباد الدكن، سنة ١٣٥٧هـ).
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلي المتقى (ط ، بيروت، مؤسسة الرسالة، شارع بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ت ٩٧٥هـ سوريا، سنة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م،) تحقيق: الشيخ بكري حياني، الشيخ صفوة السفا.
- لسان الميزان، لأحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: (ط٣، بيروت، نشر: مؤسسة الأعلمي.
- دائرة المعارف النظامية بالهند للمطبوعات، سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).
- المحبر لمحمد، بن حبيب، البغدادي (ط، تركيا، مطبعة الدائرة، لمير عثمان علي خان، سنة١٣٦١هـ).
- المستشرقون لنجيب العقيقي ت ١٤٠٢ هـ ، ط٢، مصر، القاهرة، الناشر: دار المعارف، سنة ١٩٦٤ م)
- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ط٢، القاهرة، دار النشر: مكتبة ابن تيمية)
- أبي القاسم الطبراني –ت ٣٦٠ هـ– تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لمحمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨ هـ تحقيق: علي محمد البجاوي (ط ، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر).
- المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي تحقيق : كمال يوسف الحوت (ط١، الرياض، الناشر : مكتبة الرشد، سنة ١٤٠٩هـ)
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧هـ بتحرير: العراقي، وابن حجر (ط، بيروت، دار الفكر، سنة ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م)

- المجموع شرح المهذب لأبي زكريا محي الدين بن شرف، النووي، ت ٦٧٦هـ(ط، دمشق، دار الفكر).
- معجم المؤلفين، فعمر رضا كحالة(ط، بيروت، الناشر مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي).
- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا ط ١، بيروت الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م)
- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار، البغدادي ، انتقاء أحمد بن أيبك، المعروف بابن الدمياطي، ت ٧٤٩ هـ دراسة وتحقيق: مصطفي عبد القادر عطا (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- مسند أحمد بن حنبل، الشيباني (ط، القاهرة، مؤسسة قرطبة).
- مصنف عبد الرزاق، لعبد الرزاق بن همام، (ط٢، لبنان، بيروت، الناشر:الصنعاني تحقيق: حبيب الرحمن، الأعظمي المكتب الإسلامي، سنة ١٤٠٣هـ).
- موسوعة ويكيبيديا ماد أوتو برتسل – مادة برجست.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس (ط١، بيروت، الناشر: دار صادر،١٩٩٤م).
- **كتب العقيدة والاستشراق**:
- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير – الاستِشراق – الاستعمار، دراسة للغزو الفكري، (ط٨، دمشق، الناشر: دار القلم، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة ت ١٤٢٥هـ.
- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، لحسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي ت ١٢٥٠هـ دار: دار الكتب العلمية).

- العواصم من القواصم ، للقاضي محمد بن العربي المالكي ت ٥٤٣ هـ تحقيق: الدكتور عمار طالبي (ط، مصر، الناشر: مكتبة دار التراث).
- مذاهب التفسير الإسلامي، لإجنتسْ جولدتسيهر(ط ، القاهرة، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، ١٧ شارع شريف، مطابع السنة المحمدية، سنة ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م).
- المغنى في أبواب التوحيد والعدل، لعبد الجبار الهمذاني. (ط، القاهرة، دار الكتب المصرية، سنة ١٩٦٠م).
- المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام للباحث: علي بن نايف الشحود (الموسوعة الذهبية، والمكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت)
- الموسوعة الميسرة في الأديان، والمذاهب، والأحزاب المعاصرة، لمانع، بن حماد، الجهني(ط ٤ ، دار الندوة، سنة ١٤٢٠هـ).
- **كتب علم الدعوة**:
- إحياء علوم الدين لمحمد بن محمد الغزالي (ط، بيروت، دار المعرفة)
- **كتب الفقه والأصول**:
- إجابة السائل، شرح بغية الآمل، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني المتوفي ١٨٢هـ (ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) تحقيق: حسين بن أحمد السباعي ود حسن محمد الأهدل.
- أصول الفقه، لمحمد بن مفلح المقدسي، الحنبلي المتوفي (٧٦٣هـ) (ط ١، السعودية، مكتبة العبيكان، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ) تحقيق: د فهد بن محمد السَّدَحَان .
- البحر المحيط في أصول الفقه، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ت ٧٩٤ هـ(ط١، الناشر: دار الكتبي،سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م)

- التقرير والتحبير، في علم الأصول الجامع بين اصطلاحي الحنفية(ط ١، مصر، بولاق الأميرية الكبرى، سنة ١٣١٦هـ-١٣١٨هـ)، والشافعية، شرح بن أمير الحاج ت ٨٧٩هـ على تحرير الكمال، لابن الهمام ت ٨٦١هـ
- الحاجة ترفع الكراهة "تطبيقاتها وصورها المعاصرة دراسة تطبيقية لعبير جاسم محمد الشهاب.
- حاشية الجمل على المنهج، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، للشيخ سليمان الجمل(ط، بيروت ، دار النشر: دار الفكر).
- درر الحكام شرح غرر الأحكام، لملا خسرو الحنفي (ط، دار إحياء الكتب العربية) روضة الناظر وجنة المناظر، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي،(ط٢، الرياض، الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود، سنة ١٣٩٩هـ)
- روضة الناظر، لابن قدامة المقدسي، تحقيق أحمد الباز (ط، مكة المكرمة، ، عام ١٤٠١هـ) تحقيق : د: عبد العزيز عبد الرحمن السعيد.
- مجلة البحوث العلمية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية (ط ، السعودية، الناشر : الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء).
- مجموع الفتاوى لأحمد بن تيمية جمع وترتيب: (ط، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
- المستصفى في علم الأصول لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي (ط ١، بيروت، الناشر : دار الكتب العلمية، سنة ١٤١٣هـ)
- المعيار المعرب والجامع المغرب، عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب (ط، المغرب، وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة، لأحمد بن يحي

الونشريسي ت٩١٤هـ خرجه جماعة من العلماء تحقيق بإشراف د محمد حجى المغربية سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م).

- الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، (ط١، دار ابن عفان، سنة ١٤١٧هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان
- الموسوعة الفقهية الكويتية (ط٢، الكويت، طبع: وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠٤هـ-١٤٢٧هـ)
- **كتب اللغة (نحو وصرف، وبلاغة، وأدب، وأصول لغة):**
- **كتب المعاجم :**
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ط١، بيروت، دار صادر)
- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر، الرازي، تحقيق: محمود خاطر (ط، بيروت، نشر، مكتبة لبنان، سنة ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م)
- المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفي . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، تحقيق ، مجمع اللغة العربية (ط ٢، القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٠ هـ)
- **كتب الأدب، واللغة:**
- أدب الإملاء والإستملاء، لعبد الكريم بن محمد بن السمعاني شرح: سعيد محمد اللحام بناية برج الضاحية، (ط١، بيروت، نشر: دار ومكتبة الهلال، بئر العبد، شارع مكرزل، سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)
- تاريخ الأدب، لحفني ناصف (ط، القاهرة، الجامعة المصرية، سنة ١٩٠٩م)
- الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت ٢٧٦هـ (ط ، القاهرة، ، الناشر: دار الحديث، عام : ١٤٢٣ هـ)
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: د.يوسف علي طويل (ط١، دمشق دار الفكر، سنة ١٩٨٧م)
- فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي (ط١، القاهرة).
- الفهرست، لابن النديم (ط، بيروت).

- قصة الكتابة العربية، لإبراهيم جمعة (ط، نشر: وكالة الصحافة العربية، ٢٠٢١م)
- قصة الكتابة العربية، لإبراهيم جمعة، لسلة اقرأ (٥٣) (ط، القاهرة، دار المعارف، ١٩٤٧م)
- محاضرات في أوراق البردي العربية، لتوفيق إسكاروس (ط ٢، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، سنة٢٠١٠م)
- مصادر الشعر الجاهلي، لناصر الدين الأسد (ط ٥، القاهرة، دار المعارف، سنة ١٩٧٨م)
- مقالات الطناحي، صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، لمحمود محمد الطناحي، أبو أروى ت ١٤١٩ هـ جمعها ورتبها: محمد محمود محمد الطناحي، ومحمد ناصر العجمي (ط ١، بيروت، الناشر: دار البشائر الإسلامية، سنة ١٤٢٢ هـ)

○ **كتب التاريخ :**

- تاريخ خليفة بن خياط تحقيق: د. أكرم (ط ٢، بيروت، الناشر: دار ضياء العمري القلم , مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٣٩٧هـ)
- معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي (ط، بيروت، الناشر: دار الفكر) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (ط ٤، نشر دار السلفي ، سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١)
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (ط٢، بيروت، طبع دار العلم للملايين ، ومكتبة النهضة بغداد، عام ١٩٧٦م)
- مواقع على شبكة الانترنت: http://ar.wikipedia.org/wiki
- ملخص بحث منشور على شبكة الإنترنت العنكبوتية بموقع : https://journals.asianindexing.com/article.php?id بعنوان التوضيح المفيد لما وصف به الرسم القرآني من التجريد.

فهرس الموضوعات

المحتويات

ملخص البحث ٢٠٥٥
مقدمة ٢٠٥٩
محتويات البحث: ٢٠٦٠
أهمية البحث: ٢٠٦٠
هدف الدراسة: ٢٠٦٠
تحديد مشكلات البحث: ٢٠٦٠
منهج البحث: ٢٠٦١
خطة البحث: ٢٠٦١
الفصل الأول: مفهوم الاستشراق، وتعريفه، والترجمة لجولد زيهر وآرثر جفري وبرجستراسر ٢٠٦٣
المبحث الأول: تعريف الشبهة والاستشراق لغة واصطلاحا ٢٠٦٤
المطلب الأول: تعريف الشبهة لغة واصطلاحا: ٢٠٦٤
المطلب الثاني: تعريف الاستشراق لغة واصطلاحا: ٢٠٦٤
المطلب الثالث : تعريف القراءة والرواية ، والقراءات، والقراءة المتواترة والشاذة لغة واصطلاحا: ٢٠٦٥
المبحث الثاني: الترجمة لجولد زيهر وآرثر جفري وبرجستراسر ٢٠٦٦
المطلب الأول: الترجمة لجولد زيهر: ٢٠٦٦
المطلب الثالث: التعريف ببرجستراسر: ٢٠٦٦
الفصل الثاني التمهيد ببيان مبادئ الإعجام والشكل، وبيان فضلهما، والحاجة للإعجام، وبدايته، وتأريخه، وسبب وضعه، وكيفيته، والفرق بينه وبين غيره، ومصدره، وحكم إعجام وشكل المصاحف العثمانية ٢٠٦٧
المبحث الأول: التمهيد ببيان مبادئ الإعجام والشكل ٢٠٦٩
المطلب الأول: التعريف بالإعجام والنقط والشكل لغة واصطلاحا: ٢٠٦٩
المطلب الثاني: نسبة الإعجام والتشكيل، وواضعهما واستمدادهما: ٢٠٧١
المبحث الثاني: بيان الحاجة إلى الإعجام، وبدايته ٢٠٧٦
المبحث الثالث: تأريخ الشكل، وبيان اهتمام الصحابة بالإعراب، وبيان أقوال العلماء في واضعه وسبب وضعه، وكيفيته، والفرق بينه وبين غيره، وبيان مصدره. ٢٠٧٧

المطلب الأول: تأريخ الشكل، بالنسبة للمصحف العثماني، واهتمام الصحابة به: ٢٠٧٧
المبحث الرابع: ٢٠٨٣
المطلب الأول: ذكر القائلين بكراهة إعجام وشكل المصاحف العثمانية بنقط الإعراب، وعللهم: ٢٠٨٣
المطلب الثاني: ذكر قول من قال بجواز نقط الإعراب (الشكل) وذكر من قال بجواز الإعجام ونقط الإعراب، واختلافهم بين الإيجاب والاستحباب، ورأيي في الراجح منهما: ٢٠٨٦
المطلب الثالث: رأي الباحث في القول الراجح: ٢٠٨٩
المبحث الخامس: الأدلة العقلية والتاريخية على وجود إعجام الخط العربي قبل العهد النبوي، وتقدمه على نسخ المصاحف العثمانية، ونقط الإعراب ٢٠٩٢
المطلب الأول: الأدلة العقلية على وجود إعجام الخط العربي، قبل العهد النبوي، وتقدمه على نسخ المصاحف العثمانية، ونقط الإعراب ٢٠٩٢
الفصل الثالث: الرد من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشَّكْل نشأ به عدة قراءات ٢١٠٨
المبحث الأول: عرض آراء أوتو بريتسل() فيما يتصل بتاريخ النقط، وضبط كتابة المصاحف العثمانية والتعقيب عليها ٢١١٢
المبحث الثاني: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من (الشكل) نشأت به عدة قراءات بنقض احتجاجات برجستراسر ٢١٢٠
المبحث الثالث: الرد على من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات لبرجستراسر وجولد زيهر وآرثر جفري ومن تبعهم، بتصور شبهتهم قياسا ونقضه ٢١٤٢
المبحث الرابع: بيان أغراض من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات مثل جولد زيهر، وآثر جفري، وبرجستراسر، ومن تبعهم من المستشرقين، والرد عليهم ٢١٥٠
المبحث الخامس: معارضة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام نشأ به عدة قراءات مثل جولد زيهر، وآثر جفري، وبرجستراسر، ومن تبعهم من المستشرقين بالرد عليهم، وعلى أمثلتهم. ٢١٥٩
المبحث السادس: الرد على شبهة من زعم أن خلو المصحف العثماني من الإعجام والشكل نشأ به عدة قراءات، بالمعارضة بإيراد أدلة تقرير سلامة النص القرآني ٢١٨١
النتائج والتوصيات ٢٢١٥
أولا: أهم النتائج: ٢٢١٥
ثانيا: أهم التوصيات: ٢٢١٦
فهرس المصادر المراجع ٢٢١٨
فهرس الموضوعات ٢٢٣١